العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الإنسانية المثالية

عند الحسن بن علي عليهما السلام

(دراسة تحليليّة في تراثه)

تأليف
الدكتور رحيم كريم علي الشّريفيّ
أستاذ مساعد الدراسات القرآنية واللغوية
جامعة بابل /كلية الدراسات القرآنية / علوم القرآن

شعبة الإعلام
وحدة الدراسات والنشرات

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام
وحدة الدراسات والنشرات

كربلاء المقدسة

ص.ب (٢٣٣)

هاتف:٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٣

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الكتاب: الإنسانيّة المثاليّة عند الحسن بن عليّ (عليهما السّلام) دراسة تحليليّة في تراثه.

الكاتب: د. رحيم كريم علي الشريفي.

الناشر:قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.

مراجعة: وحدة الدراسات والنشرات / شعبة الإعلام.

التدقيق اللغوي: م.د . حسين علي حسين الفتلي.

الاخراج الطباعي: محمد قاسم النصراوي.

التصميم: علاء سعيد الأسدي

رقم التسجيل في دار الكتب والوثائق في بغداد ٢٣٢٠ لعام ٢٠١٣م.

المطبعة:مطبعة المستقبل، بيروت لبنان.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ٢٠٠٠.

رمضان ١٤٣٤-تموز ٢٠١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي
هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥
وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦
وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧
إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

(النحل/ ١٢٥ – ١٢٨)

الإهـداء

إلى إمام المصلحين، والناصحين،

بُرعُم النّبيّ (صلى الله عليه وآله)، وريحانته،

السِّبط البِكر الحسن (عليه السلام)،

أهديك قبساً من أقباسِك المتلألِئة في عالم الوجود.

المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الرحمن الرحيم، الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأنعم على العباد الخير العميم، وصلى الله على مصطفاه، ومحموده النبيّ الأمين محمد الخير، والرحمة المذكور اسمه في التوراة والإنجيل، وعلى آله الأدلاّء على الله الكريم، والهداة إلى نهجه القويم، وصراطه المستقيم، وعلى أصحابه الكرام المخلَصين.

أما بعدُ، فإنه ليشرفني أن أقدّم للقراء العزيز دراسة عن الإنسانية المثالية عند الحسن ابن علي(عليهما السلام)، هذه الإنسانية التي تجعل من يكتب عنها في حَيْرة من أمره، من أين يبتدئ؟، وماذا سيقول؟، وإلى أين ينتهي؟، إنها كالسيل الهادر لا يحجزه سدّ، وكالبحر الذي لا يحصره ساحل، إنها دائرة واسعة لا تتحدّد بمكان، وكيف، وزمان.

لقد تجسّدت هذه الإنسانية في روح الحسن(عليه السلام) التي بين جنبيه منذ ولادته حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فنحن نسمع كلامه الشجن في آخر لحظة من حياته وهو يقول لأخيه الحسين(عليه السلام): لا تهرق بسببي مِحْجمة[1] دمٍ، فهو وارث التكامل الإنساني من كتاب الله(عز وجل) وجدّه(المصطفى)(صلى الله عليه وآله)، وشجاعة القلب، والإنسانية العالية من أبيه(أمير المؤمنين)(عليه السلام).

(١) المحجمة: اسم آله على وزن(مِفعلة) وهي القارورة التي يحجم بها الدم.(العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي: تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ط١، منشورات دار الهجرة، قم، ١٤٠٥هـ: ١(حجم): ٣٥١).

إن الدراسات التي تناولت سيرة الإمام الحسن(عليه السلام) كان همها هو كشف النقاب عن حياته، وجهاده السياسي، وسَلمه مع معاوية، وقد انبرى باحثون معاصرون من الأفذاذ مثل المحقق راضي آل ياسين، والشيخ باقر شريف القرشي، والسيد معروف الحسني وغيرهم للكتابة عن الحسن(عليه السلام) وصلحه، وجهاده، وليس شغل هذه الدراسة استعراض أقوال هؤلاء بصدد ما دوّنوه من أقوال بهذا الخصوص، وآراء.

وسيجد القارئ أن هذا الكتاب ليس مختصّاً بوجه عام في بيان هذه الأمور التي ذكرناها آنفاً، إلاّ أننا سنفيد منها من أجل بيان القيم الإنسانية، والتربوية عند الحسن(عليه السلام).

إنَّ هذا البحث سيحاول أن يستقرئ ما صدر عن الحسن(عليه السلام) من كلام سواء أكان خطبة، أم رسالة، أم وصية، أم حكمة وغيرها، موضحين إياها بحسب ما يقدح لفكرنا، وذهننا من أفكار، وتصورات، فضلاً عن ذلك ستكون القراءة المتأنية الصبور للنصوص هي الملاذ، والمطلب، والمبتغى في الوصول إلى بيان الإنسانية المثالية عند الحسن(عليه السلام).

فلينظر المسلمون – اليوم – ماذا في ضمائرهم من خلق الحَسن(عليه السلام)؟، وماذا في أيديهم من تراثه؟، وما أحوج الزعماء الذين يحاولون اليوم توحيد الناس أن يتخذوا من إنسانية الحسن المثالية سبيلاً إلى هذا المشروع العظيم !، وما أحوج المسلمين اليوم أن يرتشفوا من نمير إنسانية الحسن(عليه السلام)، وأن يستلهموها !.

من هنا جاءت هذه الدراسة لتناغم واقع العصر، وظروفه، وتعرّف المسلمين إنسانية رمز من رموز الإسلام، وإمام من أئمة التقريب بين المسلمين، الذي مدّ جسور المحبة، والتعاون، والتعايش، والتسامح بينهم، وستتجلى فيها ترنيمات عالية البيان في

التحابُب، والتوادُد، والتقريب، والتسامح والإخاء قلما يجود بمثلها الزمن.

إنَّ الإلمام، والإحاطة بجوانب هذه الإنسانية المثالية عند الحسن(عليه السلام)، يستدعي كما قلنا آنفا: استقراء ما صدر عن الحسن(عليه السلام)، من تراثه أجمع، فضلاً عن ذلك الوقوف على المصادر، والمراجع التي كتبت عنه، وقد جاءت الفرصة بحول الله(عزّ وجلّ) سامحة سانحة، فقمنا بمراجعة المصادر، والمراجع المختلفة، والمتنوعة التي تناولت حياته، وسيرته، وسلمه، القديمة منها، والحديثة، ولا نبالغ إذا قلنا: إنَّ تتبعها كان محط اهتمامنا، وجهْدنا من أجل الوصول إلى النتائج، والأهداف المنشودة من هذه الدراسة.

وأول من يلقانا من هذه المصادر التي أفدنا منها(سيرة ابن إسحاق)، لـ(محمد بن إسحاق ت ١٥١هـ)،(وتاريخ خليفة بن خيّاط ت ٢٤٠هـ)، و(الإمامة والسياسة) لـ(ابن قتيبة ت ٢٧٦هـ)،(والأخبار الطوال)(لأبي حنيفة الدنيوري ت ٢٨٢هـ)، و(تاريخ اليعقوبي) لـ(أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي ت ٢٩٢هـ)، وأما مصادر القرن الرابع الهجري، فمنها(تاريخ الأمم والملوك) لـ(محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ)، و(الذرية الطاهرة) لـ(الدولابي ت ٣١٠هـ)، و(مروج الذهب) لـ(المسعودي ت ٣٤٦هـ)، و(مقاتل الطالبيين) لـ(أبي الفرج الأصفهاني ت ٣٤٦هـ)، ومن مصادر القرن الخامس الهجري(المستدرك على الصحيحين) لـ(الحاكم النيسابوري ت ٤٠٥هـ)، و(الإرشاد) لـ(المفيد ت ٤١٣هـ)، و(الاستيعاب) لـ(ابن عبد البر ت ٤٦٣هـ)، ومن مصادر القرن السادس الهجري(تاريخ دمشق) لـ(ابن عساكر ت ٥٧١هـ)، ومن مصادر القرن السابع الهجري(الكامل في التاريخ)، و(أُسد الغابة في معرفة الصحابة) لـ(ابن الأثير ت ٦٣٠هـ)، و(تذكرة الخواص) لـ(سبط بن الجوزي ت ٦٥٤هـ)، و(كشف الغمة في معرفة الأئمة) لـ(أبي الحسن الأربليّ ت ٦٩٢هـ) ومن مصادر القرن التاسع الهجري(تهذيب

التهذيب في رجال الحديث) لـ(شهاب الدين أبي الفضل العسقلاني ت ٨٥٢هـ)، و(الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة(عليهم السلام) لـ(ابن الصباغ المالكي ت ٨٥٥هـ)، ومن مصادر القرن العاشر (تاريخ الخلفاء) لـ(السيوطي ت ٩١١هـ)، و(جواهر العِقْدَين في فضل الشرفين) لـ(السمهودي ت ٩١١هـ) وغيرها.

أما المراجع، فأهمها(الفتنة الكبرى) لـ(طه حسين)، و(صلح الحسن(عليه السلام)) لـ(راضي آل ياسين)، و(حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام)) لـ(باقر شريف القرشي)، و(سيرة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام)) لـ(هاشم معروف الحسني)، و(موسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى)) لـ(حُسين الشاكري)، و(رسائل الإمام الحسن(رضي الله عنه)) لـ(زينب حسن عبد القادر) وغيرها.

وبعد إحاطة شاملة بالدراسة، وجوانبها شرعت برسم خطتها، فجاءت في مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة، بينت في المقدمة سبب الدراسة، وأهميتها، وجاء الفصل الأول بعنوان(جذور الإنسانية المثالية عند الحسن(عليه السلام))، قسمته ثلاثة مباحث، الأول منها درست فيه أثر القرآن الكريم في سُمو إنسانية الحسن(عليه السلام)، وجاء الثاني مبيّناً أثر التكامل الإنساني عند جده المصطفى(صلى الله عليه وآله) في إنسانية الحسن(عليه السلام)، وجاء الثالث موضحاً دور أبيه(أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)) في رسم هذه الإنسانية، وظهورها.

وكان الفصل الثاني بعنوان(معالم الإنسانية المثالية عند الحسن(عليه السلام)) وقد جاء في ثلاثة مباحث، درست في الأول:(إصلاح المجتمع)، وفي الثاني:(التعايش السلمي)، وفي الثالث:(حقن الدماء).

وجاء الفصل الثالث من الدراسة بعنوان(آليات الحسن(عليه السلام) في تجلّي معالم الإنسانية المثالية)، قسمته مبحثين، جاء الأول بعنوان أدب الحوار، درست فيه

أولاً: اللغة المؤدّبة المهذّبة، وثانياً: الصدق الفني، وثالثاً: الاقتصاد اللغوي.

وجاء المبحث الثاني بعنوان الإقناع الخطابي، درست فيه أولاً: المخاطب الحسن(عليه السلام)، وثانياً: فصل الخطاب، وثالثاً: الاهتمام بالمتلقّي.

وجاءت خاتمة هذه الدراسة متضمنة أهم النتائج التي توصلتُ إليها.

يطيب لي وأن أكتب هذه السطور الأخيرة من هذه المقدمة أنْ تَهُبَّ على عملي هذا نسمات القبول، ويحظى بالموقع المأمول من أصحاب الحجى والعقول، وأتقدم بالشكر الجزيل، والثناء المحمود لكلّ من أفاد الدراسة – ولو بكلمة واحدة – آمل أن أكون قد وفقت فيها، وهي جَهد الشهور فإن أصبت فبها ونعمت، وإن كانت الأخرى، فإني سَعَيْتُ، قال تعالى:﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾(النجم/ ٣٩ – ٤١).

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين.

رحيم كريم علي الشَّريفيّ

جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنية

قسم علم القرآن

جُمادى الآخرة ١٤٣٤هـ

الفَصْلُ الأوّل

جذور الإنسانية المثالية عند الحسن (عليه السلام)

مما لاشكّ فيه أنَّ الإنسانية المثالية التي تمتّع بها الحسن (عليه السلام) كان لها جذور راسخة، وثابتة، وقد تمظهرت هذه الجذور على مدى حياته المباركة منذ ولادته إلى يوم استشهاده، وسيحاول البحث بيان هذه الجذور التي كان لها الأثر البالغ، والدافع الرئيس في بلورة القيم الإنسانية العالية في نفس الحسن (عليه السلام)، وتمظهرها في أقواله وأفعاله.

المبحث الأول:

أثر القرآن الكريم في رسوخ إنسانية الحسن(عليه السلام)

القرآن الكريم الرحمة المهداة من السماء إلى أهل الأرض، لو وزعت الإنسانية كما وزعها القرآن الكريم، لضمن الخلق سكون النفس، والبال، فتسكن جوف الفقراء، ويزول خوف الأغنياء، ويعم السلام، والوئام، والمحبة الأمة بأسرها.

إن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تصل إلى الإخاء، والوحدة، والسلام إلاّ من خلال التمسك بكتاب الله(عز وجل)، وقد وصلت إلى ما وصلت إليه من تناحر، وتباغض، وشحناء بسبب ابتعادها عن القرآن الكريم تعليماتٍ، وقيماً، ومبادئ.

إن الإنسانية المتكاملة التي نجدها في القرآن الكريم لها دلالاتها المتعدّدة، والمتنوعة، ومن هذه الدلالات هي المصالح الاجتماعية التي تؤثر في سلوك الفرد، وكذلك التي تؤثر في سلوك الأمة أجمع، لذلك نرى أنّ الإسلام عندما أراد بناء المجتمع وضع الأسس الرصينة التي تحكم بناء هذا المجتمع، وتجعله أكثر تماسكاً وترابطاً في بناء العلاقات الأسرية، والمجتمعيّة، كافة.

فهدف الإسلام هو الإنسان الصالح، فمن خلال إيجاده يمكن إيجاد الجماعة الصالحة، التي تتسم بالأخلاق الاجتماعية العليا كحسن المعاشرة، ومداراة الناس، والتسامح، والعفو، والصفح وغيرها؛ لهذا نجد القرآن الكريم، والرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله)، وخلفائه يولون اهتماماً خاصاً من أجل ظهور هذه الجماعة الصالحة[1]،

(١) ينظر: بحوث في منهج تفسير القرآن: محمود رجبي: ط٢، مركز الحضارة لتنمية الفكر

وقد رسم «القرآن من خلال تعبيره عن الأغراض الدينية المختلفة عشرات من النماذج الإنسانية من غير القصص رسمها في سهولة ويسر واختصار فما هي إلاّ جملة أو جملتان حتى يرتسم النموذج الإنساني شاخصاً من خلال اللمسات، وينتفض مخلوقاً حيّاً خالد السمات، تارة تكون هذه النماذج صورة للجنس الإنساني كلّه، وتارة تكون صورة لأفراد منه مذكورين، وهي في كلتا الحالتين نماذج خالدة لا يخطئها الإنسان في كلّ مجتمع، وفي كُلّ جيل»[1].

ومن النماذج التي كان للقرآن الكريم أثر في إنسانيته المثالية، هذه الإنسانية الطيبة الشجاعة الكريمة الصابرة الباذلة الحسن بن علي(عليه السلام).

أولاً: وصفه (عليه السلام) كتاب الله (عز وجل)

وصف الحسن(عليه السلام) كتاب الله(عز وجل) وصفاً دقيقاً، فهو مصدر النور، والهداية، والسعادة، وهو الشفاء للنفوس، والصدور قال: «**إنَّ هذا القرآن فيه مصابيح النور، وشفاء الصدور، فليجل جال بضوئه، وليلجم الصفة قلبه، فإنّ التفكير حياة القلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور**»[2].

ووصفه بالكمال، والتفصيل، لا يأتيه الباطل من أيّ ناحية، وأنْ تتدبر معانيه حقيقة من دون ظنّ، وتأويل وهو المعوّل في التفسير، فقال(عليه السلام) «**نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسوله الأقربون، وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله(صلى الله عليه وآله) في أمته، والتالي كتاب الله فيه تفصيل كلّ شيء لا يأتيه**

الإسلامي، بيروت، ٢٠١٠م: ٢١٨.

(١) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب: دار الشروق، القاهرة، د.ت: ٢١٦.

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلّي(ت ٦٩٢هـ)، قدم له السيد أحمد الحسيني، ط١، مطبعة شريعة قم – إيران، ١٤٢٧: ١/ ٥٣٦.

الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعوّل علينا في تفسيره، لا نتظنّى تأويله، بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا فإنّ طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله عز وجل ورسوله مقرونة، قال الله(عز وجل): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ **وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان فإنه لكم عدو مبين فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم:** ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾، **فتلقون إلى الرماح وزراً، وإلى السيوف حزراً، وللعمد حطْماً، وللسهام غَرَضاً ثم:** ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ »[1].

ثانياً: العمل بأحكام القرآن الكريم.

إن العمل بأحكام القرآن الكريم، والتمسك بتعاليمه مجلبةٌ للسعادة، والهداية، والفوز بالدارين الدنيا والآخرة، فالأمة المتمسكة بالقرآن الكريم هي الأمة الهادية الراشدة السعيدة، الأمة التي يسودها الحبّ والمودّة والإخاء، بخلاف الأمة التي تركت كتاب الله(عز وجل) وراء ظهرها؛ فكانت عُرضة للخلاف، والبغضاء، والشحناء.

ويظهر تمسك الحسن(عليه السلام) بأحكام القرآن الكريم، وتحمله بتعاليمه جليّاً، فقد كان

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي(ت ٣٤٦هـ)، ط١، دار القارئ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م: ٣/ ١٠ - ١١. وينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام) دراسة وتحليل: باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، ط١، مطبعة شريعة، إيران، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م: ١/ ١٤٨ - ١٤٩.(النساء/ ٥٩)،(النساء/ من الآية ٨٣)،(الأنفال/ ٤٨)،(الأنعام/ ١٥٨).

مثالاً للإنسانية المثالية، ورمزاً للخلق العظيم، فأصبح من طليعة الإنسانيين الأخلاقيّين في دنيا العرب، والمسلمين، فكانت حياتُهُ، حافلةً، ومليئة بالإنسانية، فغدا إماماً من أئمة المسلمين ورعاً، وتقوى، وخلقاً.

وقد أشار(عليه السلام) إلى هذا الفهم الخالص، والتصور الواضح فقال:

«أيها الناس إنّه مَنْ نصح لله وأخذ قوله دليلاً هُدي للتي أقوم، ووفقه الله(عزّ وجلّ) للرشاد، وسدّده للحسنى، فإنَّ جار الله آمن محفوظ، وعدّوه خائف مخذول، فاحترسوا من اللهِ بكثرة الذكر، واخشوا الله بالتقوى، وتقرّبوا إلى اللهِ بالطاعة، فإنّه قريب مجيب، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾**، فاستجيبوا للهِ وآمنوا به، فإنّه لا ينبغي لمن عَرَف عظمة الله أنْ يتعاظم رفعة الذين يعلمون عظمة الله أن يتواضعوا، والذين يعرفون إجلال الله أن يتذلّلوا له، وسلامة الذين يعلمون ما قدرة الله أنْ يستسلموا له»**[1]. إنها ترنيمة عالية المضمون في العمل بأحكام القرآن الكريم.

إن عمل الحسن(عليه السلام) بأحكام كتاب الله(عزّ وجلّ)، وتمسكه بتعاليمه وقيمه جعلته يكتسب وينال هذه الإنسانية العالية، فظهرت جليّة في أقواله، وأفعاله فكانت تطبيقاً لمبادئ القرآن الكريم وقيمه، وسيتجلى هذا الأمر عند حديثنا عن(معالم الإنسانية المثالية عند الحسن(عليه السلام)).

ومن أهم الشواهد والدلائل على عمل الحسن(عليه السلام) بأحكام القرآن الكريم، وتمسكه بها الشرط الأول الذي اشترطه على معاوية بن أبي سفيان عند الهدنة، والاتفاق،

---

(١) موسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى(عليه السلام)): حسين الشاكري، ط٢، مطبعة غدير، قم – إيران، ١٤٢٥هـ: ٥/ ١٢٣.(البقرة/ ١٨٦).

والسلم بينهما، وهو العمل بكتاب الله(عز وجل)، وهو رأس كلّ شرط، ومقدّمة أي عمل، وقد ذكرت المصادر والمراجع أن العمل بكتاب الله، وسنة نبيّه، والخلفاء الراشدين هو أول الشروط، أو البنود، أو المواد، أو الفقرات، وإليك أيها القارئ العزيز نصّه: قال الأربلي: «**بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وسيرة الخلفاء الراشدين**»[1]، وقال ابن الصباغ المالكي: «**بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان صالحه على أن يسلّم إليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله**»[2]، وقال راضي آل ياسين: «**تسليم الأمور إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيّه، وسيرة الخلفاء الراشدين**»[3]، وقال باقر شريف القرشي: «**تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله، وسنة نبيّه، وسيرة الخلفاء الراشدين**»[4]، ولا يخفى أن القرشي قد كرّر هذا الشرط الذي ذكره آل ياسين، وهذا ما

---

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة: ١/ ٥٣٣.

(٢) الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة(عليهم السلام): علي بن محمد بن أحمد المالكي(ابن الصباغ المالكي)(ت ٨٥٥هـ)، ط٢، دار الأضواء، بيروت - لبنان ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م: ١٥٤ - ١٥٥. وينظر: أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي، حققهُ، السيد حسن الأمين، ط٥، دار التعارف للمطبوعات، بيروت،(١٤١٨هـ- ١٩٩٨م): ٢/ ٣٧٦.

(٣) صلح الحسن(عليه السلام): الشيخ راضي آل ياسين، ط٤، منشورات ناصر خسرو، بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م: ٢٥٩.

(٤) حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٢٣٢.

فعله هاشم معروف الحسني[١]، وحسين الشاكري أيضاً[٢].

إن تقدم هذا الشرط جاء لاشتهاره، وعظمته، فالعمل بكتاب الله، هو أساس نجاح كل أمرٍ، وقضية، فهو دستور المسلمين، فالتمسك بأحكامه ضمان الفوز والظفر، وترك العمل بها يعني الضلال، والشقاء، وسوء المآل، ومن هنا جاء توكيد الحسن(عليه السلام) هذا المبدأ؛ لأنه حصانةٌ للأمة من التفرق، والتشتت، والاختلاف.

ثالثاً: استشهادُه بالنصوص القرآنية:

إنّ الحسن(عليه السلام) حينما ننظر إلى حقيقته نرى كيف تتجاذبه كلمات الله(عزّ وجلّ) من جوانبه كافةً، وليس هذا الأمر بغريب عمّا نشأ في بيت الوحي والتنزيل، فقد اتصل بالقرآن الكريم منذ صغره، وانكب على حفظه، وتدبّره، وفهم دلالاته ومعانيه، فانعكس هذا الفهم على سلوكه وتصرفاته من جهة، وعلى بلاغته وأسلوبه من جهة أخرى، وقد وظف النصوص القرآنية مستشهداً بها في كثير من كلامه، وأول ما يلقانا من هذه النصوص القرآنية البليغة التي استشهد بها، ما ضمّنها خطبته التي ألقاها بعد استشهاد أبيه علي(عليه السلام)، فقال: «**لقد قبض في هذه الليلة رجلٌ لم يسبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون وقد كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) يعطيه رايته، ويقاتل جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح اللهُ عليه، وما ترك على ظهر الأرض صفراء، ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله، أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومَنْ لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن الوحي، وأن ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله والسراج المنير، وأنا من أهل**

(١) ينظر سيرة الأئمة الاثنى عشر: هاشم معروف الحسني، ط٥، مطبعة شريعة، إيران: ١/ ٥٢٤.

(٢) ينظر: موسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى): ٥/ ١٧٠.

البيت الذي كان جبريل ينزل فينا، ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودّتهم على كُلِّ مسلمٍ، فقال لنبيّه: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾**، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت»**[١].

ففي هذا النص إقرار بعصمة أهل البيت(عليهم السلام)، وكونهم مطهرين من الرجس، والخطأ والزلل، ووجوب مودّتهم وحبهم، وقد اتفقت كلمة المسلمين على فضل أهل البيت، وعلو مقامهم العلمي والروحي، ونيلهم مجموعة من الكمالات التي أراد الله(عز وجل) للإنسانية أن تتحلّى بها، ويعود هذا الاتفاق إلى تصريح الذكر الحكيم بالموقع الخاص لأهل البيت(عليهم السلام) من خلال النصّ على تطهيرهم من الرجس، ولئن اختلف المسلمون في دخول نساء النبيّ في مفهوم أهل البيت فإنهم لم يختلفوا في دخول عليّ، وفاطمة، والحسنين في ما تقصده الآية المباركة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(الأحزاب/ من الآية/ ٣٣)، قال الشوكاني: «(أهل البيت) هذا يشمل زوجات النبيّ(صلى الله عليه وآله) وعليّ وفاطمة والحسن والحسين(ويطهركم تطهيرا) أي يطهركم من الأرجاس والأدران تطهيراً كاملاً»[٢]، وإنّهم القربى الذين تجب مودّتهم كأجر للرسالة التي أتحف اللهُ بها الإنسانية جمعاء[٣].

---

(١) الذرية الطاهرة: أبو البشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الرازي الدولابّي(ت ٣١٠هـ)، تحقيق: السيد محمد جواد الجين الجلالي، ط٨، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م: ١٠٨.(الشورى/ ٢٣).

(٢) زبدة المعاني من تفسير الشوكاني(مطبوع بهامش القرآن الكريم): الإمام محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني(ت ١٢٥٠هـ)، تعليق الدكتور: محمد أبو زيد، ط١، دار الفجر الإسلامي، دمشق، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م: ٤٢٢.

(٣) ينظر: أعلام الهداية(الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام))، المجمع العلمي لأهل البيت(عليهم السلام)

وروى المسعودي خطبة له(عليه السلام)، وقد ضمنها آيات من الذكر الحكيم، ذكرنا في موضع وصفه(عليه السلام) القرآن الكريم(١).

وكان الحسن(عليه السلام) يجلس في مسجد رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ويجتمع الناسُ حوله فيتكلم مما يشفي غليل السائلين، ويقطع حجج المجادلين، ومردّ هذا الأمر كما قلنا من قبلُ هو اتصاله الوثيق، وارتباطه العميق بكتاب الله(عز وجل)، وكونه من بيت الوحي والتنزيل، قال الأربلي: «روى الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحديّ(رحمه الله) في تفسيره الوسيط ما يرفعه بسنده أنّ رجلاً قال: دخلت مسجد المدينة، فإذا أنا برجل يحدّث عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) والناس حوله، فقلت له: أخبرني عن ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾(٢)، فقال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم النحر، فجزته إلى آخر يحدث فقلت له أخبرني عن(شاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ) فقال نعم أما الشاهد فيوم الجمعة و أما المشهود فيوم النحر فجزتهما إلى غلام كأنَّ وجهه الدينار وهو يحدّث عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فقلت: أخبرني عن(شاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ)، فقال: **نَعَمْ، أما الشاهد فهو محمد(صلى الله عليه وآله) وأما المشهود فيوم القيامة، أما سَمِعْتَه يقول:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴾، فسألت عن الأول؟ فقالوا: ابن عباس، وسألت عن الثاني؟ فقالوا: ابن عمر، وسألت عن الثالث؟ فقالوا: الحسن بن علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وكان قول الحسن أحسن»(٣).

الطبعة الأولى، دار الأميرة، بيروت، ٢٠٠٥م: ٢٥.

(١) ينظر: مروج الذهب: ٣/ ١٠ – ١١.

(٢) البروج اية ٣

(٣) كشف الغمة: ١/ ٥٠٩ – ٥١٠. وينظر: الفصول المهمة: ١٤٧.(البروج/ ٣)،(الأحزاب/ من الآية ٤٥)،(هود/ من الآية ١٠٣).

إنَّ فهم كتاب الله عز وجل، وتدبر دلالاته قد انعكس على سلوك الحسن(عليه السلام)، وتعامله مع الناس، فيروى أنَّ إحدى جواري الحسن(عليه السلام) قد قدّمت له هدية وهي(طاقة ريحان) فقبل(عليه السلام) هديتها، وقال لها: أنت حرّة لوجه الله(عز وجل) وكان أحد الأشخاص جالساً فشاهد الموقف الإنساني للحسن(عليه السلام) فتعجب كيف أعتقها مقابل طاقة ريحان، وهي لا تساوي شيئاً؟، فتبسم الحسن(عليه السلام)، فقال هكذا أدّبنا الله؛ لأنه يقول في القرآن المجيد: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾(النساء/ من الآية ٨٦) ورأيت أن الأفضل في هدية هذه الجارية هو أن أعتقها في سبيل الله(عز وجل)[1].

---

(١) ينظر: ثورة الإمام الحسن(عليه السلام) محمد الحسيني الشيرازي، ط٢، دار صادق للطباعة، كربلاء المقدسة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م: ٢٨ - ٢٩.

المبحث الثاني:

أثر التكامل الإنساني عند المصطفى(صلى الله عليه وآله) في إنسانية الحسن(عليه السلام)

الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) مَثَلُ الله(عز وجل) الأعلى للإنسان الكامل، صوّرَهُ خلقاً سوياً ليرسم الأخلاق بالمثل، ويعلم الدين بالعمل، وينظم الحياة بالقدوة فهو صادق العزم، كريم العهد، وثيق الذمة، راجح الحكم، شاهد اللب، لين العطف، حلو المعاشرة[1].

وقال مصطفى صادق الرافعي: «لم يكن مثله(صلى الله عليه وآله) في الصبر والثبات واستقرار النفس، واطمئنانها على زلازل الدنيا، ولا من الرحمة ورقة القلب والسمو فوق معاني البقاء الأرضي»[2].

لقد تجلّت فيه(صلى الله عليه وآله) مواهب الكمال الإنساني، وقد وصفه الله(عز وجل)، في سورة القلم بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(القلم/ ٤) والخلق: الصفات والشمائل الكريمة، والخلق العظيم هو الخلق المثالي الرفيع وهي شهادة ربانية لمحمد(صلى الله عليه وآله) بأخلاقه الخيرة، وشمائله الحميدة[3]، وقد أثر عنه أنه كان يقول: «لا يقولَنَّ أحدكم خبُثت نَفْسِي، ولكن

(١) ينظر: وحي الرسالة(فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع): أحمد حسن الزيات، ط٨، دار ونهضة مصر، الفجّالة، القاهرة، ١٩٥٣م: ١/ ١٣٤.

(٢) وحي القلم: مصطفى صادق الرافعي: ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٤٦هـ- ٢٠٠٥م: ٣/ ٨.

(٣) ينظر: محمد خاتم المرسلين: شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، مصر، ٢٠٠٩م: ٧١.

ليقل: لَقَسَتْ نفسي»، كراهية أن يضيف المسلم الخبث إلى نفسه[١] ما أجمل هذه العبارة التي تفيض رحمة وإنسانيةً !!!

لم يكن المصلح الأول محمد(صلى الله عليه وآله) رجلاً يقابل السيئة بالسيئة مع مَنْ أساء إليه من أعدائه، أولئك الذين لم يقصّروا في عدائه، ومحاربته، عندما سيطر عليهم لم ينادِ بالانتقام، ولا بالقصاص، ولم يدع إلى تشكيل محكمة ثورية لمحاكمتهم، وللأخذ بالثأر منهم، بل كان يحب هدايتهم، فلم يقتص من وحشي قاتل عمّه حمزة(رضي الله عنه)، ودخل مكة فاتحاً من دون إراقة قطرة دم[٢].

قال خليفة بن خياط(ت ٢٤٠هـ): «عن عبد الله الأعرج عن معقل بن يسار أنه شهد النبي(صلى الله عليه وآله) يوم الحديبيّة وهو رافع غصْناً من أغصان الشجرة على رأس رسول الله يبايع الناس فبايعوه على أن لا يغدروا وهم يومئذ ألف وأربعمائة»[٣].

إنَّ هذه الإنسانية المتكاملة التي تشرّفت بأن تتلبس بسيد الكائنات، وأفضل الموجودات وفخرها المصطفى(صلى الله عليه وآله) لا يضدّها ما سالت به أقلام المتسرّعين من نحو صُهيب الروميّ الذي ذهب إلى «أنَّ الرسول لم يبلغ شأواً من الكمال الإنساني الذي يرضي العقل والقلب تمام الرضا، والقرآن نفسه يشهد على افتراض أننا لا نعتبر سوى القرآن وثيقة، إنَّ هناك بعض نواح من شخصية الرسول العربي تترك النفس في شيء

---

(١) ينظر: الحيوان: عمرو بن بحر الجاحظ(ت ٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٣٥٦هـ- ١٩٣٨م: ١/ ٣٣٥.

(٢) ينظر: محمد(صلى الله عليه وآله) في القرآن: رضا الصدر، مكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران، ١٤٢٠هـ: ٣٨ - ٣٩.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط برواية تقي بن خالد: خليفة بن خياط العَصْفري(ت ٢٤٠هـ) تحقيق: الدكتور سُهيل زكّار، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م: ٣٩.

من الارتباك والتساؤل(...) فليس من سبيل إذن إلى متابعة بعض المتهوّسين من رفع الرسول إلى أسمى درجات الكمال الإنسان»[١].

إن هذه الإنسانية التكاملية عند المصطفى(صلى الله عليه وآله) كان لها صَداَها في نفس الحسن(عليه السلام)، فنهل منها ما شاء أن ينهل، مقتدياً بجدّه في الاحتواء على محاسن الأخلاق كلّها، واستحقاق الفضائل والشمائل بأسرها، فنال خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، وهذا ما سنعرض له.

أولاً: تَسميتُه ورعايتُه:

تجمع المصادر والمراجع التي وقفنا عليها أنَّ جدّه الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) هو الذي سمّاه حسناً، قال ابن إسحاق(ت ١٥١هـ): «لمّا خطب عليٌّ فاطمة أتاها رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فقال: «**إنَّ علياً قد ذكرك**»، فَسَكَتَت فخرج رسول الله(صلى الله عليه وآله) فزوّجها، حدثنا أحمد: حدثنا يونس: قال: سَمِعْت ابن اسحاق، قال: فولدت فاطمة لعليّ، الحسن، والحسين، ومحسن، فذهب محسن صغيراً، وولدت له: أم كلثوم، وزينب، حدثنا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن هانئ بن هانئ عن عليّ، قال: «**لما ولد حسن سميتُه حرباً**»، قال: فجاء رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فقال: «**أروني بُنَيّ، ماذا سميتموه**»؟ فقلت: سميته حرباً، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «**لله عليه، لا ولكن اسمه حسن**»، فلما ولدت حُسَينا سميته حرباً، فجاء رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فقال: «**أروني ابني ما سميتموه**»؟ فقلتُ: «**سميته حرباً**»، فقال: «**لا، ولكن اسمه حُسَين**»(...) ثم قال: «**إنّي سمّيتُهم ببني هارون: شَبَرَه وشُبَيْرا، يقول: حَسَن وحُسَين**»[٢].

(١) سيرة محمد(البيئة والنشأة): صهيب الرّومي، ط١، بَيْسان، بيروت – لبنان، ٢٠٠٦م: ٣١٩.

(٢) سيرة ابن إسحاق(المسماة بـ(كتاب السير والمغازي): محمد ابن إسحاق بن يسار(ت ١٥١هـ)، تحقيق الدكتور سهيل زكّار، مؤسسة إسماعيليان، قم – إيران، ١٤١٠هـ: ٢٤٦ – ٢٤٧،

وقد ولد(عليه السلام) في المدينة المنورة في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وهو أول غرس للشجرة العلوية الفاطمية، والدوحة الهاشمية[1].

ولم يكتفِ المصطفى(صلى الله عليه وآله) بتسميته فقد «عقّ عنه يوم سابعه، وحلق شعره، وأمر أنْ يتصدق بزنة شعره فضّة، وهو خامس أهل الكساء»[2].

وقال سبط ابن الجوزي(ت ٦٥٤هـ): «وأذّن رسول الله(صلى الله عليه وآله) في أُذنـه»[3]، وقد توسّع ابن الصبّاغ المالكي(ت ٨٥٥هـ) في ذكر رعاية النبيّ(صلى الله عليه وآله) لحفيده الحسن(عليه السلام)، فقال: «ولد الحسن بن علي عليهما السلام في المدينة في النصف من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث من الهجرة، وكان الحسن أول أولاد فاطمة(عليها السلام)(...) وأتاه رسول الله(صلى الله عليه وآله) فسرّه، ولثّاه بريقه، وقال: «**اللهمّ إني أعيذه بك، وولده من الشيطان الرجيم**»، فلما كان اليوم السابع من مولده قال(صلى الله عليه وآله) «**ما سميتموه**» قالوا: حرباً، قال(صلى الله عليه وآله): «**بل سمّوه حسنا**»، ثم إنّه(صلى الله عليه وآله) عقّ عنه، وذبح كبشاً، وتولى ذلك بنفسه الكريمة، وقال لفاطمة عليها السلام: احلقي رأسه، وتصدّقي بوزن الشعر فضة، فكان الوزن عن شعره بعد حلقه

وينظر: الذرية الطاهرة: ٩٧، ودلائل الإمامة: أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، من علماء القرن الرابع الهجري، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م: ٦٠. وأسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي كريم محمد بن محمد الشيباني المعروف بـ(ابن الأثير(ت ٦٣٠هـ))، ط١، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م: ١/ ٥٥٦.

(١) ينظر: تاريخ خليفة بن خياط، ٣٨، ودلائل الإمامة: ٦٠، ومقاتل الطالبيين: أبو الفرج الأصفهاني(ت ٣٥٦هـ)، شرح وتحقيق، السيد أحمد صقر، دار إحياء التراث العربي، بيروت(د.ت): ٤٩.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة: ١/ ٥٥٦، وينظر: تذكرة الخواص من الأمّة بذكر حقائق الأئمة(عليهم السلام) يوسف بن علي البغدادي سبط ابن الجوزي(ت ٦٥٤هـ) تحقيق: حسين تقي زادة، مطبعة ليلى، إيران، ١٤٢٦هـ: ١/ ٥. وكشف الغمة: ١/ ٤٨٤.

(٣) تذكرة الخواص من الأمّة: ١/ ٥.

درهماً وشيئاً فتصدّقت به، فصارت العقيقة، والتصدّق بوزن الشعر سنة عند العلماء بما فعله النبيّ(صلى الله عليه وآله) في حقّ الحسن(عليه السلام)»[١].

ولا يخفى البعد الإنساني في تغيير اسمه من حرب إلى حسن، فجدّه(صلى الله عليه وآله) أراد له أن يكون حسناً لا حرباً، فالحُسْنُ: «عبارة عن كُلّ مبهج مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحسن، والحسنة يعبّر عنها عن كلّ ما يسرّ من نعمة تنال الإنسان من نفسه، وبدنه وأحواله»[٢]، فأراد جدُّه(صلى الله عليه وآله) أنْ يكون غرسه وبرعه حسناً في كُلّ شيءٍ، مُبْعداً وسالباً عنه كلّ مكروه وسوء، فالدلالة الرئيسة لمادة(حرب) هي السَّلَبُ بخلاف الإيجاب، وما تحمله هذه الدلالة من صفات سلبيّة، ورذائل، زد على ذلك فإنَّ لفظة حرب ضد السَّلم مؤنثة، وقد ذكر[٣].

لقد رأى النبي(صلى الله عليه وآله) أن سبطه البكر الحسن(عليه السلام) صورة مصغّرة عنه، يضارعه في أخلاقه، ويحاكيه في سموّ نفسه، وأنه قبسٌ من سناه، يرشد أمته من بعده إلى طريق الحقّ، ويهديها إلى سواء السبيل[٤].

وذكرت المصادر أن الحسن(عليه السلام) كان أشبه الناس خُلْقاً، وخَلْقاً بجدّه

---

(١) الفصول المهمة: ١٤٣.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني(ت في حدود ٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٤، مطبعة كيميا، قم – إيران:(حسن): ٢٣٥.

(٣) ينظر: العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت ١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، ط١، منشورات دار الهجرة، قم – إيران، ١٤٠٥هـ: ١(حرب): ٣٦١، ومختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي(ت ٦٦٦هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م:(حرب): ١٢٨.

(٤) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علّي(دراسة تحليلية): باقر شريف القرشي: ١/ ٦٠.

المصطفى(صلى الله عليه وآله)، قال الدولابي: «كان أشبههم برسول الله(صلى الله عليه وآله) يعني أهل البيت الحسن بن علي(رضي الله عنهما)»[١]، وقال المفيد(ت ٤١٣هـ) «وكان الحسن أشبه الناس برسول الله(صلى الله عليه وآله) خلقاً، وهدياً، وسؤدداً»[٢]، وقال الأربليّ: «صلىّ أبو بكر العصر ثم خرج يمشي، ومعه عليّ(عليه السلام)، فرأى الحسن يلعب بين الصبيان، فحمله أبو بكر على عاتقه، وقال:

بـأبـي شَـبِـيـهٌ بالنبيّ لَـيْـس شـبـيـهـاً بـعـليّ

وعلي(عليه السلام) يضحك»[٣]، وقال الحسني: «وقال واصفوه أنه كان أشبه الناس برسول الله خُلْقاً وخَلْقاً وسؤدداً، وهيبةً»[٤].

إنَّ هذا الحُنو الكبير من لدن المصطفى(صلى الله عليه وآله) على سبطه الحسن(عليه السلام)، جعلته يتقمص إنسانيته المتكاملة، فقد أشبهه بخُلُقه وخَلْقه، وقد جسد أخلاقه، وشمائله، وكان يلهج بها دائماً.

إنَّ ولادة الحسن(عليه السلام) في حجر النبي(صلى الله عليه وآله)، وتدرّجه في عشِّ النبوة، وبيت الطهارة والعفة جعلته ذا إنسانية مثالية.

ثانياً: الأحاديث النبوية الشريفة في حقّه(عليه السلام):

لقد أطلّ على العالم الإسلامي نورٌ من أنوار النبوة من بيت أَذِنَ اللهُ أَنْ يرفع ويذكر فيه اسمه، وانبثق من دوحة النبوة فرع زاك، رفع الله به كيان الإسلام، وأشاد به صروح

(١) الذرية الطاهرة: ٩٨.

(٢) الإرشاد: محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي الملقب بـ(الشيخ المفيد)(ت ٤١٣هـ)، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٩ – ٢٠٠٤م: ١٧٨.

(٣) كشف الغمة: ١/ ٤٩١، وينظر: تهذيب التهذيب: ٢/ ٥١، وينظر: الفصول المهمة: ١٤٤.

(٤) سيرة الأئمة الاثني عشر: هاشم معروف الحسني: ١/ ٤٦٣.

الإيمان وأصلح به بين فئتين عظيمتين[١]، فهو(عليه السلام) وأخوه الحسين(عليه السلام) دوحتا النبوة التي طابت فرعاً، وأصلاً وشعبتا الفتوة التي سمت رفعة ونبلاً[٢].

وقد رويت الأحاديث الحسان، مما يشار إليها بالبنان في فضل الحسن(عليه السلام)، وجُلّ هذه الأحاديث تؤكد تعلق المصطفى(صلى الله عليه وآله) بابنه الحسن(عليه السلام)، فهو ريحانته، وحبه، والدعاء له بالسلم، وكونه سيد شباب أهل الجنة، وتعرف الناس منزلته، وغيرها من الأوصاف.

وجرياً على سنن المنهج العلمي ومسايرة للأمانة العلمية سنذكر أهم حديث يخصّ عنوان دراستنا، لما له مَسِيْس بالإنسانية المثالية عند الحسن(عليه السلام)[٣]، وهو:-

«إنّ ابني هذا سيد، ولعلّ اللهَ أنْ يصلح به بين فئتين عظيمتين» روى البخاري (ت ٢٥٦هـ) هذا الحديث في ثلاثة مواضع من صحيحه، وهي على الترتيب: «باب قول النبيّ(صلى الله عليه وآله) للحسن بن علي(رضي الله عنهما): «**ابني هذا سيد، ولعلّ اللهَ أنْ يصلح به بين فئتين عظيمتين**»[٤]. والموضع الثاني جاء مكرّراً نصّاً حرفياً[٥]، أما الموضع الثالث فجاء مسنداً مع زيادة، قال: «باب مناقب الحسن والحسين(رضي الله عنهما)(...) حدّثنا صَدَقة: حدثنا ابنُ عُيَينة: حدثنا أبو موسى عن الحسن: سَمِع أبا بكرة: سَمِعْتُ

(١) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ١/ ٥٣.

(٢) ينظر: كشف الغمة: ١/ ٤٨٧.

(٣) وقد كفانا الشيخ القرشي مؤونة ذكر هذه الأحاديث، فقد ذكر أحاديث رويت في حقه أولا، وحقه وحق أخيه الإمام الحسين(عليهما السلام) ثانياً، والثالثة في أهل بيته.(حياة الإمام الحسن بن علي: ١/ ٨٦ – ٩٩).

(٤) صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(ت ٢٥٦هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م: ٤٧٨.

(٥) ينظر: م . ن: ٤٧٨.

النبيّ(صلى الله عليه وآله) على المِنبر، والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرّة، وإليه مرّة، ويقول: **ابني هذا سيّد، ولعلّ اللهَ أنْ يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[١].

وقال الدولابي(ت٣١٠هـ): «حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب: حدثنا أبو النعمان، حدثنا حماد بن زيد عن علي بن زيد عن الحسن عن أبي بكرة، قال: بينما رسول الله(صلى الله عليه وآله) يخطب إذ صَعِدَ إليه الحسن فضمّه إليه: فقال: **إنّ ابني هذا سيّد، وإنَّ اللهَ علّه أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين**»[٢].

وقال المسعودي(ت ٣٤٦هـ): «إنَّه لما صالح الحسن معاوية كبّر معاوية في الخضراء، فخرجت فاختة بنت قرظة من خوخة لها، فقالت: سرَّك اللهُ يا أمير المؤمنين ! ما هذا الذي بلغك؟ قال: أتاني البشير بصلح الحسن، وانقياده فذكرت قول رسول الله(صلى الله عليه وآله) «**إنَّ ابني هذا سيّد أهل الجنة، وسيصلح اللهُ به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين، فالحمدُ للهِ الذي جعل فئتي إحدى الفئتين**»[٣].

وقال عماد الدين المعروف بـ(ابن حَمْزة) من أعلام القرن السادس الهجري: «إنه لما وقع عليه من أصحابه ما وقع وألجأه ذلك إلى مصالحة معاوية، فصالحه، واشتدّ ذلك على خواص أصحابه، فكنتُ أحدهم، فجئته فعذلته، فقال: يا جابر لا تعذلني، وصدِّق رسول الله(صلى الله عليه وآله) في قوله: «**إنَّ ابني هذا سيد، وإنَّ الله تعالى يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»، فكأنه لم يشفِ ذلك صدري، فقلتُ: لعلّ هذا شيءٌ يكون بعد، وليس هذا هو الصلح مع معاوية، فإنَّ هذا هلاك المؤمنين وإذلالهم فوضع يده على صدري،

---

(١) صحيح البخاري: ٦٦٤.

(٢) الذرية الطاهرة: ١٠٢.(علّه لغة في(لعلّ)).

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي: ٣/ ٩.

وقال: شككت، وقلت كذا»[١].

وقال ابن الأثير(ت ٦٣٠هـ): «فظهرت المعجزة النبوية في قوله،(صلى الله عليه وآله): «**إنَّ ابني هذا سيد يصلح اللهُ به بين فئتين من المسلمين، وأي شرف أعظم من شرف من سمّاه رسول الله(صلى الله عليه وآله) سيّدا**»[٢].

وقال سبط ابن الجوزي(ت ٦٥٤هـ) بعد أن ذكر سلسلة من الرواة: «حدّثني أبو بكرة(نفيع بن الحارث)، قال: «رأيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) على المنبر، والحسن إلى جنب، وهو يقبل على الناس مرّة، وعلى الحسن أخرى، ويقول: **إنَّ ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[٣].

وقال الأرْبليّ(ت ٦٩٢هـ): «فمنها ما اتفقت الصحاح على إيراده، وتطابقت على صحة إسناده، وروى مرفوعاً إلى أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي، قال: رأيتُ رسول الله(صلى الله عليه وآله)، والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرّة، وعليه مرّة، ويقول: «إنَّ ابني هذا سيد، ولعلّ اللهَ أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين»[٤]. وقال أيضاً: «رُوي عن أبي بكرة قال: بينما رسول الله(صلى الله عليه وآله) يخطب إذ صَعِد إليه الحسن فضمّه إليه، وقال: **إنّ ابني هذا سيّد، وإنَّ الله علّه أنْ يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين**»[٥].

---

(١) الثاقب في المناقب: الفقيه عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي الطوسي المعروف بـ(ابن حمزة) من أعلام القرن السادس الهجري، تحقيق: نبيل رضا علوان، ط٤، حواسة أنصاريان للطباعة، إيران، ١٤٨٢هـ- ٢٠٠٧م: ٣٠٦ - ٣٠٧.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة: ١/ ٥٦٠.

(٣) تذكرة الخواص من الأمة: ١/ ١١، و ١/ ٦٧.

(٤) كشف الغمة، ١/ ٤٨٩.

(٥) م. ن: ١/ ٤٩٨.

وقال ابن كثير(ت ٧٧٤هـ): «وهكذا وقع الأمر كما أخبر به النبي(صلى الله عليه وآله) سواء فإن الحسن بن علي لما صار إليه الأمر بعد أبيه، وركب في جيوش أهل العراق، وسار إليه معاوية فتصافا بصفتين على ما ذكره الحسن البصري، فمال الحسن بن علي إلى الصلح، وخطب الناس، وخلع نفسه من الأمر، وسلّمه إلى معاوية، وذلك سنة أربعين فبايعه الأمراء من الجيشين(...) وقد شَهِد الصادق المصدوق للفرقتين بالإسلام فمن كفرهم أو واحداً منهم لمجرد ما وقع فقد أخطأ، وخالف النصّ النبوي المحمّدي الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وقد تكمل بهذه السنة المدّة التي أشار إليها رسول الله(صلى الله عليه وآله) إنها مدّة الخلافة المتتابعة بعده»[(١)].

وقال العسقلاني(ت ٨٥٢هـ): «وقال الحسن البصري: سَمِعت أبا بكرة يقول: بينما النبيّ(صلى الله عليه وآله) يخطب جاء الحسن فقال: **ابني هذا سيّد، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[(٢)].

وقال السيوطي(ت ٩١١هـ): «**حديث إنَّ ابني هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[(٣)].

وقال طه حسين: «رواية إن اللهَ سيصلح بك بين فئتين من المسلمين، فإن صَحّ هذا الحديث – وأكبر الظن – أنه صحيح. فقد وقع هذا الحديث من نفس الصبي موقعاً أيّ موقعٍ»[(٤)].

---

(١) البداية والنهاية: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي(ت ٧٧٤هـ) راجعهُ الأستاذ سُهَيل زكّار، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥م: ٦/ ١٦٤٠.

(٢) تهذيب التهذيب: ٢/ ٥٢.

(٣) تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي(ت ٩١١هـ)، ط١، دار المنار، مصر، ٢٠٠٣م: ١٤١.

(٤) الفتنة الكبرى: الدكتور طه حسين، ط١، دار المنار، مصر، ٢٠٠٣م: ٢/ ١٧٧.

وقال راضي آل ياسين: «وذكر يوم كان طفلاً بين يديّ أمه فاطمة(عليها السلام)، ودخل عليها أبوها رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ورآه يلعب فقال لها: **إن اللهَ تعالى سيصلح على يدي ابنك هذا بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[١].

وقال باقر شريف القرشي: «وروى أبو بكرة، قال: رأيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) على المنبر، والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: «**إن ابني هذا سيد، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[٢].

وبعد بسط نصوص هذا الحديث، لابد من القول ومن باب توسعة دائرة البحث: إنَّ من الباحثين، وهو(هاشم معروف الحسني) قد ضعّف هذا الحديث، وجعله من الموضوعات مستدلاً على ذلك بأمور، هي:

١. إن راوي الحديث الوحيد هو(أبو بكرة) شقيق زياد بن عبيد لأمه سُميّة، وهو معروف بانحرافه عن علي وآل علي[٣].

---

(١) صلح الحسن(عليه السلام): ١٧٠ – ١٧١.

(٢) حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ١/ ٨٧.

ومنهم أيضاً الشيخ آية الله(محمد السند)، ونلمح هذا من كلامه، وإن لم يصرّح به.(ينظر: الإمام الحسن بن علي(عليه السلام) شجاعة قيادة وكلمة وسياسة،(تقديراً لأبحاث الأستاذ آية الله المحقق الشيخ محمد السند) بقلم: إبراهيم البغدادي، ط١، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م: ٨٢).

(٣) ينظر: سيرة الأئمة الاثني عشر: ١/ ٥٢٩.(أبو بكرة اسمه نفيع بن الحارث بن كدة، قيل: اسم أبيه مسروح، وكان عبداً للحارث، فاستلحقه الحارث وهو أخو زياد، وإنما لقب بأبي بكرة؛ لأنه تدلّى من حصن الطائف ببكرة إلى النبي(صلى الله عليه وآله) فلذا سمّي بهذا الاسم، وارتكب جريمة هو وجماعة من أصحابه فجلدهم عمر بن الخطاب، ثم تابوا، فكان يقبل شهادتهم بعد التوبة إلا أبا بكرة فإنه لم يجز شهادته).(ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ١٨٤).

٢. جعل معاوية بن أبي سفيان من الفئة المسلمة، على الرغم من كونه قد بغى على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)[١].

٣. إبعاد الجانب الغيبي من الحديث النبوي الشريف؛ لأنَّ فكرة الصلح عند الحسن(عليه السلام) لم تكن واردة عنده حتى اللحظات الأخيرة[٢].

وقد نسب إلى الذين استدلوا بهذا الحديث، وأخذوا به الوهم، فقال: «إنَّ هذا الحديث أخذه المسلمون من المسلّمات، وقرّت بهذه الرواية عين واضعها معاوية بن أبي سفيان(...) وقد عدّها أكثر الشيعة أنها كرامة للإمام الحسن(عليه السلام)»[٣]، وقد ردَّ كذلك على طه حسين فيما ذهب إليه من قبوله هذا الحديث، فقال: «وهذا يرد على ما ذهب إليه الدكتور طه حسين الذي وقف عند الحديث وقفة طويلة كأنه اكتشف منجماً غنيّاً بالمعادن، فقد ذكرنا عيوبه، وبعض الشواهد على أنه من موضوعات الأمويين»[٤].

ومن الجدير بالذكر إنَّ المحقّق باقر شريف القَرَشيّ قد سلّم بهذا الحديث تسليماً تاماً، وعدّه سبباً من أسباب صلح الحسن(عليه السلام) مع معاوية، وقد ذكرنا من قبلُ قوله فيما يخص هذا الحديث، فقال: «وانطبع هذا الحديث في أعماق الإمام الحسن(عليه السلام)، وفي داخل ذاته منذ نعومة أظفاره، وتمثل أمامه في ذلك الموقف الرهيب، وإنّه ليطمئن إلى قول جدّه كما يطمئن إلى محكم التنزيل، وها هو ذا جدّه العظيم يقول له: وكأن صوته الشريف يرن بعذوبته المحبّبة في أذنه، ويقول لأمه الطاهرة البتول، ويقول على منبره ويقول بين أصحابه، ويقول ما لا يحصى كثرة: **إنَّ ابني هذا سيد، وسيصلح الله بين**

(١) ينظر: سيرة الأئمة الاثني عشر: ١/ ٥٢٩.
(٢) م.ن: ١/ ٥٣٠. وينظر: الإمام الحسن بن علي(عليه السلام) شجاعة وقيادة: ٧٩.
(٣) سيرة الأئمة الاثني عشر: ١/ ٥٢٩.
(٤) م.ن: ١/ ٥٣٥. وينظر: الفتنة الكبرى/ طه حسين: ٢/ ١٧٧.

فئتين من المسلمين»، وزادت هذه الذكرى تفاعلاً في نفسه، فقد رأى ما عناه جدّه(صلى الله عليه وآله) في(المدائن) رأي طائفتين:

إحداهما: شيعته وهم من خيار المسلمين، وصلحائهم من الذين وقفوا على أهداف الإسلام، وعرفوا حقيقته وواقعه.

الثانية: أتباع معاوية من السذّج، والبسطاء، والمنحرفين عن الإسلام، وهؤلاء وإن كانوا بغاةً قد خرجوا على إمام زمانهم، ولكنّهم يدّعون الإسلام وهاتان الطائفتان إن دارت رحى الحرب فإنّها ستطحن الكثير منهم، وبذلك يتضعضع كيان الإسلام، وتنهار قواه»[1].

وأرى أنّه لا ضير ولا إشكال من قبول الحديث، فهو من باب الإخبار بالغيب، وأن ذكره مراراً وتكراراً على ألسنة الناس برهان على القطع بوروده عن النبي(صلى الله عليه وآله) على سبيل مبدأ الجري والانطباق، فضلاً عن ذلك فإنَّ دلالة الحديث لا تخدش، ولا تقدح ساحة الحسن(عليه السلام)، وأي منقبة، وفضيلة، وسجية أعلى، وأرفع، وأنصح من مرتبة السيد، والمصلح العظيم بين المسلمين، ولاسيما كرامة الإنسان، وحرمة دمه، وماله، وعرضه هي مدار الشريعة الإسلامية أجمع، ألم يقل النبي(صلى الله عليه وآله) للحسن(عليه السلام) كما يروي الدولابي: «إنَّ رسولَ الله(صلى الله عليه وآله) أبصر الحسن بن علي مقبلاً، فقال: **اللهمّ سلّمه، وسلّم منه**»[2].

وقد خصّ النبي(صلى الله عليه وآله) أهل بيته، ومنهم الحسن(عليه السلام) بأوصاف تدلّ على البعد الإنساني، فهم يضمنون لراكبي سفينتهم النجاة من الغرق، فقال(صلى الله عليه وآله): «**النجوم أمان**

(١) حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ١٣٩.
(٢) الذرية الطاهرة: ١٠٣.

لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض من الاختلاف»[١].

وقد روى الطبري(ت ٣١٠هـ) أنه: «لمّا أراد عليّ الخروج من الرَّبذة إلى البصرة قام إليه ابنٌ لرفاعة بن رافع فقال: يا أمير المؤمنين: أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: **أما الذي نريد وننوي فالإصلاح إن قبلوا منا، وأجابونا إليه**، قال: فإن لم يجيبوا إليه؟ فقال: **نَدَعْهم بعذرهم، ونعطيهم الحق، ونصبر**، قال: فإن لم يَرضَوا؟ قال: **ندعهم ما تركونا**؟ قال: فإن لم يتركونا؟ قال: **امتنعنا منهم**، قال: فنَعَمْ إذاً وقام الحجّاج بن غزيّة الأنصاري، فقال: لأرضينّك في الفعل كما أرضيتني بالقول»[٢].

ونختم هذا المبحث بنصّ رواه أبو حنيفة الدَّينوري(ت ٢٨٢هـ)، يمثل وثيقة ذات مضمون إنساني في الصلح، وحقن الدماء، والابتعاد عن السب والشتم، قال «وبلغ عليّاً أنَّ حِجر بن عَدِيّ، وعمرو بن الحَمِق يظهران شتم معاوية، ولعن أهل الشام، فأرسل إليهما أن كُفّا عما يَبْلُغني عنكما، فأتياه، فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا على الحقِّ، وهم على الباطل، قال: **بلى وربِّ الكعبة المسدّنة**، قالوا: فَلِمَ تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: **كَرِهت لكم أن تكونوا شتّامين لعّانين، ولكن قولوا: اللهمّ احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتى يُعرف الحق من جَهِلَه، ويرعوى عن الغَيّ من لَجج به**»[٣]. وما أعرف جواباً أبين من هذا الجواب الذي يكشف عن سمو

(١) المستدرك على الصحيحين: ابن البيع الحاكم النيسابوري(ت ٤٠٥هـ)، المطبعة النظامية، حيدر آباد، الهند، ١٤٣٠هـ: ٣/ ١٤٩. وينظر حلية الأولياء: أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نعيم الأصبهاني(ت ٤٣٠هـ)، دار الكتب، بيروت، ١٣٢٧هـ: ٤/ ٣٠٦.

(٢) تاريخ الأمم والملوك المعروف بـ(تاريخ الطبري): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت ٣١٠هـ)، ط١، الأميرة، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م: ٣/ ١٩٧ – ١٩٨.

(٣) الأخبار الطوال: أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينوريّ(ت ٢٨٢هـ)، تحقيق عبد المنعم عامر، ط٢، مطبعة شريعة، ١٣٧٩هـ: ١٦٥.

الروح، وسعة الصبر والحلم، وأدب الحوار.

ثالثاً: السير على نهج جدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله) في التكامل الانسانيّ.

ومن لواحق هذا المبحث أن نأتي ببعض النصوص التي يفخر بها الحسن(عليه السلام) في كونه ابناً للمصطفى(صلى الله عليه وآله)، ومتبعاً لهديه ومنهجه، وكذلك الأحاديث التي رواها الحسن(عليه السلام) عن النبي المصطفى(صلى الله عليه وآله)، والتي تتجلى فيها الملامح الإنسانية العالية، لأن عقل الرجل ودينه قد يظهران مما يجري على لسانه من كلام غيره، كما يظهران في كلامه، كيف والمنقول عنه سيد الكائنات، وفخر الموجودات، وآية الوجود العظمى(صلى الله عليه وآله) التي تجلّت فيه مواهب الكمال الإنساني، والناقل هو برعمهُ، وريحانته سبطه الأكبر الحسن(عليه السلام)، قال ابن الجوزي: «ولما دفن قام أخوه محمد ابن الحنفية على قبره باكياً، وقال: رحمك اللهُ يا أبا محمد لئن عزت حياتك، لقد هدت وفاتك، ولَنِعْمَ الروحُ روحٌ عمّر به بدنك، ولنعم البدن بدن تضمّنه كَفَنك، وكيف لا؟ وأنت سليل الهدى، وحليف أهل التقوى، وخامس أصحاب الكساء، رُبِّيت في حجر الإسلام، ورضعت ثدي الإيمان، ولك السوابق العظمى، والغايات القصوى، وبك أصلح اللهُ بين فئتين عظيمتين من المسلمين، ولَمَّ بك شعث الدين، فعليك السلام فلقد طبت حيّاً ومَيِّتا»[١].

إنَّ أول هذه النصوص خطبته التي قالها بعد استشهاد أبيه علي بن أبي طالب(عليه السلام) وقد ذكرنا قسماً منها فيما سبق، قال الدولابي: «خطب الحسن بن علي الناس حين قتل عليّ فحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال:(...) **أيها الناسُ مَن عرفني فقد عرفني، ومَنْ لم يعرفني، فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله والسراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل يتنزل فينا**

(١) تذكرة الخواص من الأمة: ١/ ٦٧.

ويصعد من عندنا»(١).

إنَّ التدبر في ما نقلناه من هذه الخطبة يوصلنا إلى حقائق منها: أن الحسن(عليه السلام) أراد أن يعرّف نفسه للجماهير من باب التوكيد، فهو ابن الداعي إلى الله(عزّ وجلّ)، وابن السراج المنير، وأنه ممن أذهب الله(عزّ وجلّ) عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وقد اجتمعت فيه الكمالات والتقت فيه الفضائل، والشمائل، وقد تمثل في كلامه بلاغة الإعجاز، وروعة الإيجاز.

إنَّ تكرار الضمير(أنا)، وهو ضمير المتكلم يدل على التوكيد، فضلاً عن ذلك فإنّه من المبهمات فرجوعه إلى الإمام الحسن(عليه السلام) من دون ذكر اسمه صريحاً يدل على التعظيم والتفخيم.

ومن ذلك أيضاً رسالته(عليه السلام) إلى معاوية بن أبي سفيان، والتي تعدّ من الرسائل المهمة في بيان رحمة المصطفى(صلى الله عليه وآله)، وأخلاقه ومزاياه وصلابته في الحقّ، وتضحيته في سبيل الله(عزّ وجلّ) غير مقصر، وغير متوانٍ في إبلاغ الرسالة، فأراد أن يذكر الناس، وينبههم على هذا الجانب الإنسانيّ الكامل، ومنها قوله(عليه السلام): «من الحسن بن علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو، أمَّا بعدُ، فإنَّ الله جل جلاله بعث محمداً رحمة للعالمين، ومنّة للمؤمنين، وكافة للناس أجمعين: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾، فبلغ رسالات الله، وقام بأمر الله حتى توفّاه الله غير مقصر، ولا وان، وبعد أن أظهر الله به الحق، ومحق به الشرك، وخصّ به قريشاً خاصة، فقال له: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾»(٢).

(١) الذرية الطاهرة: ١٠٨.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٥٥.(يس/ ٧٠)،(الزخرف/ من الآية ٤٤).

وتتجلّى شدة الفخر بالانتساب إلى جدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله)، وكونه قد تفرّد بهذا الانتساب مع أخيه الحسين(عليه السلام)، وإنّ الهداية، والرشاد، والإنقاذ من الضلالة كانت ببركة وجوده(صلى الله عليه وآله)، ورسالته السمحاء، فقال في خطبة له لما تمّ الصلحُ، وانبرم الأمر مع معاوية، فحمد الله تعالى وصلى على نبيّه(صلى الله عليه وآله): «**أيها الناس، إنَّ أكْيَس الكيس التقي، وأحمق الحمق الفجور، وإنكم لو طلبتم ما بين جابَلْق، وجَابَرْس رجلاً جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله) ما وجدتموه غيري، وغير أخي الحسين، وقد علمتم أن اللهَ هو هداكم بجدّي محمد فأنقذكم به من الضلالة، ورفعكم به من الجهالة، وأعزّكم به بعد الذلّة، وكثّركم به بعد القلة، إنّ معاوية نازعني حقّا هو لي دونه، فنظرت لصلاح الأمة وقطع الفتنة**»[(١)].

أما الأحاديث النبوية التي رواها الحسن(عليه السلام) عن جدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله)، فقد تضمّنت معالم إنسانية عظيمة المضمون، فنجد الاختيار الثاقب والموفق من الحسن(عليه السلام)، في احتوائها، واشتمالها على ملامح إنسانية جليلة رواها(عليه السلام)؛ لتكون نماذج حيّة للإنسانية كي تسير على هديها، وتلتزم بطابعها الأخلاقي الرفيع، وكي تكون

---

(١) كشف الغمة: ١/ ٥٣٤.(جابلق) بالباء المعجمة المفتوحة واللام الساكنة رُوي عن ابن عباس أنها بأقصى المغرب، وأهلها من ولد عاد.(معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الرومي الحمويّ(ت ٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(د.ت): ٣/ ٣٢).(جَابَرْس) بالباء المعجمة المفتوحة، والراء الساكنة مدينة بأقصى الشرق زعم اليهود أن أولاد نبيهم موسى(عليه السلام) هربوا إما في حرب طالوت أو في حرب بخت نصّر، فسيّرهم الله وأنزلهم في هذا الموضع فلا يصل إليهم أحد، وقد طويت لهم الأرض، وجعل عليهم الليل والنهار سواء حتى انتهوا إلى(جابرس) فسكنوا فيها، ولا يحصي عددهم إلاّ الله فإذا قصدهم أحدٌ من اليهود قتلوه، وقالوا: لم تصل إلينا حتى أفسدتَ سنتك، وبهذا اللحاظ يستحلون دمه. معجم البلدان: ٣/ ٣٣. وينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٢٦٠(هامش رقم ٢، ٣).

واجهة فذّة لمجتمع إنساني رائد[(١)].

وقد جمع الدولابي(ت ٣١٠هـ) في كتابه الذرية الطاهرة مجموعة من الأحاديث، قد رواها الحسن(عليه السلام) عن جدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله)، وتعد مسنداً للحسن(عليه السلام)، وقد خصّص الدولابي باباً لها سمّاه: «مرويات عن الحسن بن الحسن عليهما السلام»[(٢)]. وقد تضمّن هذا المسند أحاديث كثيرة، علماً أن الحسن(عليه السلام) قد أخذها عن جدّه(صلى الله عليه وآله) وعمره ما بين السادسة والسابعة، وهذا لا يمنع من أنْ يكون قد أخذ عنه مباشرة[(٣)].

وسنذكر أحاديث رواها الحسن(عليه السلام) عن جدّه(صلى الله عليه وآله) مما لها مساس وثيق بالجانب الإنساني، وممّا يجدر ذكره أن الّذين كتبوا عن حياة الحسن(عليه السلام)، لم يقفوا على هذا المسند، ولاسيما المحقق القرشي(رحمه الله). وإليك هذه الأحاديث أيها القارئ الكريم:-

١. «أخبرني أحمد بن الوليد بن برد الأنطاكي: أن ابن أبي فُديك حدّثهم عن حبهم ابن عثمان بن عبد الله بن حسن عن أبيه عن جدّه الحسن بن علي، قال: «**قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): إنَّ من واجب المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم**»[(٤)].

٢. «قال الحسن بن علي(عليهما السلام): **قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): ما مِن رجلين اصطلاما**

---

(١) ينظر: موسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى): ٥/ ٩٠.

(٢) الذرية الطاهرة: ١٠٥.

(٣) ينظر: سيرة الأئمة الاثني عشر: ١/ ٤٧٠.(أشار هاشم معروف الحسني إلى كتاب(الذرية الطاهرة) عندما كان مخطوطاً، فقال: "وهو من مخطوطات المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة في تونس، وتوجد منه نسخة مصورة بالنجف في مكتبة الإمام أمير المؤمنين كما جاء ذلك من المجلد الثاني من(حياة الإمام الحسن بن علي) للقرشي".(سيرة الأئمة ألاثني عشر: ١/ ٤٦٩)، والتحقيق أن هاشم معروف الحسني لم يقف عليه، وكذلك الشيخ القرشي، فهو لم يشر إليه في كتابه(حياة الإمام الحسن بن علي - عليهما السلام) ألبتة.

(٤) الذرية الطاهرة: ١٠٥.

فوق ثلاث إلاَّ طويت عنهما صحيفة الزيادات»(١).

٣. «قال الحسن بن علي(عليهما السلام): **قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): حيث ما كنتم فَصَلُّوا عليّ، فإنَّ صلاتكم تبلغني(صلى الله عليه وآله)»**(٢).

٤. حديث في التحابُب والتقارب، عن «علي بن حسن عن الحسن بن علي بن أبي طالب، قال: **قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): حدّثني جبريل: إنَّ اللهَ اهبط على الأرض ملكاً فأقبل ذلك المَلَك يمشي حتى انتهى إلى باب رجل ينادي على باب الدار، فقال المَلَك للرجل: ما جاء بك إلى هذه الدار؟ فقال: أخٌ لي مسلم زرته في الله، قال: الله ما جاء بك إلا ذلك؟ قال الملك؟ فإنّي رسول الله إليك، وهو يُقْرِئك السلام، ويقول: وجبت لك الجنة، وأيّما مسلم زار مسلماً فليس إياه يزور، بل إياي يزور وثوابه عليّ الجنة»**(٣).

٥. «قال الحسن(عليه السلام): **«عَقَلْتُ عنه أنّي سمعتُ رجلاً يسأل رسول الله(صلى الله عليه وآله) فسمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله)، يقول: دعْ ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإنَّ الشرّ ريبة، والخير طُمَأنينة»**(٤).

ولا تخفى دلالة لفظة(عَقَلْتُ) التي تدلّ على نبوغه، وعبقريته(عليه السلام)، وإدراكه الواسع، والناظر في مرحلة طفولته(عليه السلام) يهيم بها إعجاباً، وإكباراً، وتقديساً، وذلك لما لها من آيات الكمال، والفضيلة، والذكاء، ولما مزجت بلونٍ من التربية الفاضلة، والرفيعة التي لم يظفر بها إنسان فيما نعتقد(٥).

---

(١) الذرية الطاهرة: ١٠٥ – ١٠٦.

(٢) م.ن: ١٠٦.

(٣) م.ن: ١١٠.

(٤) م.ن: ١١٥.

(٥) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ١/ ٧٠.

ومن الأحاديث ذات البعد الإنساني التي لم يذكرها الدولابي في مسنده، وذكرها القرشي[١] نقلًا عن تاريخ اليعقوبي ما نصّه: «قال الحسن: **كان رسول الله إذا سأله أحد حاجة لم يردّه إلاّ بها، وبميسور من القول**»[٢].

(١) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليه السلام): ١/ ٦٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي البغدادي(ت بعد سنة ٢٩٢هـ)، علق عليه ووضح حواشيه: خليل منصور، دار الزهراء: إيران، ١٤٢٩هـ: ٢/ ١٥٨.

المبحث الثالث:

أثر إنسانية أمير المؤمنين (عليه السلام) في الحسن (عليه السلام)

سنحاول في هذا المبحث أن نتحدّث عن أثر إنسانية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في ولده الحسن (عليه السلام)، ولا يخفى للداني والقاصي أمر هذه الشخصية الفذة التي حملت معالم الإنسانية العالية، وملامحها، فقد تجمعت فيه الفضائل، والشمائل ما تعجز الأقلام عن ذكرها، وإحصائها.

لقد دخل عليّ (عليه السلام) الإسلام، وهو لم يعقل الأوثان قط، فانماز بين السابقين الأولين بأنه نشأ نشأة إسلامية خالصة، وانماز كذلك بأنّه نشأ في منزل الوحي، بأدق دلالات هذه الكلمة، وأضيقها[1].

وقد أجاد طه حسين في بيان أحواله، ومناقبه، قال: «كان خليفتهم الجديد أجدر الناس بأن يملأ قلوبهم طمأنينة وضمائرهم رضا، ونفوسهم أملاً، فهو ابن عمّ النبي، وأسبق الناس إلى الإسلام بعد خديجة، وأول من صلى مع النبي من الرجال، وهو ربيب النبي قبل أنْ يظهر دعوته، ويصدع بأمر الله، أحسّ النبي أن أبا طالب يلقى ضيقاً في حياته فسعى إلى أعمامه؛ ليعينوا الشيخ على النهوض بثقل أبنائه(...) وأخذ النبي عليّاً فكفله، وقام على تنشئته، وتربيته، فلما آثره الله بالنبوة كان علي في كنفه لم يجاوز العاشرة من عمره إلاّ قليلاً، فنستطيع أن نقول: إنّه نشأ مع الإسلام، وكان النبي يحبه أشدّ الحب،

---

(١) ينظر: الفتنة الكبرى: ١/ ١٥١.

ويؤثره أعظم الإيثار استخلفه حين هاجر على ما كان عنده من ودائع حتى ردَّها إلى أصحابها، وأمره فنام في مضجعه ليلة ائتمرت قريش بقتله ثم هاجر حتى لحق بالنبي في المدينة فآخى النبي بينه، وبين نفسه، ثمّ زوّجه ابنته فاطمة ثم شَهِد مع النبي مشاهده كلها، وكان صاحب رايته في أيام البأس، وقال النبيُّ: «**لأعطيَنَّ الراية غداً رجلاً يحبّ اللهَ ورسولهُ، ويحبه اللهُ ورسولهُ**»، فلما أصبح دفع الراية إلى عليّ، وقال النبيّ له حين استخلفه على المدينة يوم سار إلى غزوة تبوك: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبيّ بعدي**»، وقال للمسلمين في طريقه إلى حجّة الوداع: «**مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ مَنْ عاداه**»، وكان عمر يعرف لعلي علمه وفقهه، ويقول: «إنَّ عليّاً أقضانا»، وكان يفزع إليه في كلّ ما يعرض له من مشكلات الحكم، وقال حين أوصى بالشورى: «لو ولّوها الأجلح لحملهم على الجادّة» إلى فضائل كثيرة يعرفها له أصحاب النبي على اختلافهم، ويعرفها له خيار المسلمين من التابعين، ويؤمن له بها أهل السنة كما يؤمن له بها شيعتُهُ»(1). وقال الدَّينوري: «عندما انتهت معركة الجمل، وسقط هودج السيدة عائشة، نادى علي(عليه السلام) في أصحابه: **لا تتّبعوا موليا، ولا تجهزوا على جريح ولا تنتهبوا مالاً، ومَن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن**»(2).

وروى ابن قتيبة(ت ٢٧٦هـ) في الإمامة والسياسة ما جرى في صفين من استيلاء جند معاوية على الماء أولاً، ومنعهم جيش علي(عليه السلام) من الاستسقاء بأمر معاوية، قائلاً: لا أسقاني اللهُ إن شربوا منه حتى يغلبوني عليه، فقال عمرو بن العاص له: هذا أول الجور إنَّ فيهم العبد، والأجير، والضعيف، ومن لا ذنب له، فلما غلب جند علي(عليه السلام) على الماء شمت عمرو بن العاص بمعاوية، وقال «ما ظنَّك إن منعك عليّ عن الماء اليوم كما

(١) الفتنة الكبرى: ٢/ ١٥ – ١٦.

(٢) الأخبار الطوال: أبو حنيفة الدينوري: ١٥١.

منعته أمسِ؟ أتراك ضاربهم كما ضربوك؟ فقال: دع ما مضى عنك فإنَّ عليّاً لا يستحلّ منك ما استحللت منه»[١].

وقد ذكرنا من قبل نتفاً من إنسانيته العالية، ومناقب علي(عليه السلام)، وأخبار إنسانيته كثيرة لا تليق بهذا الإملاء.

ويمكن بيان أثر إنسانية أمير المؤمنين علي(عليه السلام) في ولده الحسن(عليه السلام) من خلال:-

أولاً: وصايا عالية المضمون من إنسانية علي(عليه السلام) لولده الحسن(عليه السلام):

نقلت لنا الكتب التاريخية مجموعة من الوصايا الإنسانية ذات المضمون العالي، أوصى بها أمير المؤمنين علي(عليه السلام) ابنه الحسن(عليه السلام)، منها وصيته (عليه السلام) له عند انصرافه من صفين التي تتجلى فيها الكثير من القيم الإنسانية، كالدعوة إلى السلم، والتعايش، والتسامح، قال: «**وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته، فإنَّ الكفَّ عند حَيْرة الضلال خير من ركوب الأهوال، وأمرْ بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك(...) وعوّد نفسك التصبّر على المكروه، ونِعْم الخُلُقُ التصبّرُ(...) يا بني اجْعَل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحببْ لغيرك ما تُحب أن تظلمَ، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وارضَ من الناس بما ترضاه لهم من نفسك**»[٢]، وقال(عليه السلام) له: «**ولا تكونَنَّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان**»[٣].

---

(١) الإمامة والسياسة: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري(ت ٢٧٦هـ)، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٩م: ١/ ٨٩.

(٢) نهج البلاغة: الإمام علي بن أبي طالب(ت ٤٠هـ): شرح محمد عبده، ط١، بيروت، ١٤٣٠هـ- ٢٠١٠م: ٣/ ٣٦١ – ٣٦٦.

(٣) م.ن: ٣/ ٣٧١.

ومنها ما نقله أبو الفرج الأصفهاني(ت ٣٥٦هـ) في مقاتل الطالبيين، قال محققه(أحمد صقر): «فهو خير كتاب أخرج للناس في تاريخ الطالبيين وأدبهم، يجد فيه العلماء طلبتهم، والأدباء مناهم، ويجد فيه القاصون منهم مادة خصبة لإنتاجهم الفني»[(١)]، من وصية لأمير المؤمنين علي(عليه السلام) لابنه الحسن(عليه السلام) عندما ضربه ابن مُلجم، فقال: «**بسمِ الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(...) أوصيك يا حسن وجميع ولدي، وأهل بيتي ومَنْ بلغه كتابي هذا بتقوى الله ربّنا، ولا تموتُنّ إلاّ تفرّقوا، فإنّي سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله)، يقول: إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، وإن المبيدة الحالقة للدين فساد ذات البين(...) انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يهوّن الله عليكم الحساب، الله الله في الأيتام، فلا تغيرُنَّ أفواههم بجفوتكم، واللهَ اللهَ في جيرانكم، فإنها وصية رسول الله**(صلى الله عليه وسلم) **ما زال يوصينا بهم حتى ظننا أنه سيورّثهم(...) والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشهم**(...) ثم قال: **الصلاة الصلاة: لا تخافون في اللهِ لومة لائم، فإنه يكفكم مَنْ بغى عليكم وأرادكم بسوء قولوا للناس حسناً كما أمركم اللهُ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فيولّي الأمرَ عنكم، وتدعون فلا يستجاب لكم، عليكم بالتواضُعِ، والتباذُلِ، والتَّبار، وإيّاكم والتقاطع والتفرق والتدابر،**) ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[(٢)]».

وقد روى لنا الحسن(عليه السلام) وصية لأبيه أمير المؤمنين(عليه السلام) عندما حضرته الوفاة،

(١) مقاتل الطالبيين:(مقدمة المحقق أحمد صقر/ ر).

(٢) م.ن: ٣٩ – ٤١.(المائدة/ من الآية ٢)، وينظر(الكامل في التاريخ: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بـ(ابن الأثير)(ت ٦٣٠هـ)، مراجعة الدكتور سمير شمس، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٩م: ٣/ ٢٠، وكشف الغمة: ١/ ٤١٢ – ٤١٣.

نجد فيها مضامين عالية في الإنسانية، والتسامح، والإصلاح قلما يجود بمثلها الزمن، وقد نقلها ابن الصباغ المالكي، قال: «في رواية عن الحسن بن علي(عليه السلام) **لما حضرت أبي الوفاة أقبل يوصّي، فقال: هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أخو محمد رسول الله، وابن عمّه وصاحبه وخليفته، أول وصيتي أني أشهد ألاّ إله إلاّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله، وخيرته اختاره بعلمه وارتضاه لخلقه وأنَّ اللهَ باعث من في القبور، وسائل الناس عن أعمالهم، عالمٌ بما في الصدور، ثم قال: إني أوصيك يا حسن وكفى بك وصيّاً، بما أوصاني به رسول الله(صلى الله عليه وآله) فإذا كان ذلك، فالزم بيتك، وابك على خطيئتك، ولا تكن الدنيا أكبر همك، وأوصيك يا بني بالصلاة عند وقتها، والزكاة في أهلها عند محلها، والصمت عند الشبهات، والاقتصاد والعدل في الرضا والغضب وحسن الجوار، وإكرام الضيف، ورحمة المجهود، وأصحاب البلاد، وصلة الرحم، وحب المساكين ومجالستهم، والتواضع فإنّه أفضل العبادة، وقصر الأمل، وذكر الموت والزهد في الدنيا، فإنّك رهين موت، وعريض بلاء، وطريح سقم، وأوصيك بخشية الله تعالى في سرّ أمرك، وعلانيتك، وأنهاك في التسرع بالقول والفعل، وإذا عرض شيءٌ من أمر الآخرة ما بدأ به، وإذا عرض شيء من أمر الدنيا فتأنَّ به حتى تصيب رشدك فيه، وإياك ومواطن التهمة، والمجلس المظنون به السوء، فإن قرين السوء يغيّر جليسه، وكن لله يا بُني عاملاً، وعن الخَنا جوراً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، وآخِ الأخوين في اللهِ، وأحب الصالح لصلاحه، ودار الفاسق عن دينك، وابغضه بقلبك، وزايله بأعمالك؛ لئلا تكون مثله، وإيّاك والجلوس في الطرقات، ودع المماراة، ومجاورة مَن لا عقل له، واقتصد يا بُني في معيشتك، واقتصد في عبادتك، وعليك فيها بالأمر الدائم الذي تطيقه، والزم الصمت، وبه تسلم، وقدّم لنفسك تغنم، وتَعَلّم الخيرَ تُعَلِّم، وكن ذاكراً لله تعالى على كلّ حالِ، وارحم من أهلك الصغير،**

ووقّر منهم الكبير، ولا تأكلَنَّ طعاماً حتّى تتصدَّق منه قبل أكله، وعليك بالصوم، فإنّه زكاة البدن، ومنّة لأهله، وجاهد نفسك، واحذر جليسك، واجتنب عدوّك، وعليك بمجالس الذكر، وأكثر من الدعاء فإني لَم آلُك يا بني نصحاً وهذا فراق بيني وبينك، وأوصيك بأخيك محمد، فإنه ابنُ أبيك، وقد تعلمُ حبّي له، وأما أخوك الحسين، فإنه شقيق، وابن أمّك(...) والله الخليفة عليكم، وإياه أسأل أن يصلحكم، وأنْ يكفَّ الطغاة، والبغاة عنكم، والصبرَ الصبرَ حتى يقضي الله الأمر، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم[1]».

وتعلو صراخات الإنسانية العالية لحظة ضرب ابن مُلْجم رأسه الشريف، فأخذ يعاتب ابن ملجم، مبيّناً عقوبته التي سينالها من ابنه الحسن(عليه السلام) حين انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وإن بَقي، فإنه يتولّى أمره، وقد أوصى بالاحتياط بالدماء، وترك الشبهات، فالضارب يضرب ضربة بضربة، ونهى عن المُثلة، قال ابن الأثير: «ولمّا ضرب ابن مُلْجَم عليّا، قال: **لا يفوتَنَّكم الرجل، فشدّ الناس عليه فأخذوه**(...) وقال عليّ: **أحضروا الرجلَ عندي**، فأدخل عليه، فقال: **أي عدو الله: ألم أحسن إليك؟** قال: بَلَى، قال: **فما حملك على هذا؟** قال: شحذتُه أربعين صباحاً، وسألتُ الله أنْ يقتل به شر خلقه، فقال عليٌّ: **لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلاّ من شرّ خلق الله**، ثم قال: **النفس بالنفس، إنْ هلكت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيْتُ فيه رأيي، يا بني عبد المطلب، لا ألفينّكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قد قتل أمير المؤمنين، ألا يقتلَنَّ إلاّ قاتلي، انظُر يا حسن، إن أنا مت من ضربتي هذه، فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثلنَّ بالرجل، فإنّي سمعت رسول الله**(صلى الله عليه وآله)، **يقول: «إيّاكم والمُثلة ولو بالكلب العقور»**[2].، وقد خلا

(١) كشف الغمة: ١/ ١٢٨ – ١٢٩.

(٢) الكامل في التاريخ: ٣/ ١٩٩.

النص السابق من قيمة إنسانية، وهي الإحسان إلى السجين، وقد ذكرها اليعقوبي من قبل، فلما ضرب ابن ملجم علياً(عليه السلام) «أُتِي به إلى عليّ، فقال: **ابن ملجم**؟ قال: نعم، فقال: **يا حسن: شأنك بخصمك، فأشبع بطنه، واشدد وَثاقه، فإن مُتُّ فألحقه بي أُخاصمه عند ربّي، وإن عشت فعفو، أو قصاص**»[1].

ثانياً: وصف الحسن(عليه السلام) إنسانية أبيه(عليه السلام):

وصف الحسن(عليه السلام) أباه بأوصاف، تدلّ على ذوبان إنسانية أمير المؤمنين علي(عليه السلام) العالية في نفسه(عليه السلام)، وإدراكه لمعالمها، وملامحها، وليس من بين العظماء في صدر الإسلام من استقبل شهادة أبيه بكلام أجزل من هذا الكلام، وأدلّ على شعور قائله بفداحة الخطب، وجلالة المصاب، فالحسن(عليه السلام) وصّافة لا يجارى في وصف القيم الإنسانية العالية لأبيه أمير المؤمنين(عليه السلام) بالكلمات القليلة، مع مسابقة اللفظ للدلالة، والدلالة للفظ.

قال(عليه السلام) في خطبة له بعد استشهاد أبيه(عليه السلام)، مبيناً جهاده مع رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وسابقته في الإسلام، وطهارته، وعدالته، وعدم استئثاره بالمال العام، «**لقد قبض في هذه الليلة رجلٌ لم يسبقه الأولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول الله(صلى الله عليه وآله) فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجهه برايته، فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتّى يفتح الله عليه، ولقد عرج في هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، ولقد توفي فيها يوشع بن نون وصي موسى، وما خلّف صفراء، ولا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم بَقِيت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله**»[2].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٤٨.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٥١ – ٥٢، وينظر: كشف الغمة: ١/ ٥٠٥، الفصول المهمة: ١٥٢.

وقال(عليه السلام) وقد خنقته العبرة على فقد أبيه(عليه السلام) مبيناً عظم الخطب، وجلل المصاب، فقال: «**الحمد لله ما أحببنا، وكرهنا، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله(صلى الله عليه وآله)، وإني أحتسب عند الله(عز وجل) مصابي بأفضل الآباء رسول الله، القائل: من أصيب بمصيبة، فَلْيَتسل بمصيبته فيّ، فإنها أعظم المصائب، والله الذي لا إله إلاّ هو الذي أنزل على عبده الفرقان، لقد قبض في هذه الليلة رجل ما سبقه الأولون بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ولا يدركه الآخرون**»[1].

وتتعالى إنسانية أمير المؤمنين(عليه السلام)، وتتزاحم العواطف، وتكثر الأوصاف، والأفكار عندما خطب الحسن(عليه السلام)، وقد أرسله أبوه(عليه السلام) مع عمار بن ياسر إلى الكوفة، وفيها أبو موسى الأشعري من أجل نصرة أمير المؤمنين عليّ(عليه السلام)؛ لأن أبا موسى الأشعريّ كان كارهاً للقتال، مخذّلاً الناس عن نصرة إمامهم، فقال الحسن(عليه السلام): «**أيها الناس إنّا جئنا ندعوكم إلى الله، وإلى كتابه، وسنة رسوله، وإلى أفقه مَن تفقّه من المسلمين، وأعدل من تعدلون، وأفضل من تفضلون، وأوفى من تبايعون مَنْ لم يَعِبه القرآن، ولم تجهله السنة، ولم تقعد به السابقة، إلى من قرّبه الله تعالى، ورسوله قرابتين قرابة الدين، وقرابة الرحم، إلى من سبق الناس إلى كُلّ مأثرة إلى من كفى الله به رسوله والناس متخاذلون فقرب منه، وهم متباعدون، وصلّى معه، وهم مشركون، وقاتل معه وهم منهزمون، وبارز معه، وهم محجمون، وصدّقه وهم يكذبون إلى مَنْ لم تردّ له، ولا تكافأ له سابقة، وهو يسألكم النصر، ويدعوكم إلى الحقّ، ويأمركم بالمسير إليه، لتؤازروه، وتنصروه على قوم نكثوا بيعته، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه ومَثّلُوا بعماله، وانتهبوا ماله، فأشخصوا إليه رحمكم الله، فمُروا بالمعروف،**

(١) أعيان الشيعة: الأمين العاملي: ٢/ ٣٧١.

وانهوا عن المنكر، واحضروا بما يحضر به الصالحون»[١].

وقد خاطب الحسن(عليه السلام) أبا موسى الأشعريّ مبيناً معلماً إنسانياً مثالياً لأمير المؤمنين(عليه السلام)، وهو إصلاح المجتمع، ونصحه، فقال(عليه السلام): «**يا أبا موسى، واللهِ ما أردنا إلاّ الإصلاح وليس مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء**»[٢].

وبعد شهادة أمير المؤمنين عليّ(عليه السلام)، استلم الحسن(عليه السلام) السلطة بعد أبيه، وقام بأفضل ما يمكن القيام به في ذلك الجوّ المشحون بالفتن، والمؤامرات، فأقرّ الولاة على أعمالهم، وأوصاهم بالعدل والإحسان، ومحاربة البغي والعدوان، ومضى على نهج أبيه وسيرته، وكان في حالاته كلّها خلال خلافته القصيرة وقبلها، وبعدها امتداداً لجدّه المصطفى،(صلى الله عليه وآله)، وأبيه المرتضى(علي)(عليه السلام) في سياسته وسيرته، فلم يستعن بالباطل على الحقّ[٣].

إن هذه الجذور الإنسانية(القرآن الكريم، المصطفى(صلى الله عليه وآله)، أمير المؤمنين علي(عليه السلام)) التي تحدّثنا عنها في هذا الفصل تمثل الحجر الأساس لرسم معالم الإنسانية المثالية عند الحسن(عليه السلام)، هذه المعالم التي كان لها النصيب الوافر، والأثر الواضح في نعت إنسانية الحسن(عليه السلام) بالمثالية، وسيتكفل الفصل الثاني من هذه الدراسة بالكشف عن(معالم الإنسانية المثالية) عنده إن شاء اللهُ تعالى.

---

(١) اعيان الشيعة: ٢/ ٣٦٩.

(٢) أعلام الهداية [الإمام الحسن(عليه السلام)]: المجمع العلمي لأهل البيت: ٨٧.

(٣) ينظر: سيرة الأئمة الاثني عشر: ١/ ٥٠٥.

الفَصْلُ الثَّانِي

معالم الإنسانية المثالية عند الحسن عليه السلام

سنبسط الحديث في هذا الفصل على معالم الإنسانية المثالية عند الحسن بن علي(عليهما السلام)، هذه المعالم التي لم يفرد لها الباحثون فصولاً، أو مباحث في كتبهم التي تناولوا فيها صلح الحسن(عليه السلام) وحياته، لكننا نجد شذرات، وقبسات هنا وهناك لا تروي ظمآناً، ولا تُشبع جوعاناً.

إنَّ هذه المعالم الإنسانية التي اتّصف بها الحسن(عليه السلام) تمثل امتداداً لمعالم الإنسانية المتكاملة لجدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله)، ومعالم الإنسانية العالية لأبيه أمير المؤمنين(عليه السلام).

إنَّ الإشارة إلى هذه المعالم، وبيانها جاءت وفاقاً للنصوص التي وقفنا عليها، لاسيّما تراثه(عليه السلام)، وما جادت به أقلام الباحثين، إلاَّ أن المعين الصافي، والمورد الثر لها هو تراث الحسن(عليه السلام) الذي وصل إلينا، هذا التراث الأصيل الذي يمثل وثيقة مهمة في حياته، وفي بيان أحواله، وخصائص شخصيته، وإنسانيته المثالية.

وتتجلّى هذه المعالم من خلال ما تتجاذب الحسن(عليه السلام) كلمات تدل عليها من نحو: القرآن، والنبوة، والإمامة، والجنة، والإصلاح، والتعايش، والنصح، وحقن الدماء، والوفاء بالعهد، والكرم، والسخاء، وغيرها، فضلاً عن ذلك فإنَّ الألقاب الكثيرة التي أُطلقت عليه، دليل واضح على معالم إنسانيته المثالية، قال ابن رستم الطبري: «وألقابه الزكي، والسبط الأول، وسيد شباب أهل الجنة، والأمين، والحجة، والتقي»[١] وقال ابن الخشاب البغدادي(ت ٥٦٧هـ): «لقبه الوزير، والتقي، والقائم، والطيب، والحجة،

(١) دلائل الإمامة: ٦٢.

والسيد، والسبط، والولي»[١]، ولم يذكر الأربلي، وابن الصباغ المالكي ألقاباً غيرها[٢]، إلاَّ أن الأربليّ ذهب إلى أنَّ أكثر الألقاب شهرة هو التقي، لكن أولاها ما لقبه به رسول الله(صلى الله عليه وآله) إذ وصفه به، وجعله نعتاً له «فإن صَحّ النقل عن النبي(صلى الله عليه وآله) مما أورده الأئمة الإثبات، والرواة الثقات أنه قال: **ابني هذا سيِّد**»[٣]، وهذه الألقاب ذكرها محمد باقر المجلسي، ولم يزد عليها[٤].

وأضاف راضي آل ياسين إلى هذه الألقاب لقب(المجتبى)[٥]، وإلى ذلك ذهب هاشم معروف الحسني[٦]، وزاد حُسين الشاكري ألقاباً، فقال: «ألقابه: التقي، والزكي، والسيد، والسبط، والأمين، والحجة، والأثير، والمجتبى، والزاهد، والبرّ»[٧].

ولا يخفى ما في هذه الألقاب من دلالات إنسانية عالية المضمون، وعميقة الجوهر، ومن الألقاب التي لا مناص من إطلاقها على الحسن(عليه السلام)، والتي لها علاقة بمعالم إنسانيته المثالية هو لقب(الناصح)، وقد أشار إليه(عليه السلام) في خطبته عندما أراد أنْ يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم في الطاعة في أول مواجهة مع معاوية عندما سار الأخير نحو العراق، لغلب الحسن(عليه السلام)، فتحرك(عليه السلام) وبعث حجر بن عدي، فأمال

---

(١) تاريخ الأئمة(عليهم السلام) ووفياتهم: ابن الخشاب البغدادي(ت ٥٦٧هـ): دراسة وتحقيق: ثامر الخفاجيّ، ط١، ستارة، قم – إيران، ١٤٣٢هـ: ١٠٤.

(٢) ينظر: كشف الغمة: ١/ ٤٨٨، والفصول المهمة: ١٤٤.

(٣) كشف الغمة: ١/ ٤٨٨.

(٤) ينظر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: الشيخ باقر المجلسي: إحياء الكتب المقدسة، قسم – إيران، ١٤٢٧هـ: ١٠/ ١٣٦.

(٥) ينظر: صلح الحسن(عليه السلام): ٢٥.

(٦) ينظر: سيرة الأئمة الاثني عشر: ١/ ٤٦١.

(٧) موسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى): ٥/ ٢٤.

العمال بالمسير، واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثم خفَّ معه أخلاصا من الناس بعضهم أتباع له ولأبيه(عليهما السلام)، وبعضهم محكّمة يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكّاك، وبعضهم أصحاب عصبيّة اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين، فقال: «**الحمد للهِ بكلّ ما حَمِده حامد، وأشهد أن لا إله إلاّ الله كلّما شَهِد شاهد، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله أرسله بالحقّ، وائتمنه على الوحي(صلى الله عليه وآله)، أما بَعْدُ فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّه، وأنا أَنْصَحُ خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة، ولا مرد له بسوء ولا غائلة، ألاَ وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألاَ وإنّي ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري ولا تردّوا عليّ رأي غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإيّاكم لما فيه المحبة والرضا**»(١)، وهذه الخطبة ترنيمة في البعد الإنسانيّ قلما يجود بمثلها الزمن، وهي دليل على عالمية الحسن(عليه السلام) وإنسانيته المثالية، فهو الناصح الذي يريد بقاء نعمة الله للخلق، وكراهة وصول الشرّ إليهم، وإرشادهم لما فيه مصلحتهم، وغبطتهم(٢)، قال تعالى على لسان نبيّه نوح(عليه السلام) ردّاً على قومه الذين اتّهموه بالضلال المبين: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾((الأعراف/ ٦١ – ٦٢)،(وأنصح لكم) في زيادة اللام دلالة على المبالغة في إمحاض النصح، فمعنى أنصح هنا: أخلص النيّة لكم عن شوائب الفساد»(٣)، ونلمح

(١) الإرشاد: ١٨٠، وينظر: مقاتل الطالبيين: ١٨٠، وكشف الغمة: ١/ ٥٠٦ – ٥٠٧. والفصول المهمة: ١٥٣.

(٢) ينظر: جامع السعادات: محمد مهدي بن أبي ذر النراقي الكاشاني(ت ١٢٠٩هـ) الناشر: سيف الله إسماعيليان، طبعة السرور، قم – إيران، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م: ٢/ ٢٣.

(٣) زبدة المعاني من تفسير الشوكاني: ١٥٨.

دلالة العموم، والشمول في لفظة(الخلق) الواردة في الخطبة، وتشمل الناس جميعاً على اختلاف قومياتهم، ودياناتهم، ومذاهبهم، ومشاربهم، ثم أشار إلى نصيحته للمسلمين على اختلاف ولاءاتهم، وانتماءاتهم لكونه لا يريد السوء، والغائلة لأي فرد منهم، طارحاً الضغائن، فضلاً عن ذلك نجد الدعوة إلى التحابُب، والتعايش، والتقارب، ونبذ الفرقة والتباغض، والتحارُب، فكانت هذه الخطبة من الوثائق المهمة لبيان الوضع العام بين الناس، وبين أهل البيت(عليهم السلام) ولاسيما الحسن(عليه السلام)[1].

وقد فطن الحسن(عليه السلام) إلى قضية مهمة، وهي التمسك بالجماعة والعُصبة، وترك الفرقة والتشتت، وإتباع ولي الأمر المبايع المفترض الطاعة، فالله(عزّ وجل) يدعو إلى التوحّد، والتصالح، والتحابُب، والسّلم، ويُرشد المخلصين إلى المحبة والرضا، لأنه ينظر إلى مصالح العباد كافة، وهذه المعالم النبيلة هي الطريق القويم، والصراط المستقيم إلى الرشاد، والسعادة، بينما الفرقة والنزاع والخصام تعني الفساد والهلاك، وعدم الاستقرار، وغضب الله(عزّ وجل).

وقد وردت إشارة لهذا اللقب الإنساني(الناصح)، الذي ارتبط بالحسن(عليه السلام) فقد ورد في(مفاتيح الجنان) في زيارة الشهداء الذي سقطوا مع الحسين(عليه السلام) في واقعة كربلاء: «السلام عليكم يا أنصار أبي محمد الحسن بن علي الولي الناصح»[2].

لقد عرف الحسن(عليه السلام) بتعدّد مناقبه، وفضائله، وشمائله، قال الأربلي: «مناقب الحسن(عليه السلام) ومزاياه، وصفات شرفه، وسجاياه، وما اجتمع فيه من الفضائل، وخصّ به من المآثر التي فاق بها على الأواخر والأوائل، لا يقوم بإثباتها البنان، ولا ينهض

(١) ينظر: أعلام الهداية(الحسن المجتبى): ١٦٠ – ١٦١.

(٢) مفاتيح الجنان: الشيخ عباس بن محمد رضا أبو القاسم القمي(ت ١٣٥٩هـ)، ط٤، دار الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله)، بيروت، ١٤٠٢هـ– ٢٠٠١م: ٧٠٦.

بذكرها اللسان، لأنه أرفع مكانة ومحلاً وأورف شرفاً ونبلاً، وأزكى فرعاً، وأعلى أصلاً من أنْ يقوم مثلي مع قصور ذراعه، وجمود طبعه، بما يجب من عدّ مفاخره، وتخليد مآثره، ولذلك يقبل اليسير، ويُجازي بالكثير»[1]، وهذا النصّ دليل قاطع، وحجة دامغة في الإقرار بتعدد معالم إنسانيته المثالية(عليه السلام)، وتنوعها، ونحن إذا ما نظرنا في تراثه الذي وَصَل إلينا لم نجد فيها كلمة تستغرب من مثله، أو تتجاوز هذه الحجة التي تنهض بحقّه فيما فرض الله(عزّ وجلّ) من تأدية حقوق الناس، والعناية بمصالحهم، ورعاية حقوقهم، ومن دعوة إلى إصلاحهم، ونصحهم، واطّراح الضغائن فيما بينهم، وإطفاء النائرة، والدعوة إلى التعايش، والتسامح، والتحابب، والتوادّ وغيرها، وكم رام الأعداء ستر هذه المعالم، والفضائل، والشمائل ! فما استترت، وهل يخفى النهار لذي عينين، ومَنْ الذي يبلغ شأو الحسن(عليه السلام)، وقد خصّ بالابن، والولد، والسيد، والإمام، والحبيب، والريحانة، فهي تُملى، وقلم القدر يكتب بالتصديق، ويسجل لمواليه بحسن الاهتداء، ومعاونة التوفيق.

لذا سيتكفل هذا الفصل بعرض أهم معالم هذه الإنسانية وهي علامات، وآيات باهرات لهذه الشخصية الإنسانية سليل الهدى، وحليف أهل التقى، رابع أهل الكساء، ابن سيدة النساء فاطمة الزهراء(عليها السلام)، والمصلح بين الأقارب والأحباب، شبيه رسول الله(صلى الله عليه وآله)[2].

---

(١) كشف الغمة: ١/ ٥٤٨ – ٥٤٩.

(٢) ينظر: صلح الحسن(عليه السلام): ٨٣.

المبحث الأول:

إصلاح المجتمع

أولاً: مفهوم الإصلاح تعريفاً:

إنّ مفهوم الإصلاح يمثل معلماً رئيساً من معالم الإنسانية، فهو غنيٌّ بدلالاته، لما يمثله من مصفوفات قرآنية، وحديثية كثيرة تدعو إلى المحبة، والوئام، ونبذ العنف والاحتراب، والدعوة إلى السلم والتعايش.

إن ظهور هذا المفهوم، وتداوله في أي مجتمع أمر ملحٌ للحدّ من ثقافة التوتر، والعنف، والعداء، والإقصاء، والدعوة إلى قيم المصالحة، والعفو، والسلم، والصفح، والمغفرة، والرحمة، ومن أجل تحويل نقاط الخلاف إلى مساحة وفضاء رحب للحوار والتفاهم، والتصالح.

وقبل أن نبيّن دلالات هذا المفهوم عند الحسن(عليه السلام) لابد من الوقوف على هذا المفهوم، موضحين دلالاته المتنوعة، لأنها ستكون مفتاحاً لبلورة هذا المفهوم عنده(عليه السلام)، ولملمة جوانبه ومصاديقه، ومن ثم تكوين منظومة واضحة الأسس لهذا المفهوم لديه(عليه السلام).

وقد أعانتنا كتب مفردات ألفاظ القرآن، وكتب اللغة في بيان دلالات هذا المفهوم، قال الراغب الأصفهاني: «الصلاح ضد الفساد(...) والصلح يختصُّ بإزالة النفار بين الناس، يقال منه اصطلحوا وتصالحوا، قال: ﴿أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًا﴾،﴿وَٱلصُّلۡحُ

خَيۡرٞ﴾،﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ﴾،﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾،﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾»[١]، وقال الزمخشري(ت ٥٣٨هـ): «وصَلَحَ الأمر وأصلحته(...) وسَعَى في إصلاح ذات البين(...) وصَلَحَ فلان بعد الفساد، وصَالَح العدو، ووقع بينهما الصلح»[٢]، وقال الرازي:(ت ٦٦٦هـ): «وبابه دَخَل، ونقل الفراء صَلُح أيضاً بالضم(...) والصلاح بالكسر مصدر(المصالحة)، والاسم(الصُلح) يذكر ويؤنث، وقد(اصْطلحا)، و(تَصَالَحَ)، و(اصّالحا) بتشديد الصّاد»[٣]، ويرى الفيروز آبادي(ت ٨١٧هـ) أنَّ «الصلح بالضم السِّلم(...) وصالحه مصالحة، وصَلاحاً، واصطلحا، واصّالحا، وتَصَالحا، واصْتَلحا»[٤]، وقد توسع صاحبُ مجمع البحرين(الطّريحي ت ١٠٨٥هـ) في دلالات هذه المادة، فقال: «قوله: ﴿أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾((النساء/ ١١٤) التأليف بينهم بالعودة، وعن أمير المؤمنين: «إنّ الله فرض عليكم زكاة جاهكم كما فرض عليكم زكاة مالكم(...) قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾(النساء/ ١٢٨) من الفرقة، والنشوز، والإعراض، وسوء العشرة، أو الصلح خيرٌ من الخصومة(...) وفي الحديث: «مَنْ أصلح ما بينه وبين الله أصلح اللهُ ما بينه وبين

(١) مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني(ت في حدود ٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٤، مطبعة كيميا، قم – إيران، ١٤٢٥م،(صلح): ٤٨٩ – ٤٩٠(النساء/ من الآية ١٢٨)،(النساء/ من الآية ١٢٨)،(النساء/ من الآية ١٢٩)،(الحجرات/ من الآية ٩)،(الحجرات/ من الآية ١٠).

(٢) أساس البلاغة: جار الله أبو قاسم محمود بن عم الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)، تقديم الدكتور: محمود فهمي حجازي، سلسلة الذخائر(المؤسسة العامة لقصور الثقافة) مصر، ٢٠٠٣م:(صلح): ٢٥٧.

(٣) مختار الصحاح: الرازي:(صلح): ٣٦٧.

(٤) القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(ت ٨١٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م:(صلح): ٢٢٣.

الناس»؛ وذلك لأن التقوى صلاح قوتي الشهوة والغضب اللذين فسادهما مبدأ الفساد بين الناس، ومَنْ أصلح أمر آخرته أصلح اللهُ أمر دنياه(...) وفيه «الصلح جائز بين المسلمين إلاَّ صلحاً أحلّ حراماً، أو حرّم حلالاً» أراد بالصلح التراضي بين المتنازعين؛ لأنَّه عقد شرع لقطع المنازعة»[1].

ومن خلال استقراء مادة(صلح) ومشتقاتها، نستنتج ما يأتي:-

- الإصلاح مصدر على وزن(إفْعال) من الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد(أصْلَحَ) على وزن أَفْعَلَ.
- الإصلاح، والمصالحة، والصلح، والصلاح ضد الفساد وهي تختص بإزالة النفار، والبغضاء، والشحناء بين الناس.
- الإصلاح يعني حسن العشرة، والاجتماع، والتوحّد، وتعني في الوقت ذاته الابتعاد عن سوء المعاشرة، والعزلة، والنشوز، والإعراض.
- الإصلاح قد يتطلب معاهدة، ومعاقدة، ومحالفة.

ومن مصاديق هذا المفهوم فيما نرى: الأخوة، والأُلفة، والأمن، والتوبة، والسِّلم، والصفح، والعفو، والعهد، والمغفرة، والمِيثاق.

ثانياً: مفهوم الإصلاح عند الحسن(عليه السلام):

إن هذا المفهوم له دلالات مختلفة، ومصاديق متنوعة عند الحسن(عليه السلام)، ونجد إشارات لهذا المفهوم قبل بيعته في حياة أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام)، واستقرار هذا المفهوم

(١) مجمع البحرين: فخر الدين بن محمد علي بن طريح الأسدي الطريحيّ(ت ١٠٨٥هـ) دار دجليته الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥م: ٢(صلح): ٣٨٧ – ٣٨٨.

ونضوجه بعد بيعته، فأصبح معلماً رئيساً من معالم إنسانيته المثالية، فقد روى ابن جرير الطبري أن الإمام علياً(عليه السلام) قد أرسل الحسن(عليه السلام)، وعمار بن ياسر إلى أبي موسى الأشعري، ولما يمضِ ستة أشهر على خلافته حتى تمّردت البصرة خلف طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعائشة أم المؤمنين، وكان عليه أن يسرع لتعبئة أنصاره في الكوفة: «فخرج أبو موسى فلقي الحسن فضمّه إليه، وأقبل على عمار فقال: يا أبا اليقظان، أعَدَوْت فيمن عدا على أمير المؤمنين، فأحللت نفسك مع الفجار، فقال: لم أَفعلْ، ولِمَ تَسُوؤني؟ وقطع عليهما الحسن، فأقبل على أبي موسى، فقال: **يا أبا موسى، لِمَ تثبط الناس عنّا ! فو الله ما أردنا إلاّ الإصلاح، ولاشَكّ أن أمير المؤمنين خاف على شيء**، فقال، صَدَقْتَ بأبي أنت وأُمّي»[1]، ثم خاطب الحسن(عليه السلام) الناس، فقال: «**يا أيها الناسُ، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفرّ إليه والله لأن يليه أولو النهى أمثل في العاجلة، وخير في العاقبة فأجيبوا دعوتنا، وأعينونا على ما ابتلينا به، وابتليتم به، وابتليتم**، فسامح الناس وأجابوا ورضوا به، وأما قوم من طيّء عديّاً، فقالوا: ماذا ترى وماذا تأمر؟ فقال: ننتظر ما يصنع الناس، فأخبر بقيام الحسن، وكلام من تكلّم فقال: قد بايعنا هذا الرجل وقد دعانا إلى جميل، وإلى هذا الحدث العظيم، لننظر فيه، ونحن سائرون وناظرون»[2].

وذكر ابن الصباغ المالكي أن أمير المؤمنين عليّاً(عليه السلام) قد أرسل في بدء الأمر المحمدين(محمد بن أبي بكر)، و(محمد بن جعفر بن أبي طالب)، فذهبا إلى الكوفة، وكان عاملها آنذاك عبد الله بن قيس(أبا موسى الأشعري)، وكان يثبّط الناس عن

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ١٩٩ – ٢٠٠.

(٢) م.ن: ٣/ ٢٠١، وينظر: تاريخ خليفة بن خياط: ١٠٨ – ١١١، وتاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٢٦.

الجهاد، وحرب أهل البصرة، فلم ينفر أحداً من أهل الكوفة، فقال لمحمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر من أول مرة اذهبا إليه قبل هؤلاء ! والله إن بيعة عثمان لفي عنقي، وعنق صاحبكما، فإن لم يكن بد من قتالٍ فلا نقاتل أحداً حتى يفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا، فانطلقا إلى علي(عليه السلام) فأخبراه الخبر وهو بذي قار، فقال للأشتر وكان معه: **أنت صاحبنا في أبي موسى، والمعترض في كُلّ شيء، ولم نقرّ أبا موسى على عمل الكوفة إلاّ برأي منك، اذهب أنت، والحسن بن علي، والعمار فأصلح ما أفسده**، فخرجوا وقَدِموا الكوفة، فدخلوها، والناس في المسجد وأبو موسى يخطبهم ويثبطهم، فقام إليه الحسن بن علي(عليه السلام) فسكّته، وقال: **اعتزل عملنا يا شيخ لا أمَّ لك**، فقال: **أجّلني هذه العشية**، فقال: هي لك، ثم قام الحسن(عليه السلام) فصعد المنبر، فخطب، فقال: **أيها الناس أجيبوا دعوة أميركم، فانفروا إلى إخوانكم، واللهِ لَئِن يَلي هذا الأمر أولو النهى فإنه مثل في العاجل والآجل، وخير لكم من العاقبة، فأجيبوا دعوتنا على ما ابتلينا به، وابتليتم، فإنَّ أمير المؤمنين يقول: قد خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً، وإني أذكر الله تعالى رجلاً رعى حق الله بفرقان، إن كنت مظلوماً ما أعانني وإن كنت ظالماً أخذ منّي، واللهِ إن طلحة والزبير أوّل من بايعني، وأول من خرج عليّ، فهل استأثرتُ بمالٍ، أو بدلت حكماً، فأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر**»[١].

إنَّ خطبة الحسن(عليه السلام) لأهل الكوفة، وهي على لسان أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام)، شبيهة بخطبته التي ألقاها في جامع الكوفة سنة أربعين من الهجرة في صبيحة إحدى وعشرين من شهر رمضان المبارك مؤبناً أباه شهيد العدالةِ الإنسانيةِ الإمامَ علياً(عليه السلام)، ومعدِّداً شيئاً من مناقبه، وفضائله، فقال: «**لَقَدْ قُبض في هذه الليلة رَجلٌ لم يسبقه الأولون بعَمَل، ولم يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله(صلى الله عليه وآله) فيقيه**

(١) الفصول المهمة: ٧١، وينظر: الفتنة الكبرى: ٢/ ٢٨ – ٢٩.

بنفسه، وكان رسول الله(صلى الله عليه وآله) يوجّهه برايته، فيكتنفه جَبْرَئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، لا يَرْجعُ حتى يفتح اللهُ على يَدَيْه، لقد تُوُفّي في هذه الليلة التي عرج فيها عيسى بن مريم، وقُبض فيها يُوشع بنُ نون وَصِيّ موسى(عليه السلام)، وما خلّف صَفْراء ولا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم فَضُلت من عَطَائه أراد أنْ يبتاع بها خادماً لأهْله، وقد أمرني أن أرُدَّها إلى بيت المالِ»[1]، وقد ذكرناها من قبل من باب الاستشهاد.

وقد وقف الحسن(عليه السلام) إلى جانب أبيه(عليه السلام) في عهد الخليفة عثمان، وعَمِل مخلصاً لأجل الإسلام، ولم يكن هو وأبوه(عليهما السلام) راضيين بقتل الخليفة عثمان، فوقف مع أبيه(عليهما السلام) موقف المصلح الحكم، فنصرة الحسن(عليه السلام) للخليفة عثمان بأمر أبيه(عليه السلام) تنسجم كلّ الانسجام مع خطّهم(عليهم السلام)، الذي هو خط الإسلام الصادق، والصحيح، وهو يدخل في عداد تضحياتهم الجسام – وما أكثرها ! – في سبيل هذا الدين، وهو دليل واضح، وخالص على بعد نظرهم، ودقّتهم، وعمقهم[2]، جاء في الإمامة والسياسة: «إنَّ محمداً بن أبي بكر لما خرج الحسن بن علي أخذ بيد رجلين، فقال لهما: إن جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن، كشفوا الناس عن عثمان، وبطل ما تريدون»[3]) وجاء أيضاً: «وذكروا أنَّ أهل مصر أقبلوا إلى عليّ، فقالوا: ألم تَرَ عَدُوَّ الله ماذا كاتب فينا؟ قُم معنا إليه، فقد أحلّ اللهُ دمه، فقال عليّ، **لا واللهِ لا أقوم معكم**(...) وذكروا أنَّ عثمان لما منع الماء صعد على القصر، واستوى في أعلاه(...) وكان في الدار مئة رجلٍ ينصرونه منهم: عبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، والحسن بن علي، وعبد الله بن سلام، وأبو هريرة، فلمّا سَمِع القوم إقبال أهل الشام قاموا، فألهبوا النار بباب عثمان، فلما نظر

(١) أنساب الأشراف: البلاذري: د.ط، القاهرة، ١٩٥٩م: ٢/ ٤٩٩.

(٢) ينظر: أعلام الهداية: ٧٥.

(٣) الإمامة والسياسة: ١/ ٤٠.

أهل الدار إلى النار، نصبوا للقتال، وتَهَيَّؤوا، فكَرِه ذلك عثمان، قال: لا أريد أن تراق فيّ مِحجمة دم(...) ثم دخل عليه الحسن بن عليّ، فقال: **مُرْ فيّ بما شئت، فإني طَوْع يديك،** فقال عثمان: ارجع يا ابن أخي، اجلس في بيتك حتّى يأتي اللهُ بأمره»(١).

هذان النصانِ وغيرهما تردّ على الاتهامات التي وجّهت للحسن وأبيه(عليهما السلام) كونهما قد اشتركا في دم عثمان، وقد ردّ أمير المؤمنين علي(عليه السلام) هذا الاتهام في زمنه، فلما بلغه اتهام بني أُميّة له بالمشاركة في دم عثمان، قال: «**أوَ لَمْ يَنْهَ أُميةَ عِلْمُها بي عَن قَرْفِي، أو ما وَزَعَ الجهالَ سابقتي عن تُهْمَتي ولَمَا وَعَظَهم اللهُ به أَبْلَغُ من لِسَاني، أنا حَجِيج المارقين وخصيم الناكثين المُرْتابين، وعلى كتاب اللهِ تُعْرَض الأمثال، وبما في الصدور تُجَازى العِبَاد**»(٢).

قال محمد عبده شارح نهج البلاغة، وهو بصدد شرح قول أمير المؤمنين علي(عليه السلام): «**أي ألم يكن في علم بني أمية بحالي ومكاني من الدين، والتحرّج من سفك الدماء، بغير حقٍّ ما ينهاهم عن أنْ يعيبوني بالاشتراك في دم عثمان خصوصاً وقد عَلِموا أنّي كنت له لا عليه، ومن أحسن الناس قولاً فيه؟ وسابقته: حاله المعلومة لهم مما تقدم**(...) وهو كرم الله وجهه قد جرى على حكم كتاب الله في أعماله فليس للغامز عليه أنْ يشير إليه بمطعن ما دام ملتزماً لأحكام الكتاب»(٣).

وبعد استشهاد أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام) سنة أربعين للهجرة بويع للحسن(عليه السلام) بالخلافة، قال الطبري: «وفي هذه السنة، أعني سنة أربعين بويع للحسن بن علي(عليه السلام)

(١) الامامة والسياسة: ١/ ٣٧.
(٢) نهج البلاغة: ١/ ٩٥.
(٣) م.ن: ١/ ٩٥.

بالخلافة، وقيل: إن أوّل من بايعه قيس بن سعد»[١]، وقال المسعودي: «ثم بويع الحسن ابن علي بن أبي طالب بالكوفة بعد وفاة علي بيومين في شهر رمضان من سنة أربعين»[٢]، وقال ابن عبد البرّ(ت ٤٦٣هـ): «ولمّا قتل أبوه علي(عليه السلام) بايعه أكثر من أربعين ألفاً كلهم قد كانوا بايعوا أباه عليّاً قبل موته على الموت، وكانوا أطوع للحسن وأحب فيه»[٣].

ويرى ابن الأثير وفقاً للروايات أنَّ المراد بالخلفاء الاثني عشر هو الخلفاء الأربعة ثم الحسن بن علي، لأن عليّاً أوصى إليه، وبايعه أهل العراق، وركب وركبوا معه لقتال أهل الشام حتى اصطلح هو ومعاوية[٤]. وقال الأربليّ: «إنَّ القائلين بإمامة الجماعة بعد النبي(صلى الله عليه وآله) قائلون بإمامة الحسن(عليه السلام) مما رووه أنَّ الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تعود ملكاً، وبأن عليّاً(عليه السلام) أوصى بها إليه وأفاض رداءها عليه، فهو(عليه السلام) مسألة إجماع وقد سَلِم مدّعي إمامته عن النزاع»[٥].

وفيما يتعلق بمدة خلافته، فقد اختلف فيها، فذهب خليفة بن خياط إلى أنها «كانت ولاية الحسن بن علي سبعة أشهر وسبعة أيـام»[٦]، وقيل «كانت خلافته ستة أشهر وأربعة أيام، وقيل: سبعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً»[٧]، ومهما يكن من أمرفأن مدة ولاية الحسن(عليه السلام) قصيرة جداً، إذ كانت أشهراً لم تناهز عدد الأصابع العشر، ولكنها

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٣٣٠. وينظر: الكامل في التاريخ: ٣/ ٢٠٥.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٣/ ٥.

(٣) الاستيعاب: يوسف بن عبد الله ابن عبد البرّ(ت ٤٦٣هـ)، طبعة بيروت، ١٤١٢هـ): ١/ ٣٨٥.

(٤) ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٦/ ١٦٦٣.

(٥) كشف الغمة: ١/ ٤٩٩، وينظر: بحار الأنوار: ١٠/ ١٧١.

(٦) تاريخ خليفة بن خياط: ١٥٣.

(٧) أعيان الشيعة: ٢/ ٣٧٧.

ناهزت عدد النجوم هزاهز وزعازع، وكانت قطعة من الزمن يتجه إليها القلب بكلّ ما يملكه من حُبّ وإعجاب، فاحت بروائح النبوة، وتجلت فيها مزايا الإمامة الصادقة، وتكشفت على قلتها، وقصر مدتها عن حقائقها كثير من الناس هنا وهناك، وهي الأشهر التي ختمت أعمالها بأفضل خواتيم الأعمال في الإصلاح، ووصلت بخاتمتها الفضلى مصلحة الدنيا بمصلحة السماء، وإذا بالحسن بن علي(عليهما السلام) هو ذلك المصلح الأكبر الذي بشر به جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله) في الحديث الذي سبق ذكره: **إنَّ ابني هذا سيّد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**، وإنَّ الله سبحانه عوّد أهل بيته أنْ يحفظ لهم الشرف في أعلى مراتبه، وفي مختلف ميادينه، فإن لم يكن بالانتصار أو بالصلاح فليكن بالشهادة الكريمة في الله وفي التاريخ، وإن لم يكن بهذا ولا ذاك فليكن بالإصلاح وجمع الكلمة، وتوحيد أهل التوحيد، وكفى بالإصلاح شرفاً، وكفى ببقاء الشرف انتصاراً، وبقاء الشرف ضماناً لبقاء العزة، والعزة حافز دائب يدافع عن الحياة ويقوم على السيادة[1].

ويتجلى مفهوم الإصلاح عند الحسن(عليه السلام) فيما يأتي:-

أ- التعريف بشخصيته(عليه السلام):

لقد عَمِل الحسن(عليه السلام) لحظة تسلمه الخلافة إلى التعريف بنفسه لكونه قد جمع الكمالات الإنسانية كلها، واحتشدت فيه الفضائل التي نالها من كتاب الله(عليه السلام)، ومن جدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله)، ومن أبيه أمير المؤمنين علي(عليه السلام)، فعملية الإصلاح الشامل لابد لها من مصلح عظيم، معروف نسبه، محمودة سيرتُه، محبوب لدى الناس، وهذا ما تنبه عليه الحسن(عليه السلام)، وقد نقلنا في الفصل الأول نصوصاً تضمنت تعريف الحسن(عليه السلام) بنفسه، ولحاجة هذا المطلب لها، نجد إلزاماً علينا ذكر عبارات منها.

(١) ينظر: صلح الحسن(عليه السلام): ٢٥٠ – ٢٥١.

فمن هذه النصوص خطبتُه التي قالها بعد استشهاد أبيه علي بن أبي طالب(عليه السلام)، قال: «**أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومَنْ لم يعرفني فأنا الحسن بن عليّ، وأنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله والسراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل فينا، ويصعد من عندنا**»(١). وقال أيضاً: «**أيها الناس إنَّ أكيس الكيس التُّقى، وأحمق الحمق الفجور، وإنّكم لو طلبتم ما بين جَابَلْق وجَابَرْس رجلاً جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله) ما وجدتموه غيري وغير أخي الحسين، وقد عَلِمتم أنَّ اللهَ هداكم بجدّي محمد فأنقذكم به من الضلالة، ورفعكم به من الجهالة، وأعزكم به بعد الذلة، وكثركم به بعد القلة**»(٢).

وقد تضمَّن خطابه(عليه السلام) دعوة الناس إلى مبايعته، فدعواه كانت على مستوى عالٍ من البلاغة، وقوة الإقناع، والتأثير في السامعين فقد عرّف نفسه للجماهير بأنه ابن الداعي إلى الله، وابن السراج المنير، وأنه ممن أذهب الله عنهم الرجس والأباطيل، فهو منجم الكمالات والفضائل، ومهوى الشمائل والقيم الإنسانية المثالية(٣).

ب- دعوته (عليه السلام) إلى الوحدة ولزوم الجماعة:

قبل الحديث عن دعوة الحسن(عليه السلام) الناس إلى الوحدة، ولزوم الجماعة في الكوفة، لابد من بيان طبيعة المجتمع الكوفي بإيجاز، هذا المجتمع المختلف تركيباً، والمتباين مذهباً، والمختلف قومية، والمتنوع قبليّاً، والمتفاوُت طبقة، فالتركيب الديني في الكوفة يشمل إضافة إلى المسلمين(اليهود، والنصارى، والصابئة، والمجوس)(٤)، أما التباين

---

(١) الذرية الطاهرة: ١٠٨.

(٢) كشف الغمة: ١/ ٥٣٤.

(٣) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٣٤.

(٤) ينظر: موسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى): ٥/ ١٧٨ - ١٧٩.

المذهبي فيشمل(الخوارج، والنواصب، والأمويين، وإتباع علي(عليه السلام)، وتوجد اتجاهات أخر محدودة النطاق ذات التأثير الملحوظ في المجتمع كـ(الجبرية، والمُرجِئة، والقدرية، والمفوّضة، فضلاً عن الغلاة)(١).

أما الاختلاف القومي، فيتمثل بالقوميات المتواجدة في الكوفة، وهي: الأتراك، والأكراد، والفرس(وهم الأكثرية)، والروم، والسريانيون، ويوجد عدد قليل من الأرمن، والآشوريين(٢)، وفيما يتعلق بالتنوع القبلي، فيشمل قبائل كنانة، وقضاعة وغسان، ومذحج وحمير وهمدان، وتميم والرباب، وأسد وغطفان وضبيعة، وتغلب ومحارب، وإياد وعبد شمس وعك، وأهل هجر، والحمراء، وطي اليمانية(٣)، أما التفاوُت الطبقي فيشمل الطبقات الآتية طبقة الأشراف والأعيان والوجهاء، وطبقة الموظفين، وطبقة الكادحين والكسبة، وطبقة العبيد والموالي، وطبقة المرتزقة، وطبقة القضاة رجال الدين الأثرياء(٤).

وفي ظل هذا التباين الذي تعيشه الكوفة على المستويات كافة، فإنَّ الأوضاع فيها كانت مرهقة ومتعبة، وكانت متفرقة ومتشتتة، فأخذ الحسن(عليه السلام) يعمل بجد، وإخلاص، وعناية من أجل إصلاح دولته، وإحكامها، وصيانتها، ونلمح هذا في خطاباته التي يحضُّ فيها على لزوم الطاعة، والجماعة، والدعوة إلى التآخي، والاتحاد، والوحدة، والانقياد إليها، فهي الحصن الحصين، والسد المنيع أمام التفرق، والتشتت

---

(١) ينظر: موسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى): ٥/ ١٨٠ – ١٨١. وصلح الحسن: ٦٥ – ٦٦.

(٢) ينظر: موسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى): ٥/ ١٨٢.

(٣) ينظر: م.ن: ٥/ ١٨٣.

(٤) ينظر: م.ن: ٥/ ١٨٤ – ١٨٥.

الذي يهدّد المجتمع الإسلامي، وينذره بفقدان الحياة(١).

إنَّ الانضواء تحت خيمة الأمة، ولزوم الجماعة، وإتباع أهل التقى والحق، الذين ارتضاهم المسلمون أئمة وقادة مصداق مهم، من مصاديق مفهوم الإصلاح في المجتمع، فالإمام العادل المفروض الطاعة هو الذي يقود المجتمع إلى الحق والخير، فتعمُّ السعادة، والمحبة في جوانبه كافة، ومن هنا فقد دعا الحسن(عليه السلام) معارضيه ولاسيما معاوية ابن أبي سفيان إلى الخضوع، ولزوم الطاعة، والدخول في الجماعة من أجل مصلحة الإسلام العليا، وتظهر هذه الدعوة جليّة الدلالات، واضحة المعاني في الرسالة التي بعثها الحسن(عليه السلام) إلى معاوية في بدء مبايعة الناس له، وتسلمه الخلافة، وسنذكرها كاملة، لما فيها من فائدة كبرى، وأهمية جُلّى، وإليك نصّها: «**من الحسن بن عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان سلام عليك، فإنّي أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بَعْدُ، فإنَّ الله جَلَّ جلاله بَعَثَ محمداً رحمة للعالمين، ومِنّة لِلمُؤمنين، وكافة للناس أجمعين** ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾، **فبلّغ رسالات اللهِ، وقامَ بأمر الله، حتى توفّاه اللهُ غير مُقَصِّر ولا وان، وبعد أنْ أظهَر اللهُ به الحقَّ، ومَحَق به الشِّرْك، وخصَّ به قُرَيْشاً خاصة، فقال له:** ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾، **فلمّا تُوُفِّي تنازعت سُلطانه العربُ، فقالت قُرَيش: نَحْنُ قبيلته، وأُسرته، وأولياؤُه، ولا يحلّ لكم أنْ تَنَازعونا سلطان محمّد وحقَّه، فَرَأت العَرَبُ أنَّ القولَ ما قالت قُرَيْش، وأنَّ الحُجَّة في ذلك لَهُمْ على مَنْ نازعَهُم أمر محمّد، فَأَنْعَمْتُ لَهُم، وسلّمت إليهم، ثم حاجَجْنا نحن قُرَيْشاً بمثل ما حاجَجَت به العربُ فلم تُنْصفنا قُرَيش إنصاف العَرَبِ لها، إنَّهم أخَذُوا هذا الأمر دون العرب بالإنصاف والاحْتِياج، فلمّا صِرنا أهل بيت**

(١) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٣٨، وسيرة الأئمة الأطهار: مرتضى المطهّري: ٨٣.

محمد وأوليائه إلى محاجَجَتهم، وطَلَب النَّصَفِ منهم باعَدونا واسْتَوْلوا بالاجتماع على ظلمنا ومُرَاغَمَتنا، والعَنَت منهم لنا، فالموعد الله، وهو الوليّ النصير. ولقد كنا تعجّبنا لِتَوَثُّب المُتَوثِّبين علينا في حقنا، وسلطان بيتنا، وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، وأمسكنا عن مُنَازعتهم مخافة على الدين أنْ يجد المنافقون، والأحزاب في ذلك مَغْمَزا يَثْلِمُونه به، أو يكون لَهُم بذلك سَبَبٌ إلى ما أرادوا من إفساده، فاليوم فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمرٍ لست من أهله لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابنُ حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله(صلى الله عليه وآله) ولكتابه والله حسيبك فَسَتُرِدُّ وتعلم لمن عقبى الدار، وبالله لَتَلْقَيَنَّ عن قليل ربك ثُمَّ لَيَجْزِيَنَّك بما قدّمت يداك، وما الله بظلام للعبيد. إنَّ عليّاً لمّا مضى لسبيله(رحمة الله عليه يوم قبض) ويوم مَنَّ اللهُ عليه بالإسلام، ويوم يبعث حيّاً، ولاّني المسلمون بَعْدَه، فأسأَلُ اللهَ أن لا يُؤتينا في الدنيا الزائلة شيئاً يُنْقصنا به في الآخرة مما عنده من كَرامةٍ، وإنما حَمَلني على الكتاب إليك الإعذار فيما بيني وبين الله عز وجل في أمرك ولك في ذلك إن فَعَلْتَه الحَظّ الجَسيم، والصلاح للمسلمين، فَدَع التمادي في الباطل، وادخل فيما دَخَلَ فيه الناس من بيعتي فإنّك تعلم أنّي أحقُّ بهذا الأمر مِنك عند الله، وعند كُلّ أوّاب حفيظ، ومَنْ له قَلْبٌ منيب، واتّقِ اللهَ ودَع البغي، واحقن دماء المسلمين، فو اللهِ ما لك خيرٌ في أنْ تلقى اللهَ من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به، وادخل في السَّلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهْلَه، ومَنْ هو أحق به منك لِيُطفئ الله النائرة بذلك، ويجمع الكلمة، ويصلح ذات البين، وإن أنت أبيت إلاّ التّمادي في غيّك سِرْتُ إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم اللهُ بيننا، وهو خير الحاكمين»[(١)].

---

(١) شرح نهج البلاغة:أبو حامد عز الدين ابن أبي الحديد(ت ٦٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت،

إنها ملحمة في الدعوة إلى الإصلاح، والحفاظ على لحمة المجتمع، وصيانة أركانه، وأسسه، وقد تضمّنت هذه الرسالة أموراً مهمة، وهي:

١. إن الحسن(عليه السلام) هو الخليفة الذي بايعه الناس، وهو أحقّ بالخلافة من غيره لكونه من أهل البيت(عليهم السلام)، وجامعاً للكمالات، والفضائل، والشمائل.

٢. عدم مطالبة أهل البيت(عليهم السلام) بحقّهم في الخلافة؛ من أجل الحفاظ على بيضة الإسلام، ووحدة المسلمين.

٣. تعجّبُ الحسن(عليه السلام)، واستغرابه من توثب معاوية لنيل الخلافة، وهو ليس أهلاً لها لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، قال طه حسين: «مهما يقل الناس في معاوية من ذلك، فقد كان معاوية هو ابن أبي سفيان قائد المشركين يوم أحد، ويوم الخندق، وهو ابن هند التي أغرت بحمزة حتى قتل، ثم بقرت بطنه، ولاكت كبده، وكادت تدفع النبيَّ نفسُه إلى الجزع على عمه الكريم، وكان المسلمون يسمون معاوية وأمثاله من الذي أسلموا بآخرة، ومن الذين عَفَا النبيُّ عنهم بعد الفتح بالطلقاء، لقول النبي لهم: **اذْهَبُوا فأنتم الطلقاء**»(١).

٤. دعوة معاوية إلى لزوم الجماعة، والدخول في الطاعة من أجل جمع الكلمة، وإصلاح المجتمع، وتحقيق السعادة والنجاة.

إنَّ الحسن(عليه السلام) أراد أنْ ينمي هذه الوحدة، ويوثقها في نفوس أفراد المجتمع، لاسيما بعد أن خَيَّم الشك على الفرد المسلم آنذاك فأراد معالجة أسبابه، وإنعاشه من جديد؛ لما له من تأثير على نفسية المسلم من داخل المجتمع، فالظروف التي يمرّ بها

١٣٨٨هـ: ١٦/ ٣٣ – ٣٤.(يس/ ٧٠)،(الزخرف/ من الآية ٤٤).

(١) الفتنة الكبرى: ٢/ ١٤.

المسلمون في العراق كانت ظروفاً نفسية، والمجتمع محطّمٌ من جهَة التعايش، والتسامح، ووجود فراغات نفسيّة وفكرية واضحة وكبير، فكانت دعوته ملحة في الوحدة، والتآلف، والمحبة[١].

لقد أراد الحسن(عليه السلام) كذلك أنْ يبعدَ الأمّة عن شبح موت الإرادة، وموت القيم الإنسانية العليا، فهو يعلم أن الحزب المعارض كان يريد موت الأمة، والقضاء على الضمائر الحيّة في نفوسهم من خلال إبعادهم عن القضية الرئيسة، وهي حب الأمة الإسلامية، والانصهار من تعاليمها، ومثلها الإنسانية القيّمة، وكان يستهدف تحصين الأمة الإسلامية من صدمة الانحراف، والانحلال، وفقدان الإنسانية القائمة على الحبّ، والتعايش، والتسامح[٢].

إن إرادة إحياء القيم الإنسانية، وبعثها من جديد كان هدف الحسن(عليه السلام)، ومنهجه في إصلاح المجتمع، بسبب التحلل الذي وقع فيه المجتمع آنذاك في جميع القيم الإنسانية، فانتشر في المجتمع المجون، والخلاعة، والرِّشا، والكذب، وصنع الحديث، وأكل الربا، واشتراء الضمائر، وتغيير سنة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وافتعال الأحاديث وغيرها[٣].

إنَّ هذا الخطوب، والأحداث، والمحن التي مرّ بها المجتمع الكوفيّ، ورغبة معاوية في الاستيلاء على السلطة، جعلته يبادر إلى إعلان الحرب، فجهّز جيشاً كبيراً للقدوم إلى العراق، وقد استنفر عماله وولاته كافة، ولما بلغ الخبر الحسن(عليه السلام)، وأهل العراق، حثّ(عليه السلام) الناس على الجهاد، والخروج إليهم، قال طه حسين: «وكانت الحرب المقبلة

(١) ينظر: أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية(محاضرات سماحة آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر): ط١، مطبعة شريعة، إيران، ١٤٢٥هـ: ٢٤١.

(٢) ينظر: م.ن: ٢٤٦.

(٣) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ١٥٢.

محتاجة إلى البلاء الحسن كلّه، فالخصم في الشام عنيف يُحيط به جند أولو قوّة، وأولو بأس شديد، فأما عنف هذا الخصم وهو معاوية، فيمكن أنْ نقدره حين نلاحظ أنه ابن أبي سفيان الذي حارب النبيّ بعد بدر، فأبلى من حربه أشد البلاء، وأقواه وأظهر من هذه الحرب قوة، وقسوة، وكيداً، ودهاءً، ولم يسلم إلاّ بآخرة حين لم يرَ من الإسلام بدّاً، وحين لم يكن له إلاّ أنْ يختار بين الإسلام، والموت، وقد وَرِث معاويةُ عن أبيه قوته، وقسوته، وكيده، ودهاءه، ومرونته كذلك، ولم تكن أم معاوية بأقل من أبيه تنكراً للإسلام، وبغضاً لأهله، وحفيظة عليهم، وهم قد وتروها يوم بدر فثأر لها المشركون يوم أحد، ولكن حنقها لم يهدأ، وحفيظتها لم تسكن حتى فتحت مكة، فأسلمت كارهة، كما أسلم زوجها كارهاً»[1].

واختار الحسن(عليه السلام) ابن عمّه عبيد الله بن عباس قائداً للجيش، وقد أوصاه بوصية تعد قبساً من قبسات إنسانيته المثالية، وهذا نصُّها: «**يا بْنَ العَمْ، إني باعث معك اثني عَشَرَ ألفاً من فُرسان العرب، وقُرّاء المصر، الرَّجُلُ مِنْهم يزيد الكتيبة، فسِرْ بهم، وألِنْ لَهُم جانِبَك، وابْسُطْ لَهُمْ وجهك، وافْرُشْ لَهُمْ جَنَاحك، وأدْنِهم من مَجْلِسك، فإنَّهم بقيّة ثُقات أمير المؤمنين، وسِرْ بهم على شط الفرات، ثم امْضِ حتى تستقبل بهم معاوية، فإن أنت لَقِيْته فاحْتَبِسْهُ حتى آتيك، فإنّي على أثَرِك وشيكاً، ولْيَكُن خَبَرُك عندي كُلَّ يوم، وشاوِر هذين - قَيْس بنَ سعد، وسعيد بن قبس، وإذا لَقِيت معاوية فلا تُقَاتِلْه حتى يُقَاتِلَك فإن فَعَل فقاتِلْه، وإن أُصبت فقيس بنُ سعدٍ على الناس، فإن أُصيبَ، فسعيدٌ بنُ قَيْس على الناس**»[2]، وعلى الرغم من ثقة الحسن(عليه السلام) بابن عمّه(عبيد الله بن عباس)، إلاّ أنَّ المال، وسوء العاقبة كان لهما الأثر الرئيس في غدر عبيد الله وخيانته

(١) الفتنة الكبرى: ٢/ ٥٦.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٦/ ٤٠.

فصار إلى معاوية في ثمانية آلاف من أصحابه، بعد أن جعل له ألف ألف درهم، وأقام قيس بن سعد على محاربة معاوية(١)، وقد عرف سعد بالرجل الحكيم، والقائد الغيور، ونهد للأمر مخاطباً بقية الجيش بعدما انحاز عبيد الله بن عباس ليلاً إلى معسكر معاوية، فقال: «إن هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خيراً قطّ، إن أباه عم رسول الله(صلى الله عليه وآله) خرج يقاتله ببدر، فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري، فأتى به رسول الله(صلى الله عليه وآله) فأخذ فداءه، فقسّمه بين المسلمين، وإنَّ أخاه ولاّه عليٌّ على البصرة فسرق ماله، ومال المسلمين فاشترى به الجواري، وزعم أنَّ ذلك له حلال، وإن هذا ولاّه عليّ على اليمن، فهرب من بسر بن أبي أرطأة، وترك وُلْده حتى قتلوا، وصنع الآن هذا الذي صنع»(٢)، وهذا النصُّ مهم في بيان تَغَلُّل جيش الحسن(عليه السلام) وتفكّكه، بعد غدر عبيد الله بن عباس وخيانته، ولا غرابة في ذلك فأبوه(العباس بن عبد المطلب) عم النبي(صلى الله عليه وآله) قاتل النبي في معركة بدر، والثاني(عبد الله بن عباس) الذي سرق مال المسلمين حينما كان والياً لعليّ(عليه السلام) على البصرة، فكما كان «عبيد الله بن عباس يتعجل السّلم لنفسه، ويترك جيشه إلى معاوية دون أنْ يستخلف عليه أحداً رشاه معاوية بالمال، فلم يستطع أنْ يعصي المال، وكذلك انحرف عبد الله بن عباس عن عليّ، وانحرف عبيد الله بن عباس عن الحسن، كلاهما ينحرف عن صاحبه في أشدّ الأوقات حرجاً، وأعسرها عسراً»(٣).

(١) ينظر: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٤٩. وموسوعة المصطفى والعترة: ٥/ ٢١، وأعلام الهداية(الحسن المجتبى): ٢٠ – ٢١.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٦٥.

(٣) الفتنة الكبرى: ٢/ ١٧٩.(والذي يعجبُ له أن من الباحثين المحققين كالشيخ راضي آل ياسين في كتابه(صلح الحسن(عليه السلام) ١٢٨ – ١٢٩، والشيخ باقر شريف القرشي في كتابه(حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٩٧ – ٩٨) وغيرهما مِمّن وقفوا على هذا النصِّ من دون إبداء رأي أو ملحظ يتعلق بالأعلام الذين وردت أسماؤهم، ويبدو أن مكانة العباس بن عبد المطلب(عم النبي(صلى الله عليه وآله)، وابنه حبر الأمة(عبد الله بن عباس) حالت دون ذلك).

إنَّ تفاقم الأمر المتمثل بموت إرادة الجماهير من جهة، وخيانة بعض قيادات الحسن(عليه السلام) وغَـدْرهـم من جهة أخـرى، فضلاً عن قوة جيش معاوية، ودعوته الحسن(عليه السلام) إلى السَّلم، والصلح[1]، جعلت الحسن(عليه السلام) يقبل في اللحظات الأخيرة بالهدنة، والسَّلم، والمعاقدة مع معاوية بشروط أملاها الحسن(عليه السلام) عليه.

إنَّ مبدأ السّلم، أو الصلح، أو المعاقدة، أو الهدنة هي مصاديق لمفهوم الإصلاح عند الحسن(عليه السلام)، فالسّلم الذي أبرمه مع معاوية كان من أجل الإبقاء على بيضة الإسلام، والقيم الإنسانية العليا له، فضلاً عن ذلك الحفاظ على الأرواح، والأعراض والأموال، وهذا ما سنتحدث عنه.

ثالثاً: السَّلم:

يظهر لنا إطلاق مصطلح(السلم) على ما حدث من صلح أو اتفاق، أو هدنة، أو معاهدةً أو معاقدة بين الحسن(عليه السلام)، وبين معاوية بـ(السَّلم)، ولا مشاحة في الاصطلاح، لكن المتعين أن لفظة(السلم) هي الأقرب بلحاظ النقل من جهة، والمنطق والعقل من جهة أخرى.

أ- السلم تعريفاً:

فالسَّلم من مصاديق مفهوم الصلاح، والإصـلاح، قال الراغب الأصفهاني: «والسَّلام، والسِّلم، والسَّلم الصُّلح، قال:﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾، وقيل نزلت فيمن قُتِل بعد إقراره بالإسلام، ومطالبته بالصلح، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ ﴾، وقُرِئَ للسَّلم بالفتح(...) وقيل السِّلْم اسم بإزاء الحَرْب، والإسلام: الدخول في السلم،

(١) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ١٥، و ٢/ ١٢٠ – ١٤٨.

وهو أن يسلم كُلّ واحد منهما أن يناله من ألم صاحبه»[١]، وتسالم الفريقان مسالمة، أي: أخذوا بالسِّلم، والصلح، وعقدوا عقد السّلم، أي عقد المصالحة[٢]، وقد أشار سيد قطب في معرض حديثه عن قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾(النساء/ من الآية ٩٠)، من كون الإسلام يتسامح مع أصحاب العقائد المخالفة له، فلا يكرههم أبداً على اعتناق عقيدته، ولهم حتى وهم يعيشون في ظل نظامه ودولته أنْ يجهروا بمعتقداتهم المخالفة للإسلام في غير ما دعوة للمسلمين، ولا طعن في الدين، فالإسلام لا يدع مما يعيش في ظله يطعن فيه، ويموّه حقائقه، ويلبس الحق بالباطل، وحسب الإسلام أنْ لا يكره أحداً على اعتناق عقيدته من غير المعتنقين له، وأنْ يحافظ على حياتهم، وأموالهم، ودمائهم[٣].

وقد عنّف القرآن الكريم قوماً تهافتوا في القتل، ولم يكونوا محترزين محتاطين في ذلك، دأبهم طلب حطام الدنيا السريع النفاد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾(النساء/ من الآية ٩٤)، نزلت في أُسامة بن زيد، وقد قتل مرداس بن نُهيك بعد أن شَهِد الشهادة، وقال السلام عليكم[٤].

إنَّ المتأمل فيما نقل عن الحسن(عليه السلام) أنه استعمل السَّلم ومشتقاتها دليلاً على

(١) مفردات ألفاظ القرآن:(سلم): ٤٢٣،(النساء/ من الآية ٩٤)،(البقرة/ من الآية ٢٠٨)(الأنفال/ من الآية ٦١).

(٢) ينظر: أساس البلاغة: ١(سلم): ٤٥٥.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب: ١/ ٧٣٢.

(٤) ينظر: الكشاف: الزمخشري: ٢/ ٥٨٤ – ٥٨٥، وتفسير البيضاوي(أنوار التنزيل وأسرار التأويل): البيضاوي(ت ٦٨٢هـ)، تحقيق: مجدي فتحي السيد، وياسر سلمان أبو شادي، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت: ١/ ٢٩٧.

الصلح، أو الهدنة، أو المعاقدة التي حدثت بينه(عليه السلام) وبين معاوية، ومن هذه النصوص التي توضح ذلك، ما جاد فوه الشريف من عبارات، وإليك نصها:

١. ما قاله(عليه السلام) عندما «وجه معاوية إلى الحسن المغيرة بن شعبة، وعبد الله بن عامر بن كريز، وعبد الرحمن بن أم الحكم، وأتوه وهو بالمدائن نازل من مضاربه، ثم خرجوا من عنده، وهم يقولون، ويُسمعون الناس: إن الله قد حقن بابن رسول الله الدماء، وسكّن به الفتنة، وأجاب إلى الصلح فاضطرب العسكر، ولم يشكل الناس في صدقهم، فوثبوا بالحسن، فانتهبوا مضاربه وما فيها، فركب الحسن فرساً له ومضى في مظلم ساباط، وقد كمن له الجرّاح بن سنان الأسدي فجرحه بمعول في فخذه، وقبض على لحية الجرّاح، ثم لوّاها فدقّ عنقه، وحمل الحسن إلى المدائن وقد نزف نزفاً شديداً، واشتدّت به العلّةُ، فافترق عنه الناس، وقدم معاوية العراق، فغلب على الأمر، والحسن عليل شديد العلة، فلمّا رأى الحسن أنْ لا قوة به، وأن أصحابه قد افترقوا عنه فلم يقوموا له، صالح معاوية، وصعد المنبر فحَمِدَ الله، وأثنى عليه، وقال: **أيُّها الناس، إنَّ اللهَ هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وقد سالمت معاوية** ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾»[١]، وجاء هذا النصّ في تاريخ دمشق لـ(ابن عساكر ت ٥٧١هـ): «**أيها الناس، إن الله هدى أولكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وقد كانت لكم لي في رقابكم بيعة تحاربون من حاربتُ، وتسالمون من سالمْتُ، وقد سالمت معاوية:** ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ وأشار إلى معاوية بيده»[٢]، وجاء هذا النص في كشف الغمة لـ(الأربلي) على النحو الآتي: «**وإن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه، فنظرت لصلاح الأمة وقطع الفتنة، وقد كُنْتم بايعتموني على أنْ تسالموا من سالمتُ، وتحاربوا من حاربْتُ،**

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٤٩ – ١٥٠.(الأنبياء/ ١١١)، والأخبار الطوال: ٢١٧.

(٢) تاريخ دمشق: ابن عساكر: ١٣/ ٢٧٥.

فرأيْتُ أن أُسالم معاوية، وأضع الحربَ بيني وبينه، وقد بايعتُه ورأيْتُ أنَّ حَقْنَ الدماء خيرٌ من سفكها، ولم أرد بذلك إلاَّ صلاحكم، وبقاءكم: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.»[1].

٢. أشار الحسن(عليه السلام) إلى العواقب الوخيمة، والنتائج المرّة التي تترتب على مسالمة معاوية، فقال: «**ويْلكم ! واللهِ إنَّ معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضَمِنه في قتلي، وإنّي أظُنُّ إنْ وَضَعْتُ يَدي في يده فأُسالمه لَمْ يَتْرُكني أدين بدين جدي** صلى الله عليه وآله**، وإنّي أقْدِرُ أنْ أعْبُدَ الله**(عز وجل) **وَحْدي، ولكن كأنّي أنْظُرُ إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم، ويستطعمونهم بما جعل اللهُ لهم فلا يُسْقون، ولا يُطعمون، فَبُعْداً وسُحْقاً لِما كَسَبَتْهُ أيديهم،** ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾»[2].

٣. أشار الحسن(عليه السلام) إلى المسالمة مع معاوية، بعد أنْ تعرض(عليه السلام) إلى المحن، والخطوب من الذين يزعمون أنهم موالون، ومحبون له، ولأهل بيته(عليهم السلام)، إلاَّ أنهم في حقيقة الأمر يريدون قتله، ونهب متاعه، وهم لا يتوانون في قتله، أو تسليمه إلى معاوية أسيراً، فقال: «**واللهِ أرى معاوية خيراً لي، هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة ابْتَغَوْا قتلي، وانتهبُوا ثِقْلي، وأخذوا مالي، واللهِ لئن آخُذَ من معاوية عهداً أحْقِنُ به دمي، وآمن به أهلي وشيعتي خيرٌ لي من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي، لو قاتلتُ معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سِلْما، واللهِ لَئِن أُسالِمَه وأنا عزيزٌ أَحَبُّ من أن يقتلني وأنا أسير، أو يَمُنَّ عليَّ فتكون سُبَّةً على بني هاشم إلى آخر الدهر، ولِمعاوية لا يزال يَمُنُّ**

---

(١) كشف الغمة: ١/ ٥٧٩. وينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٢٦٠ – ١٦١.

(٢) بحار الأنوار: ١٠/ ١٧٠.(الشعراء/ من الآية ٢٢٧)، وينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ١٠٨ – ١٠٩.

بها وعَقِبُه على الحَيّ منا والمَيِّت»[١].

ب- شروط السِّلم:

إنَّ السَّلم الذي تم بين الحسن(عليه السلام)، وبين معاوية بن أبي سفيان بحسب الشروط التي سنذكرها لم تصرح من قريب، ولا من بعيد بذكر(بيعة)، ولا(إمامة)، ولا(خلافة)[٢]، قال اليعقوبي: «وأحضر الناس لبيعته، وكان الرجل يحضر فيقول: والله يا معاوية، إني لا أبايعك، وإني لكارهٌ لك، فيقول: بايع، فإن اللهَ قد جعل في المكروه خيراً كثيراً، ويأبى الآخر، فيقول: أعوذ بالله من شرِّ نفسك ! وأتاه قيس بن سعد بن عبادة ! فقال: بايع قيس ! قال: إن كنت لأكره مثل هذا اليوم، يا معاوية، فقال له: مَهْ، رَحِمَك اللهُ، فقال: لقد حرصت أنْ أفرّق بين روحك وجسدك قبل ذلك، فأبى الله، يا ابن أبي سفيان، إلا ما أحبّ، قال: فلا يُردّ أمرُ الله، قال: فأقبل قيس على الناس بوجهه، فقال: يا معشر الناس، لقد اعتضتم الشر من الخير، واستبدلتم الذل من العزّ، والكفر من الإيمان، فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وابن عم رسول رب العالمين، وقد وليكم الطليقُ ابن الطليق يسومكم الخسف، ويسير فيكم بالعسف، فكيف تجهل ذلك أنفسكم، أم طبَع اللهُ على قلوبكم، وأنتم لا تعقلون؟، فجثا معاوية على ركبتيه ثم أخذ بيده، وقال: أقسمت عليك، ثم صفق على كفّه، ونادى الناس: بايع قيس، فقال: كذبتم، واللهِ، ما بايعت، ولم يبايع لمعاوية أحدٌ إلاَّ أُخذ عليه الإيمان، فكان أول من استحلف على بيعته، ودخل إليه سعد بن مالك، فقال: السلام عليك، فقال: السلام عليك أيها الملكُ، فغضب معاوية، فقال: إلا قلتَ السلام عليك يا أمير المؤمنين؟، قال: ذاك إن كُنّا

---

(١) بحار الأنوار: ١٠/ ١٧١. وينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ١١١.
(٢) ينظر: صلح الحسن(عليه السلام): ٢٦٧.

أمّرناك، إنّما أنت مُنْتَزٍ»[١].

والذي يبدو أنَّ ما حدث هو سلم مؤقت، أو هدنة مؤقتة، وهذا الأمر التفت إليه طه حسين من قبل، فقال: «فهو إذاً يهيئهم للحرب حتى يأتي إبانها ويحين حينها، ويأمرهم بالسلم المؤقت حتى يستريحوا، ويحسنوا الاستعداد»[٢]، ويرى محمد باقر الصدر أن الحسن(عليه السلام) «قد انسحب عن الميدان، وعن المعترك السياسي مؤقتاً في هدنة أعلنها الإمام الحسن(عليه السلام) ومعاوية»[٣]، فجاءت «قرارات الإمام الحسن(عليه السلام) الصائبة بأن يهادن مؤقتاً، ويقبل بالصلح»[٤]، ويرى محمد السند «أن هناك شواهد عدة تؤكد أنه لو تعدّى معاوية على الخطوط الحمر التي توافق عليها الإمام الحسن(عليه السلام) معه، فسوف تبدأ المواجهة من جديد، وكان(عليه السلام) يستطيع أنْ يستعين بفئات من المسلمين، والتي هي من غير أتباع أهل البيت(عليهم السلام)، وهم كانوا على استعداد(...) والسلم هنا نوعٌ من التهدئة المؤقتة وهذا أشبه بعقد سلم بين قوتين لا أنه انفراد قوة، وتشتت قوة أخرى وتبعثرها، وذوبانها في القوة الأولى(...) ومعنى قوله(عليه السلام):(**سالمت معاوية**)، أي أنه لا أزال أحتفظ بكل قدراتي، وإن هذا العقد متضمن لإبقاء قوة الإمام الحسن(عليه السلام) بما له من معسكر بلحاظ قدرات أتباعه، وشيعته العسكرية»[٥].

وأكثر الظن أن الحسن(عليه السلام) لم يضطر إلى التنازل عن الخلافة، والسلطة، فالمعروف أن معاوية هو الذي عرض عليه السلم، أولاً، وأن الحسن(عليه السلام) قبله في اللحظات

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٥٠ – ١٥١.

(٢) الفتنة الكبرى: ٢/ ١٨٩.

(٣) أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية: ٣٠٣ – ٣٠٤.

(٤) موسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى): ٢/ ١٧٠.

(٥) الإمام الحسن بن علي(عليه السلام) شجاعة قيادة وحكمة سياسة: ٧٨.

الأخيرة، بشروط وضعها(عليه السلام) تدل دلالة قاطعة لا شك فيها أنه عاقد معاوية وهادنه على أن يعمل بكتاب الله وسنته وكون الناس آمنين في بلادهم شامهم، ويمنهم، وحجازهم، وعراقهم، فذكر هذه البلاد يؤكد نفوذه، وسلطانه، وكونه إماماً للأمة.

وقد اتفق الحسن(عليه السلام)، ومعاوية على إبرام هذا السَّلم على شروط كما سمّاها(الأربلي)[١]، و(ابن الصباغ المالكي)[٢]، و(المجلسي)[٣]، و(محسن الأمين العاملي)[٤]، أو على مواد كما سمّاها(راضي آل ياسين)[٥]، و(حسين الشاكري)[٦]، و(المجمع العلمي لأهل البيت)[٧]، أو على بنود كما سمّاها(باقر شريف القرشي)[٨]، و(هاشم معروف الحسني)[٩]، ومهما يكن من شيء فإنَّ تسميتها شروطاً أنسب للسَّلم، والهدنة منها إلى المواد، والبنود.

يبدو في أغلب الظنّ أنَّ معاوية هو الذي راسل الحسن(عليه السلام) في السَّلم، والهدنة، قال سبط بن الجوزي: «وقد روى البخاري ما يدل على أنَّ معاوية هو الذي راسله في الصلح، وقد أخرج عن الحسن البصري، قال: استقبل واللهِ الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال(...) فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس: عبد

(١) ينظر: كشف الغمة: ١/ ٥٠٨.
(٢) ينظر: الفصول المهمة: ١٥٤ – ١٥٥.
(٣) ينظر: بحار الأنوار: ١٠/ ١٩٣.
(٤) ينظر: أعيان الشيعة: ٢/ ٣٧٦ – ٣٧٧.
(٥) ينظر: صلح الحسن(عليه السلام): ٢٥٩ – ٢٦٠.
(٦) ينظر: موسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى): ٥/ ١٧٠ – ١٧١.
(٧) ينظر: أعلام الهداية: ١٤٦.
(٨) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٢٣٢ – ٢٣٤.
(٩) ينظر: سيرة الأئمة الاثني عشر: ١/ ٥٢٤ – ٥٢٥.

الرحمن بن سَمُرة، وعبد الله بن عامر، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل، وأعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه، وتكلّما وطلب إليه، فقال لهما الحسن: **إنّا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها**، قالا فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك، ويسألك، قال: **فمن لي بهذا الأمر**؟ قال: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلاَّ قالا: نحن لك به، فصالحه، وكان ذلك بالمدائن»[١].

وجاءت هذه الشروط متفرقة هنا، وهناك، وقد جمعها في بدء الأمر الأربليّ، فقال: «**بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية ابن أبي سفيان، صالحه على أنْ يسلّم إليه ولاية أمر المسلمين على أنْ يعمل فيهم بكتاب الله تعالى، وسنة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وسيرة الخلفاء الراشدين، وليس لمعاوية ابن أبي سفيان أنْ يعهد إلى أحدٍ من بعده عهداً، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا في أرض الله شامهم، وعراقهم، وحجازهم، ويمنهم، وعلى أنَّ أصحاب عليّ، وشيعته آمنون على أنفسهم، وأموالهم، ونسائهم، وأولادهم، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذ الله على أحدٍ من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه، وعلى أن لا يبقي للحسن ابن علي، ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) غائلة سرّاً، لا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أُفق من الآفاق، شَهِد عليه بذلك، وكفى بالله شهيداً فلان وفلان والسلام**»[٢]، وَقد أفاد راضي آل ياسين من هذا التراث فنسقها على صورة مواد خمس[٣]، ثم جاء باقر شريف القرشي فعرض لنا أربع صور لهذه الشروط، مرجّحاً الرابعة منها،

(١) تذكرة الخواص: ٢٢.

(٢) كشف الغمة: ١/ ٥٣٣ – ٥٣٤.

(٣) ينظر: صلح الحسن(عليه السلام): ٢٥٩ – ٢٦١.

على الرغم من وصفه إياها بالناقصة، ثم أخذ من مجموع هذه الصور، فكوّن صورة خامسة، من أَحَدَ عَشَرَ بنداً، وها هي:

١. تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله، وسنّة نبيّه(صلى الله عليه وآله) وسيرة الخلفاء الراشدين.

٢. ليس لمعاوية أنْ يعهد بالأمر إلى أحد من بعده، والأمر بعده للحسن، فإن حدث به حدثٌ فالأمر للحسين.

٣. الأمن العام لعموم الناس، الأسود، والأحمر منهم سواء فيه، وأنْ يحتمل عنهم معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع أحداً بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق بإحنه.

٤. أن لا يسميه أمير المؤمنين.

٥. أنْ لا يقيم عنده الشهادة.

٦. أنْ يترك سبّ أمير المؤمنين، وأنْ لا يذكره إلاّ بخير.

٧. أنْ يوصل إلى كُلّ ذي حق حقّه.

٨. الأمن لشيعة أمير المؤمنين، وعدم التعرض لهم بمكروه.

٩. يفرق في أولاد من قتل مع أبيه في يوم الجمل، وصفّين ألف ألف درهم، ويجعل ذلك من خراج دار أبجِرد.

١٠. أنْ يعطيه ما في بيت مال الكوفة، ويقضي عنه ديونه، ويدفع إليه في كل عام مائة ألف.

١١. أن لا يبغي للحسن بن علي، ولا لأخيه الحسين، ولا لأهل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) غائلة، سرّاً، ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق»[١].

إنَّ المتأمل، والمتبحر في هذه الشروط التي أملاها الحسن(عليه السلام) يجدها تمثل معالم إنسانية مثالية، وأولاها هو معلم إصلاح الأمة، وتنظيم حياتها، وسلوكها على وفق مناهج، ومعايير، من نحو: العمل بتعاليم القرآن الكريم، ومبادئه التي تمثل قيماً إنسانية متكاملة، وإتباع سنة المصطفى(صلى الله عليه وآله) السمحاء، والعمل بسيرة الخلفاء الراشدين والدعوة إلى إفشاء الأمن والسلام، وبث الطمأنينة في المجتمع، وإقامة العدل، والمساواة بين أفراده، والابتعاد عن السب، والشتم، واطّراح الضغائن، وترك الأحقاء، والغوائل سرّاً وعلناً.

إنها ملحمة في المعالم الإنسانية المثالية، فاحت من فم سبط المصطفى، وريحانته الحسن(عليه السلام)، وقد دفعت هذه الشروط ضرراً عظيماً عن الدين والمسلمين، وهذا الأمر أشهر من الشمس، وأجلى من الصبح[٢].

لقد حاول الحسن(عليه السلام) بسلمه مع معاوية، وبهذه الشروط إلى ردع الإذلال عن الأمة، وعدم تمييع شخصيتها، وإبعاد الضغائن، والأحقاد القومية، والإقليمية، والقبلية في داخل العالم الإسلامي، فمعاوية وحزبه حاولا أن يشغلوا الأمة بأتفه الأفكار، وأرخص الهموم من خلال زرع النزاعات، وبث الخلافات فيما بينها، للاستيلاء على مقدّرات الأمة، وطمس إنسانيتها[٣].

---

(١) حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٢٣٢ – ٢٣٤.

(٢) ينظر: بحار الأنوار: ١٠/ ٢٠٤.

(٣) ينظر: أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الأممية: ٣٠٦.

إنَّ عملية السلم جاءت من أجل مصلحة الإسلام، ومصلحة أهل البيت(عليهم السلام)، فعُدّ الحسن(عليه السلام) منصوراً غالباً، يمضي وفاقاً لسياسات موصوفة بالصمت، والتواضع، والاتئاد، وفي ظلّ إصلاح، وتسليم، وحقن دماء[1].

إن الله سبحانه وتعالى عوّد أهل هذا البيت أنْ يحفظ لهم الشرف في أعلى مراتبه، وفي مختلف ميادينه، فإن لم يكن الانتصار بالسلام، فليكن بالشهادة الكريمة في الله، وفي التاريخ، وإن لم يكن بهذا ولا ذاك، فليكن بالإصلاح، وجمع الكلمة، وتوحيد أهل التوحيد، وكفى بالإصلاح شرفاً، وكفى ببقاء الشرف انتصاراً، وبقاء الشرف ضمان لبقاء العزّة، والعزة حافر دائب يدفع إلى الحياة، ويقوم على السيادة[2].

(١) ينظر: صلح الحسن(عليه السلام): ٢٩٨. وسيرة الأئمة الأطهار: مرتضى المطهري،مراجعة عبد الكريم الزهيري، ط٢، مطبعة شريعة، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م: ٧٢ – ٧٣.

(٢) ينظر: موسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى): ٥/ ٢٥٠ – ٢٥١.

المبحث الثاني:

التعايش السِّلمِيّ

من معالم إنسانية الحسن(عليه السلام) المثالية، معلم دعوته إلى التعايش السلمي بين الناس، هذا المعلم الذي رفع الله(عز وجل) من شأنه، ومدحه في القرآن الكريم كثيراً، فقد جاءت النصوص القرآنية ترفع من شأنه، وتؤكد أثره في المجتمع الإنسانيّ.

فهو سبيل رئيس، وأثر عميق في رفع الشحناء، والبغضاء، والمناخات غير الصافية، في أي مجتمع، زد على ذلك لكونه الطريق الأوحد في إزالة المعوّقات، والعقبات، والمشاكل فيه.

إنَّ الاختلاف غير المحدود، والتناحر، والتباغض تودي إلى تفريق المجتمع، وذهاب ريحه، ومن ثم الخراب والدمار، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(الأنفال/ ٤٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾(الأنبياء/ ٩٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾(المؤمنون/ ٥٢).

وقد أشار القرآن الكريم إلى الأخوة، وأثرها في متانة العلاقات، وتوثيق العرى، ومدّ أواصر المحبّة، والألفة بين أفراد المجتمع، قال تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾(الحجر/ ٤٧)، بمعنى رفعنا البغضاء، والشحناء، وهو تنبيه على انتفاء المخالفة من بينهم، وعُدّ من الأُخوة بمعنى الملازمة، قال الزمخشري:

«إخوان الوداد أقرب من إخوة الولاد»[(١)].

وقد دعا الباري(عزّ وجلّ) إلى الاعتصام بحبله، فهو الرباط الوثيق، والحبل المتين الموصل إلى الألفة، والائتلاف، والالتحام، والتحابّ، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾(آل عمران/ من الآية ١٠٣)، أي بالتحاب في الله(عزّ وجلّ)، والتقارُب لتتنوّروا بنوره وضيائه، وهذه الأخوة المعتصمة بحبل الله(عزّ وجلّ).

إن الإسلام قد جمع هذه القلوب المتنافرة، وما يمكن أنْ يجمع القلوب إلاّ أخوة من الله تصغر إلى جانبها الأحقاد التاريخيّة، والثارات القبليّة، والأطماع الشخصية، والرايات العنصرية، ويتجمع الصفُّ تحت لواء الله(عزّ وجلّ) الكبير المتعال، فأنقذتهم من النار بهدايتهم إلى الاعتصام، والمصالحة، والتأليف بين قلوبهم[(٢)].

إنَّ عناصر الألفة، والتعايش، والتقارب تكمن في التوحيد في العقيدة والشريعة لا في الوطن، ولا في الجنس، ولا في اللون، ولا في اللغة، ولا في الطائفية، ولا في القومية، والإسلام قد شطب بخط عريض على أفكار التناحر، والتباغض، والتحارب، ولم يعر لها أهمية تذكر بل حذّر المسلمين من الانخراط تحت لوائها، والانجراف معها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾(الحجرات/ ١٣)[(٣)].

وقد جاءت السنة المطهرةُ مؤكدة مبدأ التعايش، والألفة في المجتمع فقد روى

(١) أساس البلاغة:(أخ): ١/ ١٧.
(٢) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب: ١/ ٤٤٢ – ٤٤٣.
(٣) ينظر: إضاءات في طريق الوحدة والتعايش: جعفر سبحاني، ط١، مؤسسة الإمام الصادق، قم – إيران، ١٤٣٢هـ: ١٣.

البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب: أنّ عليّ بن أبي طالب في يوم خيبر سأل رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وقال على ماذا أُقاتل، فقال(صلى الله عليه وآله): «**قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله، فإذا فعلوا فقد منعوا منك دماءهم، وأموالهم إلاَّ بحقّها وحسابهم على اللهِ**»[1].

وسنبسط الحديث في هذا المبحث عن معلم مهم من معالم إنسانيته المثالية(عليه السلام)، وهو معلم التعايش السلمي، وسيكون في فقرتين:-

أولاً: التعايش السلمي في تراثه(عليه السلام)، وثانياً: شذرات من التعايش السلمي عند الحسن(عليه السلام).

أولاً: التعايش السلمي في تراثه(عليه السلام):

قبل أنْ نقف على أهم النصوص التي رويت عن الحسن(عليه السلام) التي نلمح فيها دعوته إلى التعايش، والتحابُب، والتسامح، لابد من القول: إن الحسن(عليه السلام) من خلال تراثه الخصب الذي وقفنا عليه سواءٌ أكان رسالةً، أم خطبةً، أم قولاً وغيرها، لم يستنفر الشعور الطائفي، ولم يقصد البتة إلى نبش الدفائن، وتأريث النعرات، ولم يدعُ – حاشاهُ – إلى التفرقة، والتناحر، والتخاصم، فهو من الذين دَعَوا إلى التعايش السلمي بين الناس كافة[2].

كان الحسن(عليه السلام) من الداعين إلى وحدة الصف، ولَمّ الشعث وإلى الإصلاح، والنصح، فقدّم التعايش على التحارب، والمحبة على الكراهية، والتسامح على التباغض، والتعاون على التناحر، فصار أنموذجاً سامياً، ومثلاً فريداً في الدعوة إلى

(١) صحيح البخاري: ١(كتاب الإيمان): ١٠.

(٢) ينظر: صلح الحسن:(عليه السلام): ٧٧.

الوحدة، والتعايش السلمي، والتسامح، ونبذ الفرقة، والتحارب، فغدا إماماً للتقريب بين المسلمين، ولقد اتّخذ من أحكام ربّه منهاجاً، ومن كلام جدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله) علاجاً، ومن حياة أبيه قوة وقدوةً.

لقد بَصُر الحسن(عليه السلام)، وتدبّر تدبّراً واعياً النصوص القرآنية التي تدعو إلى الألفة، والمحبة، والأمن، والصفح، والعفو، والسَّلم، والصلح، والمغفرة، والتوبة، والعهد وغيرها، فضلاً عن أحاديث جدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله) الداعية إلى التعايش، والتحابب، والتسامح، وكذلك أقوال أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام)، وأفعاله التي عاشها، فوعاها، فكان هذا التراث الضخم كلّه معيناً نابضاً، وأهازيج وترنيمات يردّدها يومياً آناء الليل وأطراف النهار، قال طه حسين: «وكان الحسن رجلَ صدق، قد كَرِه الفرقةَ، وآثر اجتماع الكلمة»(١).

١. طائفة من أقواله (عليه السلام):

إن المتأمل، والمتدبر في تراث الحسن(عليه السلام) يجد الكلمات التوجيهية، التي تدعو الجماهير إلى الالتزام بقواعد حفظ العلاقات فيما بينهم بالعبارات التعايشية السلمية التي تدعو إلى الأُلفة، والمحبة، وحسن المعاشرة، ونبذ الفرقة، والبغضاء، والشحناء، على الرغم من المدّة القصيرة التي تولّى فيها الخلافة.

ومن هذه النصوص التي تدعو إلى هذه القيم الإنسانية العليا، قوله(عليه السلام) بعد أن استشهد أبوه أمير المؤمنين(عليه السلام) قال ابن قتيبة: «لما قتل علي بن أبي طالب، ثار الناس إلى الحسن بن عليّ بالبيعة فلما بايعوه قال لهم: تبايعون لي على السمع والطاعة، وتحاربون من حاربتُ وتسالمون من سالمتُ، فلما سَمِعُوا ذلك ارتابوا وأمسكوا أيديهم وقبض

---

(١) الفتنة الكبرى: ٢/ ١٧٦.

هويده، فأتوا الحسين، فقالوا له: ابْسُط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أباك، وعلى حرب المحلّين الضّالين أهل الشام، فقال الحسين: **معاذ الله أنْ أُبايعكم ما كان الحسن حيّا،** قال: فانصرفوا إلى الحسن، فلم يجدوا بدّاً من بيعته، على ما شرط عليهم، فلما تمت البيعة له، وأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك كاتب معاوية، فأتاه فخلا به، فاصطلح معه على أنَّ لمعاوية الإمامة ما كان حيّاً، فإذا مات فالأمر للحسن، فلما تم صلحهما صَعِد الحسن إلى المِنبر، فحَمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: **أيها الناس، إنَّ اللهَ هدى أولكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وكانت لي في رقابكم بيعة، تحاربون من حاربْتُ، وتسالمون من سالمتُ، وقد سالمت معاوية، وبايعته فبايعوه وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين،** وأشار إلى معاوية»[١] ولا يخفى التقابل الدلالي بين جملتي(**تحاربون من حاربْتُ، وتسالمون من سالمْتُ**)، والتي تدل على الانقياد له السلم، وفي الحرب، بمعنى إطاعة ولي الأمر؛ لأنَّ إطاعته تعني الألفة والتعايش والاتحاد، وبخلاف ذلك يعني الفرقة، والانشقاق. وقال أبو حنيفة الدَّينوري حينما بلغ معاوية استشهاد عليّ(عليه السلام) تجهَّز وقدّم أمامه عبد الله بن عامر بن كُريز فأُخذ إلى عين التمر، ونزل بالأنبار يريد المدائن، وبلغ ذلك الحسن بن علي، وهو بالكوفة فسار نحو المدائن لمحاربة عبد الله بن عامر ابن كُريز، فلما انتهى إلى(سَابَاط)[٢] رأى من أصحابه فشلًا وتواكلًا عن الحرب، فنزل ساباط وقام فيهم خطيباً: «**أيها الناس، إنّي قد أصبحْتُ غير محتمل على مسلم ضغينة، وإنّي ناظر لكم كنظري لنفسي، وأرى رأياً فلا تردُّوا عليّ رأي، إن الذين تكرهون من الجماعة أفضل مما تحبّون من الفرقة، وأرى أكثركم قد نكل عن الحرب، وفشل عن القتال،**

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ١٣٣.

(٢) السَّابَاط(لغة) سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ، وساباط قرية في المدائن عندها قنطرة على(نهر الملك)، ولعلها إنما سميت بهذا الاسم؛ لوجود سقيفة من(السوابيط) فيها، والمظنون أن هذه السقيفة هي(مَظْلِم ساباط).(ينظر: صلح الحسن(عليه السلام): ١٣١، هامش رقم(١)).

ولست أرى أن أحملكم على ما تكرهون»[١]، ما أجمل هذه العبارات التي تفيض إنسانيةً ! فقد أصبحت غير محتمل على مسلم ضغينة فالحسن(عليه السلام) يدعو إلى التعايش، ونبذ الضغائن، فأنتم كنفسي أحبكم كما أحبُّها، أحافظ عليها كحفاظي عليكم، تمسكوا بالجماعة، ووحدة الصفّ فهي خير لكم من الفرقة، والتشتت.

ومن النصوص التي دعا فيها الحسن(عليه السلام) إلى التعايش والتقارب بين المسلمين، والحيلولة من التفرق، والاختلاف غير المحمود حفاظاً على بيضة الإسلام، وكيان المجتمع، رسالته(عليه السلام) إلى معاوية يدعوه إلى مبايعته، وطاعته، والدخول فيما دخل فيه المسلمون، ننقل منها موضع الحاجة، قال(عليه السلام): «**ولقد كنّا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا حقِّنا، وسلطان بيتنا، وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، وأمْسَكْنا عن منازعتهم، مخافة على الدين أنْ يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مَغْمَزاً يَثْلِمُونه به، أو يكون لهم بذلك سببٌ إلى ما أرادوا من إفساده**»[٢]، وقد دعا الحسن(عليه السلام) معاوية في الرسالة نفسها إلى التعايش، وعدم التفرقة، فقال(عليه السلام): «**فَدَع التمادي في الباطل، وادخُل فيما دَخَل فيه الناس من بيعتي، فإنَّك تعلم أنّي أحقُّ بهذا الأمر مِنك عند الله، وعند كُلِّ أوّاب حفيظ، ومَنْ له قلب منيب، واتّقِ الله ودَعِ البغي، واحْقِنْ دماء المسلمين، فوالله ما لك خيرٌ في أن تَلْقَى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به، وادخُل في السِّلم والطاعة ولا تنازع الأمر أهله، ومن هو أحقُّ به منك لِيُطفِئَ اللهُ النائرة بذلك، ويَجْمَعَ الكلمة، ويصلحَ ذات البين**»[٣]. ومن النصوص التي تؤكد ميل الحسن(عليه السلام) إلى التعايش السلمي خطبتُه التي ألقاها على جمع من الزعماء، والوجوه،

---

(١) الأخبار الطوال: ٢١٦ – ٢١٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٦/ ٣٣.

(٣) م.ن: ١٦/ ٣٤.

والناس كافة، قال ابن الأثير: «قام الحسن بعد موت أبيه أمير المؤمنين، قال: بعد حمد الله(عز وجل): **إنّا واللهِ ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنّا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فسلبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في منتدبكم إلى صفين، ودينكم أمام دنياكم، فأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم ألاَ وإنّا لكم كما كنّا، ولستم لنا كما كنتم ألا وقد أصبحتم بين قتيلين، قتيلٍ بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، فأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر، ألاَ وإن معاوية دعانا إلى أمرٍ ليس فيه عز ولا نَصَفَة، فإن أرَدْتُم الموت ردَدْناه عليه، وحاكمناه إلى الله(عز وجل) بظُبا السيوف، وإن الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا.** فناداه القوم من كلّ جانب: البقية البقية، فلما أفردوه أمضى للصلح»[1]. وقد أجاد راضي آل ياسين في بيان أسس التقريب بين المذاهب الإسلامية، ولاسيما قضية الخلافة، هذه الأسس القيمة التي تدعو إلى الحوار المحمود، والتعايش المبارك بين المسلمين كافة في أرجاء المعمورة[2].

وقد نقل لنا اليعقوبي نصوصاً للحسن(عليه السلام)، بيَّن فيها(عليه السلام) الصفات التي ينبغي أنْ يتحلّى بها المسلم؛ ليكون محبوباً بين الناس، متعايشاً في مجتمعه، فضلاً عن ذلك إعطاؤُه حدوداً وتعريفاتٍ لكثير من المفاهيم الإنسانية القيّمة، منها: «وقال معاوية للحسن: يا أبا محمد ثلاث خلال ما وجدْتُ من يخبرني عنهن، قال: **وما هُنَّ**، قال: المروءة، والكرم، والنجدة، قال: **أما المروءة، فإصلاح الرجل أمر دينه، وحسن قيامه على ماله، ولين الكفّ، وإفشاء السلام، والتحبّب إلى الناس، والكرم العطية قبل السؤال، والتبرع بالمعروف، والإطعام في المحلّ، ثم النجدة الذب عن الجار،**

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة: ١/ ٥٦٠ – ٥٦١.

(٢) ينظر: صلح الحسن(عليه السلام): ١٥٩ – ١٦٢.

والمحاماة في الكريهة، والصبر عند الشدائد»[١]، «قال جابر: سَمِعْتُ الحسنَ يقول: **مكارم الأخلاق عشر: صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن الخُلُق، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، والتذمم على الجار، ومعرفة الحقّ للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء»**[٢]، وقال اليعقوبي: «وقيل للحسن، مَنْ أحسنُ الناس عيشاً؟ قال: **مَن لا يعيش في عيشه أحدٌ»**[٣]، وذكر لنا ابن عساكر في تاريخ دمشق «عن جُعَيْدة بن همدان أن الحسن بن علي (عليه السلام) قال له: **يا جعيدة بن همدان: إنَّ الناس أربعة، فمنهم من له خلاق وليس له خلق، ومنه من له خلق وليس له خلاق، فذاك أفضل الناس»**[٤]، ومن النصوص التي ذكرت له (عليه السلام) وتدل على التعايش، وحسن معاشرة الناس، أنه (عليه السلام) قال: **«لا أدب لمن لا عقل له، ولا مروءة لمَن لا همة له، ولا حياء لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرة الناس بالحياء، وبالعقل تدرك الداران جميعاً، ومَنْ حرم العقل حرمهما جميعاً»**[٥]. وقال (عليه السلام): **«صاحب الناس مثل ما تحب أنْ يصاحبوك»**[٦]، وقال (عليه السلام): **«إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ، أيّها الناس من كان له على الله أجر فليقم، قال: فلا يقدمون إلاّ أهل المعروف»**[٧]، وقال (عليه السلام): **«المعروف ما كان ابتداءً من غير مسألة، فأما من أعطيْتُه بعد المسألة، فإنّما أعطيْتُه بما بذل لك من ماء وجهه»**[٨].

(١) تاريخ اليعقوبي: ١٥٧.
(٢) م.ن: ١٥٧.
(٣)م.ن: ١٥٧.
(٤) تاريخ دمشق: ٥/ ١٢٥.
(٥) موسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى): ٥/ ١٢٧.
(٦) م.ن: ٥/ ١٣٠.
(٧)()م.ن: ٥/ ١٣٠.
(٨) م.ن: ٥/ ١٣١.

٢- التعايش السلمي من خلال شروط السَّلم أو الهدنة مع معاوية:

ما دمنا بصدد الحديث عن تراثه، لابد من القول: إنَّ شروط السَّلم مع معاوية قد حفلت بنماذج إنسانية مثالية في التعايش السلمي، قال باقر القرشي: «وأهم ما ينشده الإمام من تلكم الشروط هي بسط الأمن، ونشر العافية بين جميع المسلمين، سواءٌ الأسود منهم، والأحمر، وقد دلّ ذلك على مدى حنانه، وعطفه على جميع المسلمين، كما نصت هذه المادة: على أن لا يتبع أحداً بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق بإحْنة مما قد مضى، وإنّما شرط عليه ذلك لعلمه بما سيعاملهم به من الإرهاق، والتنكيل انتقاماً لما صدر منهم من أيّام صفين»[١].

والمحقق في شروط هذه الهدنة التي أمضاها الحسن(عليه السلام) وقدّرها، يجدها كلَّها تصب في مصلحة المسلمين، ووحدتهم، وتعايشهم، ولم تكن تصب في مصلحتهِ(عليه السلام)، فالدعوة إلى السَّلم، والخير، والتعايش، والتسامح، والأمن هي الأساس، فهو(عليه السلام) كان مستعداً استعداداً كاملاً من أجل إيصال المسلمين إلى التعايش السلمي، والأمان، والخير، وهذا ما عبر عنه مرتضى المطّهري: أنَّ «من المسائل المطروحة في كتاب الجهاد مسألة الصلح، والتي يطلق عليها بحسب الاصطلاح الفقهي الهدنة أو المهادنة، والمهادنة تعني المصالحة والهدنة تعني الصلح، فما معنى الصلح؟ هو اتفاق على عدم الاعتداء، اتفاقية عدم حرب، وما يقال له اليوم: التعايش السلمي بين الأطراف»[٢].

ويمكن الكشف عن أهم دلالات التعايش السلمي، في شروط السلم، أو الهدنة، ففي الشرط الأول: «يسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله تعالى،

---

(١) حياة الإمام الحسن بن علي(عليه السلام): ٢/ ٢٣٨.

(٢) سيرة الأئمة الأطهار: ٦٥ – ٦٦.

وسنة رسول الله(صلى الله عليه وآله) وسيرة الخلفاء الراشدين»[١]، فالعمل بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله(صلى الله عليه وآله)، وسيرة الخلفاء الراشدين تعني الالتزام بالوحدة، والتعايش الإنساني، والتمسك بالنهج الصحيح، والدستور الكامل الذي يفضي إلى تماسك المجتمع، وتعايشه، وسعادته؛ بمعنى أن العمل بهذه الأسس، والأدلة مدعاةٌ إلى جريان أمور المسلمين بالمجرى الصحيح السليم، وهو المراد، والمأمول.

ومن شروط الهدنة أن «الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله شامهم، وعراقهم، وحجازهم، ويمنهم، وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم، وأموالهم، ونساءهم، وأولادهم»[٢]، وهذا الشرط يؤكد إنسانية الحسن، وعالميته في حُبّه الناس أجمع، من خلال توفير الأمن، والطمأنينة لهم، وهو ملمح قرآني إنساني عالٍ في التعايش، والاستقرار، فأصل الأمن: «طُمَأنينة النفس، وزوال الخوف، والأمـن، والأمانة، والأمان في الأصل مصادر، ويُجْعل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسْماً لما يؤمن عليه الإنسان(...) وقوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾، أي آمنا من النار»[٣]، وقد توسع الفيومي(ت ٧٧٠هـ) في ذكر معاني الأمن، فقال: «أَمِنَ زيدٌ الأسد أمناً، وأَمِنَ منه مثل سَلِمَ منه، والأصل أنْ يستعمل في سكون القلب(...) وأَمِنَ

(١) كشف الغمة: ١/ ٥٣٣، وينظر: الفصول المهمة: ١٥٤، وأعيان الشيعة: ٢/ ٣٧٦، وصلح الحسن(عليه السلام): ٢٥٩، حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٢٣٢، وسيرة الأئمة الاثني عشر: ١/ ٥٢٤، وموسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى): ٥/ ١٧٠، وأعلام الهداية(الحسن المجتبى): ١٤٦.

(٢) كشف الغمة: ١/ ٥٣٣ – ٥٣٤، وينظر: الأخبار الطوال: ٢١٨، والفصول المهمة: ١٥٤ – ١٥٥، وأعيان الشيعة: ٢/ ٣٧٦ – ٣٧٧، وصلح الحسن(عليه السلام): ٢٦٠ – ٢٦١، وحياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢٣٣ – ٢٣٤، وسيرة الأئمة الاثني عشر: ١/ ٥٢٤ – ٥٢٥، وموسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى): ٥/ ٢٥٩، وأعلام الهداية: ١٤٦.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن:(آمن): ٩٠.(آل عمران/ ٩٧).

البلد اطمأنَّ به أَهْلُه فهو آمِنٌ وأمين، وهو مأمون الغائلة، أي ليس له غَوْر، ولا مكرٌ يُخْشى، وآمَنْتُ الأسير بالمدّ أَعْطَيْتُه الأمان، فَأَمِنَ هو بالكسر (...)، واستأمنه طَلَبَ منه الأمان، واسْتَأْمَنَ إليه دَخَلَ في أَمَانِهِ»[١].

فالحسن(عليه السلام) يريد تحقيق الأمن للناس في أية بقعة من بقاع الأمن كانوا في الشام، أو العراق، أو اليمن، أو الحجاز، وأن يعيش السود والحمر في أمانٍ، وعلى معاوية أن يتغاضى عن هفواتهم، وأخطائهم، واضطراباتهم.

ومن الشروط التي اشترطها الحسن(عليه السلام) على معاوية، شرط العفو والصفح، وهو شرط إنساني قيّمي في المصالحة، والتعايش بين أفراد المجتمع كافة، وقد ذكره أبو حنيفة الدَّينوريّ من قبل، قال: «ولمّا رأى الحسن من أصحابه الفشل أرسل إلى عبد الله بن عامر بشرائط اشترطها على معاوية أنْ يسلّم له الخلافة، وكانت الشرائط: **ألاّ يأخذ أحداً من أهل العراق بإحْنَة، وأنْ يؤمن الأسود والأحمر، ويحتمل ما يكون من هفواتهم**»[٢]، وقال راضي آل ياسين: «**وأنْ يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع أحداً بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق بإحْنةٍ**»[٣]، والمقصود بهذا الشرط هو التخلي، وترك الأحقاد القديمة؛ لأن أكثر هؤلاء كانوا من الذين حاربوا مع أمير المؤمنين عليّ(عليه السلام) في صفين «**وأن لا يؤخذ أي شخص بأخطائه السابقة ولا يؤاخذ أهل العراق بالضغائن القديمة**»[٤]، وترك التثريب، وترك الأخطاء والإعراض عنها، والتجافي عن الذنوب؛

(١) المِصباح المنير: الفيومي(ت ٧٧٠هـ)، تقديم: محمود فهمي حجازي، الهيأة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م:(أمن) ٢١.

(٢) الأخبار الطوال: ٢١٨، وينظر: كشف الغمة: ١/ ٥٣٣ – ٥٣٤، والفصول المهمة: ١٥٤ – ١٥٥، وأعيان الشيعة: ٢/ ٣٧٦ – ٣٧٧.

(٣) صلح الحسن(عليه السلام): ٢٥٩ – ٢٦٠.

(٤) سيرة الأئمة الأطهار: ٩١.

بمعنى الابتعاد عن إقامة المحاكم للاقتصاص، وإيقاع العقوبة.

إنّ هذه الشروط تعد وثيقة عالية المضمون، عظيمة الجوهر في التعايش، والوحدة، فهي تدعو إلى الروح الإنسانية القيمة العالية، وإلى التوافق الإنساني، والتناصح والائتلاف، والابتعاد عن الخلاف المذموم، والدعوة إلى الاتحاد المحمود، وترك الأحقاد، والإحن، والضغائن، وإخضاع الأمور كافة إلى العقل، وعدم إقامة محاكم قصاص لمن هفا، وأخطا، فالميزان هو العفو والصفح، وعدم التعرض لأحد بسوء، وإعطاء كُلِّ ذي حقّ حقّه بما قسم الله(عزّ وجلّ)، وإن السياسة الإسلامية بمفاهيمها كلّها قد ثبّتت العدل، وآمنتٍ به إيماناً مطلقاً، فالإسلام أسبغ نعمة الأمن، والمساواة، والعفو، والصفح على الإنسانية بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ المجتمع العالمي، فقد أعلن المساواة العادلة ما بين الأفراد والجماعات، وكذلك أكد حقن الدماء، والاحتياط منها، وإشاعة الأمن، والطمأنينة في المجتمع؛ لما لها من آثار إيجابية في التعايش، والائتلاف، والاتحاد.

ثانياً: شذرات من التعايش السلمي عند الحسن(عليه السلام):

سأبسط في هذه الفقرة شذرات، وقبسات من التعايش السلمي عند الحسن(عليه السلام)، من أجل بيان هذا المفهوم لديه، مستعيناً بالشواهد الدالة من تراثه، وبدا لي أن أذكر ثلاثاً منها، لها مسٌّ وثيقٌ بالدراسة، وهي، حُبّ الناس له، وحِلمه وصبره، ووفاؤُه بالعهود.

١. حُبُّ الناس الحسن(عليه السلام):

لقد جعل الله(عزّ وجلّ) للحسن محبةً في نفوس المسلمين، وأفئدتهم وقد أجمع المؤرخون على ذلك، فكان في «شمائله آية الإنسانية الفُضْلى، ما رآه أحدٌ إلا هابه، ولا خالطه إنسان إلاّ أحبّه، ولا سَمِعَه صديق، أو عدوٌّ وهو يتحدث، أو يخطب فهان عليه أنْ يُنْهِي حديثه،

أو يَسْكت»[١]؛ لأنّ الكلام في مجلسه لا يشتهى، بل الآذان تستطاب البيان.

وهذه المحبة في أفئدة الناس، أخبر بها جدُّه المصطفى(صلى الله عليه وآله)، فعندما اشتد الوجع به(صلى الله عليه وآله) أخبر ابنته فاطمة الزهراء(عليها السلام) بأنها أول لحوق به، فجاءت بولديها، وهي تذرف الدموع، فقالت له: **أبه، هذان ولداك، فورّثهما مِنْك شيئاً،** فأفاض عليهما الرسول(صلى الله عليه وآله) من مكرمات نفسه، وورّثهما من كمالاته، قائلاً: **أمّا الحسنُ، فإنَّ له هَيْبَتي وسُؤْدَدِي، وأمّا الحسين فإنَّ جُرأتي وجُوْدِي**[٢].

وقد بايعه الناس محبّين له عارفين بحقّه، وطهارته، قال الدَّينوريّ: «ودُفِن علي(عليه السلام)، وصلى عليه الحسن، وكبّر خمساً، فلا يعلم أحدٌ أين دُفن؟ قالوا: ولما تُوُفِّي علي(عليه السلام)، خرج الحسن إلى المسجد الأعظم فاجتمع الناسُ إليه فبايعوه»[٣].

وقد نقلت لنا الأخبار حُبَّ الناس الحسن(عليه السلام)، وقربه منهم روى ابن قتيبة اجتماع معاوية بوفود الأمصار بدمشق بعد عقد الهدنة بينه، وبين الحسن(عليه السلام)، فدعا معاوية الأحنف بن قيس، «فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنّا قد فررْنا عنك قريشاً، فوجدْناك أكرمها زندا، وأشدها عقدا، وأوفاها عهداً وقد عَلِمْت أنّك لم تفتح العراق عنوة، ولم تظهر عليها قَعْصا[٤]، ولكنّك أَعْطَيْتَ الحسن بن علّي من عهود الله ما قد عَلِمْت، ليكون له الأمر من بّعْدك، فإن تفِ فأنت أهل الوفاء، وإن تغدر تعلم

(١) صلح الحسن(عليه السلام): ٢٧.

(٢) ينظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي المتقي الهندي(ت ٩٧٥هـ)، د.ط، حيدرآباد، الهند، ١٣١٣هـ: ٧/ ١١٠، وشرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٠.

(٣) الأخبار الطوال: ٢١٦. وينظر: تاريخ خليفة بن خياط: ١٥٠، وتاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٣٣٠، وتذكرة الخواص: ١٩، والفصول المهمة: ١٥٢ – ١٥٣.

(٤) قَعْصاً: ضَرَبة أو رَمْية.

والله إنَّ وراء الحسن خيولاً جياداً، وأذرعاً شداداً، وسيوفاً حداداً إن تدن له شبراً من غدر، تجد وراءه باعاً من نصر، وإنّك تعلم أنَّ أهلَ العراق ما أحبُّوك منذ أبغضوك، ولا أبغضوا عليّاً، وحسناً منذ أحبوهما، وما نزل عليهم في ذلك غير من السماء، وإن السيوف التي شهروها عليك مع علي يوم صفين لعلى عواتقهم، والقلوب التي أبغضوك بها لبين جوانحهم، وأيمُ الله إنَّ الحسن لأحبّ إلى أهل العراق من عليّ»[١]. روى أبو الفرج الأصفهاني بعد أن نقل خطبة الحسن(عليه السلام)، مبايعة الناس له(عليه السلام) فقام «ابن عباس بين يديه فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا له، وقالوا: ما أحبَّه إلينا، وأحقَّه بالخلافة فبايعوه»[٢]، وقال ابن كثير: «وأحبّوه أشد من حُبّهم لأبيه»[٣]، وقد بلغ الحسن(عليه السلام) من حبّ الناس له الشرف العظيم، فمكن الله(عز وجل) له من قلوب المسلمين المقام الرفيع، فكان الأقدرَ على توجيه الأمة، وقيادتها الروحية، وكان «يبسط له على باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق فما مَرّ أحدٌ من خَلْق الله إجلالاً له، فإذا عَلِمَ ودخل بيته مَرّ الناس، ولقد رأيْتُه في طريق مكة ماشياً فما من خلق الله أحدٌ رآه إلاّ نزل ومشى، حتى رَأَيْتُ سعد بن أبي وقّاص يمشي»[٤]، فكان لوداعته(عليه السلام)، وسلامة ذاته محبوباً للنفوس، لم يؤذِ أحداً مدة عمره، بل كان كلّه خير وبركة، فأتاح الله(عز وجل) أنْ يحظى بهذه المنزلة العظيمة في قلوب المسلمين، قال طه حسين: «كان عذبَ الروح، حلو الحديث، كريم المعاشرة، حسن الألفة، محبباً إلى الناس، يُحِبُّه أترابه من شباب قريش لهذه الخصال، ويُحِبُّه الشيوخ من أصحاب النبي لهذه الخصال، ولمكانته من النبيّ، ويُحِبّه عامة الناس

---

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ١٣٨.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٥٢.

(٣) البداية والنهاية: ٨/ ٤١.

(٤) بحار الأنوار: ١٠/ ١٧٩.

لكل هذا»[١].

وعندما انتقل الحسن(عليه السلام) إلى الرفيق الأعلى شُيِّع تشيعاً مهيباً لم تَشْهَد نظيره عاصمة الرسول(صلى الله عليه وآله)، فقد بعث بنو هاشم إلى العوالي، والقرى المحيطة بيثربَ مَنْ يعلمهم بموت الحسن(عليه السلام)، فنزحوا جميعاً إلى يثرب ليفوزوا بتشييع الجثمان الطاهر، وقد كَثُر المشيّعون، ولو طرحت في البقيع آنذاك إبْرة لما وقعت إلاّ على رأس إنسان، وقد بلغ من ضخامة التشييع أنَّ البقيع ما كان يسع أحداً من كثرة الناس[٢].

إن الفضائل، والشمائل التي تخلّق بها(عليه السلام) من طهارة نسب، ونقاء سريرة، وطيب نفس، وسماحة، وتقوى، وتواضع، وعلم، وصبر، وحِلم، وشجاعة، وغيرها جعلت الناس يحبونهم، وينزلونه منزلة رفيعة، وشريفة، قلّما يحظى بها رجلٌ من رجالات الإسلام.

٢- حِلْمُه وصَبْرُه:

عرف الحسن(عليه السلام) بحلمه، وصبره الذي لا تحمله حتى الجبال، فنفسه الجبارة، وقلبه الوادع جعله قويّاً، لا تهزه الهزاهز، ولا تربكه المواقف، ولا تعصف به العواصف، فهو كالطود الشامخ في رفعته، وكالبحر الفياض في تدفّقه، يرضى، ويستوعب ما يقال هنا، وهناك على ألسنة المتسرعين الذين يرمون الكلام على عواهنه، من دون تأمّل وتدبر، ولا يقيمون وزناً لغرس المصطفى، ونبتته السبط الأكبر الحسن(عليه السلام)، فأيّ «نفس كانت في تلك النفس، وأي ضمير كان هو ذلك الضمير، إنّها النفس المطمئنة التي ترجع عند

(١) الفتنة الكبرى: ٢/ ١٩١.

(٢) ينظر: تاريخ دمشق: ٨/ ٢٢٨، والإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت ٨٥٢هـ)، مراجعة علي محمد البجاوي، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت،(١٣٢٨هـ): ١/ ٣٣٠. وأعلام الهداية: ١٩٠ – ١٩١.

كُلّ هَوْل يَعْصف بها إلى ربّها راضية مرضيّة لا تستكفي بغيره، ولا تسترشد بسواه، وإنّه الضمير الطاهر النقي الذي لم يضعف على ثقل الواجب، وإنما كان على كُلّ حالٍ أصلب من الكارثة، ولم تَسْمَع عن الحسن أنَّ أحداً ممن حَوْله شعر عليه في لحظات مرزأته أنّه المُرَزَّأ في دخيلته أو الممتحن في موقفه إذ لا حزن ولا انكسار(...) وحتى في مناجاته لربّه فإنه كان مثال الصبر، واللجوء إلى الله، والاستكفاء به من دون الناس»[1]، فهو أوسع الناس صدراً، وأسجحهم خُلُقاً، حليم صبور صفوح، تجري على لسانه كلمات الحِلم، والصبر في أشد الأوقات، وأعظم الخطوب، فها هي الأخبار الجليلة تعلمه بتخاذل ابن عمِّه عبيد الله بن عباس، وسيره ليلاً إلى معاوية بن أبي سفيان بعد أن رشاه بمال الدنيا، وحطامها، فيحمد الله(عزّ وجلّ) على خروجه من بينهم[2]، ويعلو حِلْمه وصبره إلى أسْمَى درجات الكمال، يوم كفّره بعض الخوارج، وانتهبوا فُسطاطه، وأرادوا اغتياله، فقد شدّ عليه «عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن جعال الأزدي فنزع مُطْرَفه عن عاتقه فبقي جالساً متقلداً السيف بغير رداء، ثم دعا بفرسه فركبه، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته، ومنعوا منه من أرادوا، ولاموه، وضَعّفوه لما تكلّم به، فقال: ادعوا لي ربيعة وهمدان، فدعوا له فأطافوا به، ودفعوا الناس عنه ومعهم شوب من غيرهم، فقام إليه رجل من بني أسد من بني نصر بن معين يقال له: الجرّاح بن سنان، فلما مَرّ في مَظْلِم ساباط قام إليه، فأخذ بلجام بغلته وبيده مِعْول، فقال: الله أكبر يا حسن أشركت كما أشْرَك أبوك من قبل، ثم طعنه فوقعت الطعنة في فخذه، فشقته حتى بلغت أُرْبِيّته[3] فسقط الحسن إلى الأرض(...) وحُمل الحسن على سرير إلى المدائن وبها سعد بن مسعود الثقفي والياً عليها

(١) صلح الحسن(عليه السلام): ١٦٧.
(٢) ينظر: مقاتل الطالبيين: ٦٥.
(٣) أصل الفَخِذ.

من قبله، وكان عليٌّ ولاّه فأقرّه الحسن بن علي فأقام عنده يعالج نفسه»[١]، ولما هادن الحسن(عليه السلام) معاوية، سار(عليه السلام) من الكوفة «فعرض له رجل، فقال له: يا مسوّد وجوه المسلمين ! فقال: **لا تعذلني فإن رسول الله(صلى الله عليه وآله) رأى في المنام بني أمية ينزون على منبره رجلاً فرجلاً فأنزل الله(عز وجل)**: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، وهو نهر في الجنة»[٢].

وقال السيوطي(ت ٩١١هـ): «وأخرج ابن سعد عن عمير بن إسحاق، قال: كان مروان أميراً علينا، فكان يسبّ عليّاً كلّ جُمُعة، وحَسَنٌ يسمع فلا يَرُد شيئاً، ثم أرسل إليه رجلاً يقول له: بعليّ، وبعليّ، وبعليّ وبك، وبك، وما وجدْتُ مثلك إلاّ مثل البغلة يقال لها: مَن أبوكِ؟ فتقول: أمّي الفرس، فقال الحسن: ارجع إليه فقل له: **إنّي واللهِ أمحو منك شيئاً مما قلت بأن أسبّك، ولكن موعدي وموعدك الله، فإن كُنْتَ صادقاً جزاك اللهُ بصدقك وإن كنت كاذباً، فالله أشدّ نقمةً**»[٣]، ما أبهى هذا الجواب ! الذي يفوحُ حِلْماً وصبراً.

وكان الحسن(عليه السلام) يصبّر الموالين، ويدعوهم إلى الحِلْم، كما فعل مع أبي ذر عندما نفاه عثمان بن عفّان إلى الرَّبَذة، فودّعه الحسن(عليه السلام) مع جماعة، ثم اتجه(عليه السلام) إليه، فودّعه بكلمات تنم عن ألمه وتأثره من معاملة القوم لأبي ذر وغيره من خيار الصحابة، فقال: **يا عمّاه، لولا أنه ينبغي للمودّع أنْ يَسْكُتَ وللمشيع أنْ ينصرف لقصر الكلام، وإن طال الأسف وقد أتى القوم إليك فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها، وشدّة ما اشتَدّ منها برجاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيك ويحكم الله بينك وبين القوم بالحق، وهو**

(١) مقاتل الطالبيين: ٦٣ – ٦٤.

(٢) الكامل في التاريخ: ٣/ ٢٠٨،(سورة الكوثر/ ١).

(٣) تاريخ الخلفاء: ١٤٢.

خير الحاكمين»[١].

ويروى أنَّ شاميّاً رأى الحسن(عليه السلام) راكباً فجعل يلعنه، والحسن لا يردّ، فلما فرغ، أقبل الحسن(عليه السلام) فسلّم عليه وضَحِك فقال: **أيها الشيخ، أظنُّك غريباً، ولعلك شبّهت، فلو استعتبتنا أعْتَبْناك، ولو سألتنا أعْطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عُرياناً كَسَوْناك، وإن كُنت محتاجاً أغْنَيْناك، وإن كُنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك؛ لأن لنا موضعاً رحباً، وجاهاً عريضاً، ومالاً كثيراً**، فلمّا سمع الرجلُ كلامه بكى ثم قال: أشهد أنّك خليفةُ الله في أرضه، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ، والآن أنت أحبُّ خلق الله إليّ[٢].

ولما استقر السَّلم بين الحسن(عليه السلام)، وبين معاوية خرج الحسن(عليه السلام) إلى المدينة، فأقام بها كاظماً غَيْظَه، لازماً منزله منتظراً لأمر ربّه جل اسمه[٣]. وعندما جاء(عليه السلام) المدينة المنورة، قام بأعمال كثيرة منها أنّه أنشأ مدرسة علمية كبيرة في المدينة المنورة، وقد التحق بها كبار العلماء، وعظماء المحدّثين والرواة، ووجد بهم خير عون لأداء رسالته الإصلاحية الخالدة التي سمت بعقلية المجتمع، وأيقظته من الغفلة والجمود، فكما كان يتولى نشر العلم من يثرب كان يدعو الناس إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، والتأدّب بسنة النبي(صلى الله عليه وآله) وقد رفع(عليه السلام) منار الأخلاق التي جاء بها القرآن الكريم،

---

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر: ١/ ٤٨٥.

(٢) ينظر: بحار الأنوار: ١٠/ ١٨٢، وأعلام الهداية: ٣٦.

(٣) ينظر: الإرشاد: ١٨٢.

وجده المصطفى(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؛ من أجل إصلاح المجتمع وتهذيبهم وتعايشه[١].

وتتعالى إنسانيته المثالية التي تنبض بالحِلم والصبر، وتتدفق بالقابليات الفذة، والنزعات الخيرة في وصيته(عَلَيْهِ السَّلَامُ) في آخر لحظة من حياته الشريفة إلى أخيه الحسين(عَلَيْهِ السَّلَامُ) قائلاً له: «**فإني أوصيك يا حسين بما خلّفت من أهلي وولدي وأهل بيتك أنْ تصفح عن مسيئهم، وتقبل من محسنهم، وتكون لهم خلفاً وولداً**»[٢]، وحسبها شهادة تدل على حلمه وصبره ما أدلى بها ألدّ خصومه، وأحقد أعدائه، مروان بن الحكم، حينما بادر إلى «حمل سرير الحسن(عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال له الحسين: **أتحملُ سريره؟ أمَا والله كنت تجرّعُه الغيظ**، فقال مروان: إني كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال»[٣].

٣- وفاؤه بالعهود:

إنَّ من أدقّ المقاييس، وأعظمها التي توزن بها شخصيات الرجال فيما يواجهون من مواجهات، وظروف حرجة وقاهرة، هي موقفهم من عهودهم التي يأخذونها على أنفسهم راغبين مختارين، فالإنسان الذي يعطي من نفسه شروطاً، يعني أنه أعطى من إنسانيته وسمعته وشخصيته وذمته، ومن السهل أنْ نتصوّر إنساناً يستميت في سبيل الوفاء لقول قاله، أو عهد أعطاه؛ لأنه إنّما يموت ضحية خلق رفيع خسر به الحياة، وفي قبال هذا التصور الأخلاقي القيمي، نجد إنساناً ينكث العهود والمواثيق فلا يمكن تصوره إنساناً؛ لأنه هدم الإنسانية قواعد وشل من مقدراتها[٤].

(١) ينظر: أعلام الهداية: ١٧٥.

(٢) موسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى): ٥/ ٣٧٠.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٧٦، وينظر شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٣، وحياة الإمام الحسن بن علي(عَلَيْهِمَا السَّلَامُ): ١/ ١٥.

(٤) ينظر: صلح الحسن(عَلَيْهِ السَّلَامُ): ٢٩٢.

إن الوفاء بالعهود والمواثيق ورعايتها أمر عظيم في المجتمع، وسبيل مستقيم في تعايش أفراده، فكيف يتعايش الناس تعايشاً سلمياً في مجتمع أفراده لا يثق أحدٌ منهم بالآخر؛ لأن عدم الالتزام بهذه العهود يجعل التعامل بينهم يسوده الريب، والشك، والخدر فتتعطل الحياة، ويخبو صوت التبادل الإنساني – الأخذ والرد – فيما بينهم.

وقد جسّد الحسن(عليه السلام) أحكام الله(عزّ وجلّ)، وحدوده في حفظ العهود والمواثيق ومراعاتها حالاً بعد حال، فكان ملتزماً بها ومحترماً لها، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(البقرة/ من الآية ١٧٧)، ويظهر التزام الحسن(عليه السلام) بهذه العهود جليّاً في هدنته مع معاوية بن أبي سفيان، فقد أكّد شرط الالتزام بها، وإحكامها تطبيقا لقوله، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾(الرعد/ ٢٠).

إن إمضاء هذا المعلم الإنساني، وإقراره على وفق شريعة الباري(عزّ وجلّ) يخلق جوّاً صافياً من التعايش السلمي بين أفراد الأمة، من خلال الحوار الهادئ، والتبادل الإنساني المثمر، والأخذ بأطراف الحديث، ومد جسور المحبة والألفة، والابتعاد عن الشك والاعتداء.

وقد كَبّل الحسن(عليه السلام) معاوية بهذه العهود، وألزمه بها لاسيما شروط السلم والهدنة التي اتفقا عليها، فهذا الأحنف بن قيس يتكلم في مجلس معاوية بعد إبرام الهدنة بين الحسن(عليه السلام) وبين معاوية، «وقد علمت أنك لم تفتح العراق عنوة، ولم تظهر عليها قعصاً، ولكنك أعطيت الحسن بن علي من عهود الله ما قد عَلِمْتَ؛ ليكون له الأمرُ من بعدك، فإن تفِ، فأنت أهلٌ للوفاء، وإن تغدر تعلم واللهِ إن وراء الحسن خيولاً

جياداً، وأذرعاً شداداً، وسيوفاً جداداً»[١]، وقال الدَّينوريّ: «ولما رأى الحسن من أصحابه الفشل أرسل إلى عبد الله بن عامر بشرائط اشترطها على معاوية على أنْ يسلم له الخلافة(...) فكتب عبد الله بن عامر إلى معاوية، فكتب معاوية جميع ذلك بخطه وختمه بخاتمه، وبذل عليه من العهود المركبة، والأيمان المغلّظة، وأشهد على ذلك جميع رؤساء الشام»[٢]، وقال أيضاً مبيّناً لقاء الحسن(عليه السلام) بمعاوية في الكوفة «وسار الحسن بالناس من المدائن حتى وافى الكوفة، ووافاه معاوية بها، فالتقيا، فَوَكَّدَ عليه الحسن(عليه السلام) تلك الشروط والأيمان، ثم سار الحسن بأهل بيته حتى وافى مدينة الرسول(صلى الله عليه وآله)، وقال المفيد: «فتوثق(عليه السلام) لنفسه من معاوية لتأكيد الحجة عليه، والإعذار فيما بينه وبينه عند الله(عز وجل) وعند كافة المسلمين، واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين(عليه السلام) والعدول عن القنوت عليه في الصلوات، وأن يؤمن شيعته(رضي الله عنهم) ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كلّ ذي حقّ منهم حقّه، فأجابه معاوية إلى ذلك كلّه وعاهده عليه، وحلف له بالوفاء به»[٣]. وقد اعترف معاوية نفسه بعدم وفائه بالعهود، مفتخراً بنقضها، ومخالفة أحكام القرآن الكريم، في خطبة طويلة له لم ينقلها أحدٌ من الرواة تامة، وجاءت مقطعة من الحديث، منها: «ألاَ إنَّ كلَّ شيءٍ أعطيْتُهُ الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به»[٤]، ونقل ابن أبي الحديد المعتزلي(ت ٦٥٦هـ) نتفاً من هذه الخطبة أيضاً: «ألا أن كلّ دم أصيب من هذه الفتنة مطلول وكل شرط شرطته، فتحت قدمي هاتين»[٥]، وقال الأربلّي: «فلما استتمت الهدنة سار معاوية حتى نزل بالنخيلة، وكان

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ١٣٨.
(٢) الأخبار الطوال: ٢١٨.
(٣) الإرشاد: ١٨١ – ١٨٢.
(٤) مقاتل الطالبيين: ٦٩، وينظر: أعيان الشيعة: ٢/ ٣٧٧.
(٥) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٦/ ٤٦، والإرشاد: ٢/ ١٤، مقاتل الطالبيين: ٤٥.

يوم جمعة فصلّى بالناس ضحى النهار، وخطبهم، فقال في خطبته: إنّي والله ما أقاتلكم لتصلُّوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجُّوا، ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم لأتأمَّرَ عليكم، وقد أعطاني اللهُ ذلك، وأنتم كارهون، ألا وإن كُنْتُ مَنَّيتُ الحسن، وأعطيتهُ أشياءَ وجميعها تحت قدمي لا أفي له بشيْء منها»[١].

والذي يبدو جليّاً أن الحسن(عليه السلام) كان يَعْرف أنَّ معاوية سينكث هذه العهود والمواثيق واحدة واحدة، وقد صرَّح(عليه السلام) بذلك، فقال(عليه السلام) بعدما بلغه أن عدداً من أصحابه قد عرض عليهم معاوية قتل الحسن(عليه السلام) جزاء حفنة من الدراهم، «**وَيْلَكُم واللهِ، إن معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلي، وإنّي أظنُّ أني إن وضعت يدي بيده فأسالمه لم يتركني أدين لدين جدّي(صلى الله عليه وآله)، وإني أقدر أنْ أعبدَ الله(عز وجل) وحدي، ولكني كأني أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم، ويستطعمونهم بما جعله الله ولهم، فلا يسقون ولا يطعمون فبعداً وسحقاً لما كسبتْهُ أيديهم:** ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٢]»، وقال(عليه السلام) محذَراً معاوية من الغدر بهذه الشروط، وعدم الوفاء بها، **أمّا بَعْدُ، فإن خطبي انتهى إلى إلياس من حقّ أحييه، وباطل أميته، وخطبك خطب من انتهى إلى مراده، وإنّني أعتزل هذا الأمر وأخليه لك، وإن كان تخليتي إيّاه شرّاً لك في معارك، ولي شروط اشترطها لا تُبْهِظَنَّك إن وفيت بها بعهدٍ، ولا تخف إن غدرت، وكتب الشروط كتاب آخر فيه بالوفاء، وترك الغدر، وستندم يا معاوية كما ندم غيرُك ممن نهض في الباطل، أو قعد عن الحق حين لم ينفع الندم والسلام**»[٣].

---

(١) كشف الغمة: ١/ ٥٠٨.

(٢) بحار الأنوار: ١٠/ ٢٠٦،(الشعراء/ ٢٢٧).

(٣) م.ن: ١٠/ ٢٠٦.

لقد قام معاوية بإجماع المؤرخين بخرق هذه الشروط، ولم يفِ بشرط واحدٍ منها، فمن الشروط التي أكدها الحسن(عليه السلام) هو عدم تعرض المسلمين عامة، والشيعة خاصة بسوء في أي قطر كانوا، لكن معاوية لم يستجب لهذا الأمر، فقد نكّل بالمسلمين، وأذاقهم ألوان العذاب، وسوء المعاملة، قال محسن العاملي: «وأقام معاوية ومن بعده من ملوك بني أمية على سب أمير المؤمنين(عليه السلام) إلاَّ ما كان من عمر بن عبد العزيز، وأخاف معاوية شيعة أمير المؤمنين وقتلهم وشرّدهم وهدم كثيراً من دورهم، فقتل عمرو بن حمق، وحبس زوجته آمنة بنت الشريد سنتين في سجن دمشق، وقتل حِجر بن عديّ، وأصحابه بمرج عذراء، وحَمْل عبد الله بن هاشم المرقال مكبّلاً بالحديد من العراق إلى الشام، وأما خراج دار أبجرد(....) إنّ أهل البصرة منعوا الحسن منه، وقالوا: فيؤنا لا نعطيه أحداً، قال: وكان منعهم بأمر معاوية، وقال المدائني: كان الحصين بن الرقاشي يقول: والله ما وفى معاوية للحسن بشيءٍ مما أعطاه فقتل حِجْراً، وأصحاب حجر، وبايع لابنه يزيد، وسمّ الحسن»[1].

وعلى الرغم من أن طه حسين في بعض الأبحاث التي تحدّث فيها عن أحوال الحسن(عليه السلام) وعن الحوادث التي واجهها لم يكن موفقاً فيها، إلاَّ أنه كان موفقاً في بعض الأحيان إلاَّ أنَّ بعض الباحثين المعاصرين له مَنْ نقدهُ، وعابه على جملة من الآراء التي وفّق إليها، وقد انتصر فيها لأهل بيت المصطفى(صلى الله عليه وآله) من جانب، وعاب فيها أتباع بني أمية من جانب آخر فرماه بالرفض، تارة، وبالرافضة تارة أخرى وكونه شيخاً مأفوناً، فهذا مصطفى صادق الرافعي يندب نفسه محامياً عن أبي سفيان، ومعاوية، ويزيد، فهو يدافع عن يزيد وعن أفعاله ولاسيما وقعة الحرّة، بعد أن أظهر طه حسين حماقة يزيد،

---

(١) أعيان الشيعة: ٢/ ٣٧٧.

وانتهاكه لحرمة بيت الله الحرام، وقتله من البدريين ما شاء[١]، قال شوقي ضيف: «واتفق العلماء على أنَّه لا يجوز القتال في مكة وما يتبعها من الحرم»[٢]، وقال الرافعي في معرض مدحه أبا سفيان، ومعاوية، وهو يرد على طه حسين بأدلّة واهية سقيمة: «فقد جعل ميراث أبي سفيان في أولاده السخط على الإسلام، والانتقام منه، والحمق في ذلك، مع أنَّ المعروف في التاريخ أنَّ معاوية إنما وَرِث حِلْمَه الذي يضرب به المثل من أبيه أبي سفيان، حتى أنَّه لما قتل حِجْر بن عَدِيّ وجماعته بعد أنْ ثاروا عليه في خبرهم المشهود أرسلت إليه عائشة أم المؤمنين تشفع فيه، وفي أصحابه، فبلغه رسولها وقد قتلوا، فقال معاوية: أين غاب عنك حِلْمُ أبي سفيان؟، فتأمل قول من عَرَفوا الرجل وعاشروه، وقول أستاذ الجامعة»[٣].

وأنا أسأل الرافعي أهذه راية القرآن التي تحملها؟!، وأنت تلمّع وجه أبي سفيان، ومعاوية، ألم تقرأ أيها الأديب البارع قول الحسن البصري في معاوية؟: «أربع خصال كنّ من معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلاّ واحدة لكانت موبقة: انتزاؤُه على هذه الأمّة بالسفك حتى ابتزها أمرها يعني الخلافة بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سِكيّراً خِمّيراً يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وادعاؤُه زياداً، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): **الولد للفراش، وللعاهر الحَجَر، وقتله حِجْراً، ويْلٌ له من حِجْر، وأصحاب حِجْر مرتين**»[٤]، ولا تعجب من الرافعي، فقد وصفه أحمد حسن الزيات، قائلاً: «وكان من شذوذ النبوغ في الرافعي اعتداده بنفسه إلى حدّ الصلف، واعتقاده

(١) ينظر: تحت راية القرآن: مصطفى صادق الرافعي: ١٥١ - ١٥٢.

(٢) محمد خاتم المرسلين: ٣٥٢.

(٣) تحت راية القرآن: ١٦٤ (هامش رقم ١).

(٤) تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ١٥٧، والاستيعاب: ١/ ٢٥٦، والكامل في التاريخ: ٣/ ٦٩٢، والإصابة في تمييز الصحابة: ١/ ٣١٣.

بالغيبيّات إلى حدّ السذاجة، وله في ذلك حوادث، وأحاديث»(١).

لَيْتَ شعري، أيتاح لمعاوية في ذلك الدهر أنْ يقبض على دفّة السلطة، ويتولى القيادة في ركب الحياة !!! بعد أنْ نقض عهود الله، ومواثيقه ومن الحقيق بالذكر، فإن الحسن(عليه السلام) قد ألزم نفسه بهذه العهود، والمواثيق، فالذي يخصه(عليه السلام) من الشروط التي اشترطها معاوية عليه، فإنّه لم يكن سوى شرط واحد، وهو أن لا يخرج الحسن(عليه السلام)، وقد وفى له بذلك، وقد لجَأَ إليه خلص أتباعه بعد أنْ أعلن معاوية نقضه للشروط التي أعطاها للحسن(عليه السلام)، فعرضوا عليه الخروج على معاوية، ومناجزته، فأبى(عليه السلام) أنْ ينقض ما أعطاهُ من العهد.

ونختم هذا المبحث بذكر رواية عميقة الأثر، وعالية المضمون يستدلّ بها على حفظ الحسن للعهود، والعقود مع أعدى أعدائه، «فقد حُكي أنَّ معاوية أرسل إلى الحسن(عليه السلام) في حاجة له، فلما قابله الرسول هابه، وعظّمه من حيث لا يريد، وقال حفظك الله يا ابن رسول الله، وأهلك هؤلاء القوم، فنهره الحسن(عليه السلام)، وقال: **لا تخن من ائتمنك، وحسبك أنْ تحبّني لحب رسول الله، وأبي، وأمّي، ومن الخيانة أنْ يثق بك قوم، وأنت عدوٌّ لهم، وتدعو عليهم**»(٢)، إنَّ ثبوت هذا الخلق المثالي في الحسن(عليه السلام)، يظهر لنا هذا الرجل العظيم.

---

(١) من وحي الرسالة: ١/ ٤٤٣.

(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر: ١/ ٥٤٩.

المبحث الثالث:

حقن الدماء

قد بدا لي أن أذكر معلم(حقن الدماء) كمعلم إنساني مثالي عند الحسن(عليه السلام)، ومردّ هذا الأمر هو شرافة دم المسلم وقداسته، فالإنسان هو أساس الوجود، وقد كرّمه الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(الإسراء/ ٧٠)، وجعل(عزّ وجلّ) قتله فساداً في الأرض: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾(المائدة/ من الآية ٣٢)، ومن هنا جاءت النصوص مبيّنة أخذ القِصاص من القاتل، وهو وجهة إنسانية من أقوى البواعث على تهذيب السلوك، والاستقامة على طريق الحق، والعدل، ومقاومة الفساد والضلال، والقِصاص هو الحماية والوقاية لمصالح الأفراد[1]، ولولاه لفشا هذا الأمر الخطير(القتل) فشوَّ صَغَائِر الذنوب بين الناس، ولهان أمر الدماء بينهم، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة/ ١٧٩)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(البقرة/ من الآية ٢٥١).

إنَّ احترام وجود الإنسان، والحفاظ على دمه أمر مهم جدّاً، وإن إهراق دمه

---

(١) ينظر: فلسفة الأخلاق في الإسلام: محمد جواد مغنية: تحقيق: سامي الغريري، مطبعة ستار، إيران، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م: ١٥٤.

يعني معارضة خلق الله(عزّ وجلّ)، وتعطيل صنعه(عزّ وجلّ)، فضلاً عن الإفساد، والفوضى في الأرض؛ لذا جاءت النصوص القرآنية دالة على تجسيد هذا البعد الإنساني(حقن الدماء)، والاحتياط منها، واللجوء إلى العفو والصفح، والصلح، والحوار، والمودة، والرحمة، والتسامح، وعدم الإكراه، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾(البقرة/ من الآية ٢٥٦)، وقال تعالى: ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾(الكافرون/ ٦)، في بادرة حسنة للوئام، والتحابُب، والابتعاد عن سفك الدماء، وإراقتها.

ويتعالى صوت المنطق والبرهان على صوت الحرب والعُدوان في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾(النحل/ ١٢٥)، فالدعوة إلى الربّ هنا ليس بالسيف، والقتل، وسفك الدماء، بل بالحكمة، والمنطق، والبرهان، والموعظة الحسنة، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾(الكهف/ من الآية ٢٩)، فالإيمان والكفر مسألتان طوعيتان، ليسا فيهما أي إجبار، فالإسلام لا يوجب استعمال القوة لجعل هؤلاء مسلمين، فالاختيار يعود لهم(١).

وقد اهتم الإسلام بالصلح، قال تعالى: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾(النساء/ من الآية ١٢٨)، وقال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾(الأنفال/ من الآية ٦١)، إن هاتين الآيتين تؤكّدان روح الإسلام هي روح السلام.

إنّ الحفاظ على ارواح المسلمين عامة، والجماعة الصالحة خاصة، كان من أهم أهداف السلم، فضلاً عن الإصلاح في الأمّة، وصيانة المقدسات وتحقيق وجهة النظر

---

(١) ينظر: الجهاد حالاته المشروعة في القرآن: مرتضى المطهري: ط١، مطبعة سبهر، طهران، ١٤٠٤هـ: ٢٤ – ٢٥.

الإسلامي، لذا رأيْت أن أعرض لقسم من النصوص التي وصلت إلينا من تراث الحسن(عليه السلام) من جهة، والنصوص التي سأتناوشها من الباحثين لبيان هذا المعلم الإنساني المهم عنده(عليه السلام).

أولاً: حقن الدماء من خلال سَلْمه (عليه السلام):

إن الاحتياط من الدماء، وحقنها كان طابع سياسة الحسن(عليه السلام) في سائر مراحل حياته، ولا نفهم من حديث رسول الله(صلى الله عليه وآله): «**لعلّ الله أنْ يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[1]، إلا كون الحسن(عليه السلام) رسول السلام في الإسلام، وأنه خلال ولايته خلافة المسلمين لم يهرق مِحْجَمة دمٍ[2].

ولا نبالغ إذا قلنا: إن الحسنَ(عليه السلام) مانعُ الدماء، ومُحْرِزُها، وحافظُها، فكان غالقاً لأبواب إراقتها في التاريخ الإسلامي.

وتكاد تتضافر النصوص كون الحسن(عليه السلام) قد قبل بالهدنة، والسّلم حقناً لدماء المسلمين، والحفاظ على أرواحهم، وأي مَزِيّة وقوة إرادة تجسّدت بروحه(عليه السلام)، زد على ذلك قدرته، ومقدرته على إدارة شؤون السياسة العامة، والدولة، فصان الأمة، وحفظ دماء أفرادها، وجنبها المضاعفات الخطيرة، والنتائج السيّئة التي لا تحمد عقباها، فلو أراد الحسن(عليه السلام) الحرب، لكانت حرباً طويلة الأمد بين طائفتين عظيمتين من مسلمي الشام والعراق وسيكون ضحيتها عشرات الألوف من الطرفين من دون أنْ تكون هناك ثمرة للحرب، بل الاحتمال الوارد هو انتصار معاوية، أما احتمال الانتصار على معاوية كان معدوماً بحسب المعطيات التي يقدمها لنا التاريخ، والاحتمال الأقوى أنْ

(١) صحيح البخاري: ٦٦٤.
(٢) ينظر: صلح الحسن(عليه السلام): ١٧٥.

تنتهي المعركة بهزيمة جيش الحسن(عليه السلام)، فأين الفخر في أن يحارب(عليه السلام) سنتين أو ثلاث تراق دماء عشرات الألوف من الأرواح، ولا تثمر إلاّ التعب، وعود كُلّ فريق إلى مكانه[١]. فكان نظر الحسن(عليه السلام) في قبول السلم والهدنة أدق من أنْ يكون غالباً أو مغلوباً، فأراد أن يفضح خبيئة العدو، وبيان حاله، وما ستره في قرارة نفسه، وكذلك عدم زجّ الناس في حرب، ويحملهم على ما يكرهون من إراقة الدماء[٢].

وأول هذه النصوص التي تصرح بهذا المعلم الإنساني المثالي خطبته(عليه السلام) بعد عقد الهدنة مع معاوية، قال ابن قتيبة: «فلما تم صلحهما صعد الحسن إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: **أيها الناس إنَّ الله هدى أولكم بأولنا، وحقن دمائكم بآخرنا، وكانت لي في رقابكم بيعة تحاربون من حاربْتُ وتسالمون من سالمت وقد سالمت معاوية وبايعته فبايعوه وإن أدري لعله فتنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حين**»[٣]، وقال سبط بن الجوزي: «وكان الحسن لا يؤثر القتال ويميل إلى حقن الدماء، وعرف الحسن أنَّ قيس بن سعد لا يوافقه على هذا الرأي، فأقام بالكوفة ستة أشهر إلى سلخ ربيع الأول سنة إحدى وأربعين»[٤].

ذكر الأربلي خطبة الحسن(عليه السلام) بعد استشهاد أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام) يدعوه فيها إلى بيعته، وحقن الدماء، وهذا الأمر يؤكد رغبة الحسن(عليه السلام)، ومبدأه السامي إلى حقن الدماء، قبل السَّلم، وبعده، فالحفاظ على وجود الجماعة الصالحة ديدنه، ومنهجه «**بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية ابن صخر، أما بعد،**

---

(١) ينظر: سيرة الأئمة الأطهار: مرتضى المطهري: ٨٠/ ٨١.
(٢) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي: ٢(مقدمة بقلم محمد الحسين آل كاشف الغطاء): ١٧.
(٣) الإمامة والسياسة: ١/ ١٣٣.
(٤) تذكرة الخواص: ١٩ – ٢٠.

فإنَّ الله بعث محمداً(ﷺ) رحمة للعالمين، فأظهر به الحق، ورفع به الباطل، وأذلّ به أهل الشرك، وأعزّ به العرب عامة، وشرف به من شاء منهم خاصة، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ ﴾، فلما قبضه اللهُ تعالى تنازعت العربُ الأمر بعده، فقالت الأنصار: منا أمير، ومنكم أمير، وقالت قريش: نحن أولياؤه وذوو القربى منه، ولا غرو أن منازعتك إيانا بغير حقّ في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، والموعد الله تعالى بيننا وبينك، ونحن نسأله تبارك وتعالى أن لا يؤتينا في هذه الدنيا شيئاً ينقصنا به في الآخرة، وبعد فإنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما نزل به الموت ولاّني هذا الأمر من بعده، فاتّق اللهَ يا معاوية وانظر لأمّة محمد(ﷺ) ما تحقن به دماءهم، وتصلح به أمورهم، والسلام»[1]، وقد دعا المصطفى(ﷺ) ربّه(عزّ وجلّ) أن يكون سبطه الأكبر داعياً إلى السَّلم، وحقن الدماء، فهو(عليه السلام) السلام للأمّة، ولا يأتيه من الأمّة إلا السلام، والأمان «رُوي عن محمد بن عبد الرحمن بن لُبَيْبه مولى بني هاشم أن رسول الله(ﷺ) أَبْصَرَ الحسن بن علي مقبلاً، فقال: **اللهم سلّم به، وسلّم منه**»[2]، وقال المجلسي: «فإن الحسن قال لجُبير بن نفير حين قال له: إنَّ الناس يقولون: إنّك تريد الخلافة فقال: **قد كان جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربْتُ، ويسالمون من سالمت، تركتها ابتغاء وجه الله، وحقن دماء أمّة محمد**»[3]، وقد صّرح(عليه السلام) بهذه الجملة، وأكثر من تفاصيلها في مواقف كثيرة، وبألفاظ مختلفة، وقال (عليه السلام): **إنما هادنت حقناً للدماء، وضمناً بها، وإشفاقاً على نفسي، وأهلي، والمخلصين من أصحابي**[4]، وروى أيضاً أنه قال(عليه السلام) حينما سالم معاوية: «**أيها الناس إنّكم لو طلبتم**

(١) كشف الغمة: ١/ ٥٣٣.
(٢) م.ن: ١/ ٤٩٨.
(٣) بحار الأنوار: ١٠/ ١٩٨، وينظر: تاريخ الخلفاء: ١٤٤.
(٤) بحار الأنوار: ١٠/ ٢٠٣. و ١٠/ ٢١٧.

ما بين جَابَلق، وجَابَرس رجلاً جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله) ما وجدتموه غيري وغير أخي، وإنَّ معاوية نازعني حقّاً هو لي فتركْتُه لصلاح الأمّة وحقن دمائها»[١]، وقال محسن العاملي: «والدليل على أنه خطب(عليه السلام) بالنخيلة قبل الصلح، فقال: **أيها الناس، إنَّ هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إنّما هو حقٌّ، أتركه إرادة لإصلاح الأمّة، وحقناً لدمائها»**[٢]، وقال أيضاً موضحاً أن مبدأ حقن الدماء، والحفاظ على أرواح المسلمين هو المتعين عن الحسن(عليه السلام): «ومن مجموع ما مرّ بعلم الوجه في صلحه(عليه السلام)، وأنه كان هو الرأي والصواب»[٣]، وقال طه حسين: «ولم يكن قعود الحسن عن الحرب جبناً أو فَرَقاً، وإنما كان كراهية لسفك الدماء من جهة، وشكا في أصحابه من جهة أخرى»[٤].

ويكرّر الحسن(عليه السلام) هذا المعلم السامي عندما خرج من الكوفة إلى مدينة جدّه(صلى الله عليه وآله)، وقد لامه جماعة من أصحابه، وأتباعه، قال البلاذري(ت ٢٧٩هـ): «**أنتم شيعتنا، وأهل مودتنا، فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل لسلطانها أعمل، وأنْصَبُ، ما كان معاوية بأبأس مني بأساً، ولا أشدّ شكيمة، ولا أمضى عزيمة، ولكن أرى غير ما رأيتم، وما أردت فيما فعلت إلا حقن الدماء، فارْضَوْا بقضاء الله، وسلّموا الأمر، وألزموا بيوتكم، وأمسكوا وكفوا أيديكم حتى يستريح برّ ويستراح من فاجرٍ**»[٥]، وقال طه حسين: «ومهما يكن من ذلك فقد سخط على الحسن جماعة من أصحابه الذين أخلصوا له، ولأبيه، وأخلصوا في بغض معاوية وأهل الشام، ورأوا في هذا الصلح نوعاً من التسليم لم يكن يلائم ما بذلوا أيام عليّ من جهد، ولم يكن يلائم كذلك ما كان في

(١) بحار الانوار: ١٠/ ٢١٧.
(٢) أعيان الشيعة: ٢/ ٣٧٦.
(٣) م.ن: ٢/ ٣٧٦.
(٤) الفتنة الكبرى: ٢/ ١٨٢.
(٥) أنساب الأشراف: ٣/ ٢٥٩، وينظر: المحاسن والمساوئ: ١/ ٦٠ – ٦٥.

أيديهم من قوة، فمنهم من كان يقول للحسن يا مذلّ المؤمنين، ومنهم من كان يقول له: يا مذلّ العرب، ومنهم من كان يقول له: يا مسوّد وجوه العرب، ولكن الحسن لم يحفل بشيء من ذلك، وإنما رَضِي عن خطته كُلّ الرضا فرأى فيها حقناً للدماء، ووضعاً لأوزار الحرب، وجمعاً لكلمة الأمّة، وتمكيناً للمسلمين من أنْ يستقبلوا أمورهم مؤتلفين لا مختلفين، ومتفقين لا مفترقين»[1]، وقد جابه الحسن(عليه السلام) كلاماً من المندّدين بالسَّلم أشدّ عليه من وقع الحسام المهند، فقد رأى منهم غلظة في القول، وقسوة في الحديث، وجفاء أي جفاء[2]، على الرغم من أنهم أعلم من غيرهم بالأسباب التي دعته إلى هذا السلم المؤقت، وفي مقدّمتها حقن الدماء، والحفاظ على المسلمين، والجماعة الصالحة، فقد جاءه وفدٌ من الكوفة بقيادة سُليمان بن صرّد الخزاعيّ، وقد أعطاهم الحسن(عليه السلام) الرضا حين أعلن إليهم أنهم من شيعة أهل البيت، وذوو مودّتهم، وإذاً فمن الحقِّ أن يسمعوا له، ويأتمروا بأمره، ويكونوا عندما يريد منهم، ثم بين لهم أنه لم يسالم ويهادن، معاوية عن ضعف، ولا عن عجز، وإنما أراد حقن الدماء، ولو قد أراد الحربَ لما كان معاوية أشد منه قوة ولا أشد مراساً، ثم طلب إليهم أن يَرْضَوا بقضاء الله(عزّ وجلّ)، وقبول الأمر، وأنبأهم بأنهم لم يفعلوا ذلك إلى آخر الدهر، ولم يستسلموا لعدوهم من غير مقاومة، وإنما هو انتظار إلى حين، هو انتظار إلى ان يستريح الأبرار من أهل الحق، أو يريح الله(عزّ وجلّ) من الفجار من أهل الباطل[3].

وتكفينا من أقوال الحسن(عليه السلام) التي كرَّرها أكثر من مرة في سبيل إفهام شيعته دواعي سلمه مع معاوية: **ما تدرون ما فعلتُ، واللهِ للذي فعلت خيرٌ للمسلمين**

(١) الفتنة الكبرى: ٢/ ١٨٥ – ١٨٦.

(٢) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٢٦٩.

(٣) ينظر: الفتنة الكبرى: ٢/ ١٨٩.

عامة، **ولشيعتي خاصة مما طلعت عليه الشمس**، وما قاله مرّة لبشير الهمداني وهو أحد رؤساء شيعته في الكوفة: **ما أردت بمصالحتي إلاّ أن أدفع عنكم القتل**، وما قاله في خطابه بعد الصلح: **أيها الناس، إنّ الله(عز وجل) هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا، وقد سالمت معاوية**[١]. والشخوص إلى مدينة جدّه، ولدى توجهه(عليه السلام)، وأهل بيته إلى عاصمة جدّه(صلى الله عليه وآله) خرج أهل الكوفة بجميع طبقاتهم إلى توديعه وهم ما بين باكٍ، وآسفٍ، فكتب إلى معاوية حين أدركه رسول يريد أنْ يردّه ليقاتل طائفة من الخوارج، فأبى(عليه السلام) أنْ يعود، وكتب إلى معاوية: «**ولو آثرت أنْ أُقاتل أحداً من أهل القبلة، لبدأتُ بقتالك، فإني تركتُك لصلاح الأمة، وحقن دمائها**»[٢].

ثانياً: حقن الدماء من خلال وصيته (عليه السلام):

يتعالى صوت هذا المعلم الإنساني المثالي(حقن الدماء)، والاحتياط من إهراقها عن الحسن(عليه السلام) في اللحظات الأخيرة من حياته المطهّرة، وقد اتّفق أغلب المؤرخين أن الحسن(عليه السلام) قد سُقِي السمُّ، واختلف في سنة وفاته فقيل سنة ٤٩هـ[٣]، وقيل ٥٠هـ[٤]، وقيل سنة ٥٢هـ[٥]، وقال السيوطي: «وقيل سنة إحدى وخمسين»[٦].

ويظهر هذا المعلم الإنساني من خلال أمرين أوصى بهما الحسن(عليه السلام)، الأول:

---

(١) ينظر: صلح الحسن(عليه السلام): ٢٦٦.

(٢) أعلام الهداية: ١٦٥، وينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٢٨٧.

(٣) ينظر: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٥٦، وتاريخ خليفة بن خياط: ١٥٣، والذرية الطاهرة: ١٠٣، وكشف الغمة: ١/ ٥٤٦، وتاريخ الخلفاء: ١٤٤.

(٤) ينظر: الإرشاد: ١٨٢، والفصول المهمة: ١٥٧، وموسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى): ٥/ ٣٥٨.

(٥) ينظر: دلائل الإمامة: ٦١.

(٦) تاريخ الخلفاء: ١٤٤.

عدم إعلام أخيه الحسين(عليه السلام) بالشخص الذي سمّه منعاً للفتنة، وإراقة الدماء، والثاني: عدم الإصرار، وترك محاربة الذين يمنعون الحسين من دفنه(عليه السلام) بجوار جدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله)، فهذه النفس الطاهرة، المطمئنة، الصافية أبت أن تخوض في دماء المسلمين، وهي في سكراتها، فما أعْظَمَك !!، وما أرْحَمَك أيتها النفس الصفوح !!.

١. إخفاء اسم الشخص الذي سمّه (عليه السلام):

تضافرت النصوص التاريخية في قضية إخفاء الحسن(عليه السلام) اسم الشخص الذي سمّه، ومردّ هذا الإخفاء أمرانِ: الأول هو عدم تيقن الحسن(عليه السلام) من الشخص الذي سمّه على وجه الضبط، والتحقيق، «فأبى أن ينبّئه به مخافة أنْ يقتصّ منه بغير حجّة قاطعة عليه،(...) وكَرِه أنْ يَلْقى الله وقد اقتص له بالشبهة فآثر أنْ يَكِل هذا القصاص إلى الله عز وجل»[1]، والأمر الثاني: معرفته بالذي سقاه السم ؛ لكن الحفاظ على دماء المسلمين، والاحتياط منها جعلته يحجم(عليه السلام) من هذا الإخبار، وهذا ما نذهب إليه، فالحسن(عليه السلام) أبت نفسه المطمئنة أن تذهب إلى بارئها، وتترك بني هاشم، وأتباعه، والمسلمين يخوضون في طلب الثأر، والانتقام إلى مدّة لا يعلم مداها إلاّ الله(عز وجل)، فضلاً عن ذلك فهو(عليه السلام) قد سالم معاوية وهادنه لهذه المصلحة(حقن الدماء) في حياته(عليه السلام)، فليس من المعقول أن يعود إلى إراقتها في اللحظات الأخيرات من حياته.

وقد صَرَّحت أغلب النصوص التاريخية باسم الشخص الذي سمّه، وهي زوجه(جَعْدَة بنت الأشعث)، قال ابن الأثير: «وكان سببُ موته أنَّ زوجته جَعْدَة بنت الأشعث بن قيس سقته السمّ، فكانت توضع تحته الطست، وترفع أخرى نحو أربعين يوماً فمات منه، ولما اشتدّ مرضه، قال لأخيه الحسين(عليهما السلام): **يا أخي سُقيت السمَّ**

(١) الفتنة الكبرى: ٢/ ١٩٣.

ثلاث مرّات لم أُسقَ مثل هذه، إنّي لأضَعُ كبدي»[١].

وما فعلته جَعْدَةَ كان بمشورة معاوية بن أبي سفيان، قال أبو الفرج الأصفهاني: «أرسل معاوية إلى ابنة الأشعث أنا مزوّجُك بيزيد ابني على أن تَسمّي الحسن بن علي، وبعث إليها بمائة ألف درهم، فقبلت، وسمّت الحسن فاستوفاها المال، ولم يزوّجها منه، فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها فكان إذا وقع بينهم، وبين بطون قريش كلام عيّروهم، وقال: يا بني مُسِمّة الأزواج»[٢]، ويرى السيوطي أن يزيد بن معاوية هو الذي أشار إلى جعدة بسم الحسن(عليه السلام)[٣]، وهو وهم، والصحيح أنَّ معاوية هو الذي أشار إلى جعدة بذلك[٤].

وعندما أراد الحسين(عليه السلام) أنْ يستخبر من أخيه(عليه السلام) عن الشخص الذي سمّه، أبي الحسن(عليه السلام) إخباره عنه وأجابه بأجوبة عدّة، قال المفيد: «روى عيسى بن مهران، قال: حدثني عثمان بن عمر، قال: حدثنا ابن عون عن عمر بن إسحاق، قال: كنت مع الحسن والحسين(عليهما السلام) في الدار، فدخل الحسن المخرج، ثم خرج، فقال: **لقد سقيت السمّ مراراً، ما سَقَيْته مثل هذه المرّة، لقد لفظت قطعة من كبدي فجعلتُ أُقلبها بعود معي**، فقال له الحسين(عليه السلام)، **ومَنْ سقاكه؟** فقال: **ما تريد منه؟ أتريدُ قتله؟ أن يكن**

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة: ١/ ٥٦٢، وينظر: دلائل الإمامة: ٦١، ومروج الذهب: ٢/ ٣٥٣، ومقاتل الطالبيين: ٧٤، والإرشاد: ١٨٣، وكشف الغمة: ١/ ٥٤٦، وتاريخ الخلفاء: ١٤٤، وحياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٤٧٦.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٧٣.

(٣) ينظر: تاريخ الخلفاء: ١٤٤.

(٤) ينظر: دلائل الإمامة: ٦١، مروج الذهب: ٢/ ٣٥٣، والفتنة الكبرى: ٢/ ١٩٣، وحياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٤٧٥.

هو هو فاللهُ أشدّ نقمة منك، وإن لم يكن هو فما أحب أنْ يؤخذ بي بَرِيءٌ»[١]، وقال الحسن(عليه السلام) عندما سأله أخوه الحسين(عليه السلام): **مَنْ سقاك يا أخي؟ ما سؤالك عن هذا؟ أتريد أنْ تقاتلهم؟ أكِلْهم إلى الله عز وجل**[٢]. وقال سبط بن الجوزي: «قال الإمام الحسين(عليه السلام)، وهو يسأل أخاه الإمام الحسن: «**يا أخي من تتهم** قال: **لِمَ؟ لتقتله؟** قال: **نعم**، قال: **إنْ يك الذي أظنُّ فالله أشدّ بأساً، وأشدّ تنكيلاً، وإن لم يكن فما أحب أنْ يقتل بي بَرِيء**، ثم قضى نحبه»[٣]، وقال العسقلاني: «فجاء حسين فقعد عند رأسه، فقال: **إي أخي، مَنْ صاحبُك؟** قال: **تريد قتله؟** قال: **نَعَمْ**، قال: **لئن كان صاحبي الذي أظنّ، والله أشدّ له نقمة، وإن لم يكنْه، ما أحبّ أن تقتل بي بريئاً**»[٤]، وقال السيوطي: «وجَهَدَ به أخوه أنْ يخبره بما سقاه، فلم يخبره، وقال: **اللهُ أشدّ نقمة إن كان الذي أظنُّ، وإلاَّ فلا يقتل بي، واللهِ بَرِيءٌ**»[٥].

هكذا بقي الحسن(عليه السلام) يعاني من تأثير السم أربعين يوماً حتى تمكن منه، وأخذ يقذف كبده قطعة قطعة، ولما حضرته الوفاة استدعى أخاه الحسين(عليه السلام)، وانفرد به، وقال له: **يا أخي، إنّي مفارقك، ولا حق بربّي وقد سقيت السم مراراً، ولكن هذه المرّة أشدها، ورميت كبدي في الطست، وإني لعارف بمن سقاني السم، ومن أين دُهيت، وأنا أخاصمه إلى الله(عز وجل)، فبحقي عليك إن تكلّمت في ذلك بشيء، وانتظر ما يحدث اللهُ عز وجل مني، وباللهِ أقسم عليك أنْ تريق في أمري مِحْجمة دم**[٦].

---

(١) الإرشاد: ١٨٣. وينظر: مقاتل الطالبيين: ٧٤.
(٢) ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ١/ ٥٦٢.
(٣) تذكرة الخواص: ٦٢.
(٤) تهذيب التهذيب: ٢/ ٥٤.
(٥) تاريخ الخلفاء: ١٤٤.
(٦) ينظر: موسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى): ٥/ ٣٦١.

ثانياً: دفنه (عليه السلام) بالبقيع:

يتضح هذا المعلم الإنساني المثالي (حقن الدماء) في وصيته (عليه السلام) لأخيه الحسين (عليه السلام) في الحفاظ على أرواح المسلمين، وحقن دمائهم، فهو (عليه السلام) يَعْرِف أن القوم سيمنعون أخاه الحسين (عليه السلام) من دفنه بجوار جدّه المصطفى (صلى الله عليه وآله)، محاولة منهم لإبعاد هذا الجسم الطاهرة عن جدّه (صلى الله عليه وآله)، وغاب عنهم أن الأرواح المتجاذبة والمتآلفة لا يحدّها مكان، ولا زمان، فما أحدٌ أولى بقربه منه، قال الحسن (عليه السلام) مخاطباً أخاه الحسين (عليه السلام): «**فإذا أنا مُت فادفنّي مع رسول الله، فما أحدٌ أولى بقربه منّي، إلاَّ أنْ تمنع من ذلك فلا تسفك فيّ مِحجمة دم**»[1]. وقال الحسن (عليه السلام): «**ادفنوني مع جدّي**(صلى الله عليه وسلم)، **فإن مُنِعْتُم فالبقيع**»[2]. وقال ابن رستم الطبري: «ولما حضرته الوفاة قال لأخيه: **إذا مت فغسلني، وحنّطني، وكفّني، وصلّ عليّ، واحملني إلى قبر جدّي حتى تَلْحَدَني إلى جانبه، فإن منعت من ذلك، فبحقّ جدّك رسول الله، وأبيك أمير المؤمنين، وأمّك فاطمة، وبحقّي عليك إن خاصمك أحدٌ رُدّني إلى البقيع، فادفني فيه، ولا تهرق فيّ مِحجمة دم**»[3]، وقال (عليه السلام): «**وستعلم يا ابن أم أن القوم يظنون أنكم تريدون دفني عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيحيلون في منعكم عن ذلك، وبالله أقسم عليك أنْ تهريق في أمري مِحْجمة دمٍ**»[4]، وقد تضمنت وصية الحسن (عليه السلام) كذلك شذرات، وقبسات من إنسانيته المثالية، فقال: «**فإنّي أوصيك يا حسين بمن خلفتُ من أهلي، وولدي، وأهل بيتك أنْ تصفح عن مسيئهم، وتقبل من محسنهم، وتكون لهم خلفاً وولداً، وإن تدفني**

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٥٦.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٣١. وينظر: مروج الذهب: ٣/ ٥.

(٣) دلائل الإمامة: ٦١.

(٤) الإرشاد: ١٨٣، وينظر: مقاتل الطالبيين: ٧٥، وتاريخ الخلفاء: ١٤٥، وكشف الغمة: ١/ ٥٤٧، وتهذيب التهذيب: ٢/ ٥٤، والفصول المهمة: ١٥٦ – ١٥٧، وأعيان الشيعة: ٢/ ٣٨٦.

مع رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فإني أحقّ به، وببيته ممن أدخل بيته بغير إذنه»[١]، وقال(عليه السلام): «**فأنشدك الله بالقرابة التي قرب الله(عز وجل) منك، والرحم الماسّة من رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنْ تهريق في مِحْجَمة من دمٍ حتى نلقى رسول الله(صلى الله عليه وآله) فنختصمَ إليه، ونخبره بما كان من الناس إلينا بعده، ثم قبض(عليه السلام)**»[٢].

وقد التزم الحسين(عليه السلام) بوصية أخيه الحسن(عليه السلام) حرفياً، وقد صرّح بعهد أخيه(عليه السلام)، مبيناً نقض القوم للعهود، والمواثيق التي اشترطها(عليه السلام) عليهم، فقال(عليه السلام): «**واللهِ لولا عهدُ الحسن إليّ بحقن الدماء، وأن لا أهريقَ في أمره مِحْجمة دم، لعَلِمْتم كيف تأخذ سيوفُ اللهِ منكم مأخذها، وقد نقضتم العهد بيننا، وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا**»[٣]، وهكذا مَضَوا بالنعش الطاهر وهو يحمل الجسم الكريم إلى بقيع الفرقد، فدفنوه(عليه السلام) عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم، وسمت نفسه الزكية إلى الرفيق الأعلى، تلك النفس الكريمة التي لم يخلق لها نظير فيما مضى من سالف الزمان، وما هو آت حِلْماً، وسخاءً، وعلماً، وعطفاً، وحناناً، وبرّاً على الناس جميعاً[٤].

ومن ملاحق هذا الفصل أنْ نتحدّث بإيجاز عن بعض الشبهات التي ألصقت بالحسن(عليه السلام)، وهي لا تتواءم مع معالم إنسانيته المثالية، ونحسب أنَّ الحاقدين، والمغرضين أرادوا أنْ يسلبوا منه بعض الشذرات، والقبسات الإنسانية من جهة، ويُلصقوا به بعض الشبهات من جهة أخرى، وأنى لهم ذلك، فقد تواترت الأخبار،

---

(١) بحار الأنوار: ١٠/ ٢٥٩.

(٢) بحار الأنوار: ١٠/ ٢٥٩، وينظر: أعيان الشيعة: ٢/ ٣٨٥، وصلح الحسن(عليه السلام): ٣٢.

(٣) كشف الغمة: ١/ ٥٤٨. وينظر: أعيان الشيعة: ٢/ ٣٦.

(٤) ينظر: أعلام الهداية ١٨٩، وموسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى): ٥/ ٣٦٣.

والآثار في ذكر طهارته، وصفاء سريرته، وعلو كعبه، فغدا أُنموذجاً سامياً، ومثالاً عالياً في الخلق النبيل.

وهذه الشبهات التي سنكشف النقاب عنها لا تخدش بساحة الحسن(عليه السلام) البتة، لكن من باب الإحاطة بفقرات البحث، وتوسعة دائرته، زد على ذلك فإنَّ ذكرها أمر تتطلبه الدراسة، وفاقاً لمجريات البحث العلمي، وهي:-

أولاً: مخالفة أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام):

تحدثنا من قبل في الفصل الأول عن أثر الإنسانية العالية عند أمير المؤمنين عليّ(عليه السلام) في الحسن(عليه السلام)، وذكرنا نصوصاً أبانت عن هذا التأثير، سواء من خلال ذكر الحسن(عليه السلام) صفات أبيه(عليه السلام)، أم من خلال ذكر وصايا أبيه(عليه السلام) لابنه الحسن(عليه السلام)، وتأثر الحسن بها، ورأينا اتّباع الحسن(عليه السلام) لأبيه إتباع الفصيل لأمّه، فقد أخذ صفات أبيه القولية والفعلية، وتقمّصها، فكان صورة حيّة منه(عليه السلام)، وقد تميز دور الحسن(عليه السلام) في عهد أبيه(عليه السلام)، وفي أيام خلافته على وجه التحقيق بالخضوع التام لأوامر أبيه، وكان يتلقى أوامره لا كابنٍ بارّ فحسب، وإنما كجنديّ فدائي مطيع، وقد اختاره أبوه لنصرة أهل الكوفة، وتعبئتهم في النهوض إلى البصرة لنصرة إمام الحقِّ، وكان عامل الإمام علي(عليه السلام) على الكوفة آنذاك أبا موسى الأشعريّ(عبد الله بن قيس) يخذّل أهلها[1].

إنَّ أول إشارة إلى هذه المخالفة نقلها أبو حنيفة الدينوريّ عندما استنفر الإمام علي(عليه السلام) ابنه الحسن(عليه السلام)، وعمار بن ياسر أهل الكوفة بعد خروج طلحة، والزبير، وأم المؤمنين عائشة إلى البصرة طلباً بدم عثمان - كما يزعمون - فسارا حتى دخلا الكوفة، وأبو موسى يومئذ بالكوفة، وهو جالسٌ في المسجدِ والناس مُحْتوِشوه، فقال له

(١) ينظر: موسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى): ٥/ ١٤٢ - ١٤٣.

الحسن(عليه السلام): **أخرج من مسجدنا وامضي حيثُ شئت**، ثم صعد الحسن المنبر، وعمار صعد معه، فاستنفرا الناس، فخرج الناس، وكانوا تسعة آلاف، وستمائة وخمسين رجلاً، فوافوا عليّا بذي قار، قبل أنْ يرتحل، فلما همّ بالمسير غلس الصبح، ثم أمر منادياً فنادى في الناس بالرحيل، فدنا منه الحسن، فقال: **يا أبتِ أشَرْتُ عليك حين قتل عثمان، وراح الناسُ إليك، وغدوا، وسألوك أنْ تقوم بهذا الأمر ألا تقبلَه حتى تأتيَك طاعة جميع الناس في الآفاق، وأشرْتُ عليك حين بلغك خروج الزبير، وطلحة بعائشة إلى البصرة أنْ ترجع إلى المدينة، فتقيم في بيتك وأشرت عليك حين حُوْصر عثمان أنْ تخرجَ من المدينة، فإن قُتِل قُتِل وأنت غائب، فلم تقبل رأي في شيء من ذلك(...)** فقال له علي: **أما انتظاري طاعة جميع الناس من جميع الآفاق، فإن البيعة لا تكون إلاّ لمن حَضَر الحرمين من المهاجرين والأنصار، فإذا رضُوا وسلّموا وجب على جميع الناس الرِّضا والتسليم، أما رجوعي إلى بيتي والجلوس فيه، فإنَّ رجوعي لو رجعت، كان غدراً بالأمّة، ولم آمن أنْ تقع الفرقة، وتتصدّع عصا هذه الأمّة، وأمَّا خروجي حين حُوْصِر عثمان فكيف أمكنني ذلك، وقد كان أحاطوا بي كما أحاطوا بعثمان، فاكففْ عني، يا بنيَّ، عما أنا أعلمُ به منك**»[1]، وبالغ الطبري في تصوير هذه المخالفة بينهما(عليهما السلام) إلى حدّ العتاب واللوم، عندما بويع للإمام علي(عليه السلام) بالخلافة، وقد خرج عليه بعض الصحابة، فلما وقعت حرب الجمل، وانتهت، قال الحسن(عليه السلام) لأبيه(عليه السلام): **أمرْتُك فعصيتني**، فقال علي(عليه السلام): «**إنّك لا تزال تَخِنُّ خنين الجارية ! وما الذي أمرتني، فعصيتُك**»[2].

وقد اهتم طه حسين بهذه الرواية، فأشبعها بحثاً وتأويلاً كأنَّه عثر على آثار نفيسة، وثمينة في أهرامات مصر فأخذ يردّد قوليّ أبي حنيفة الدينوريّ، والطبري مع زيادة

(١) الأخبار الطوال: ١٤٥ – ١٤٦.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ١٨٥، و ٣/ ١٨٦.

من خياله الخصب الذي عرف به، فألصق بالحسن(عليه السلام) هذه الشبهة، قال: «وكذلك استقبل علي خلافة المسلمين بما لم يستقبلها أحدٌ من الذين سبقوه، فلم يخالف أحدٌ من أصحاب النبيّ عن أبي بكر إلا ما كان من سعد بن عبادة رحمه الله، ولم يخالف أحد منهم من عمرَ، ولا من عثمان(...) ولعلّ الحسن بن علي قد أصاب الحقّ حين تحدّث إلى أبيه في طريقهما إلى البصرة بأن كان قد أشار عليه أنْ يعتزل أمر عثمان فترك المدينة، أيام الفتنة فلَحِق بمكة في بعض الروايات، أو يلحق بماله بـ(يَنْبَع) في رواية أخرى، فأبى عليٌّ إلاَّ أنْ يَشْهد أمر الناس، ثم أشار عليه بعد مقتل عثمان أن يعتزل الناس إلى حيث شاء من الأرض، حتى تثوب إلى العرب عوازب أحلامها، وقال له: **لو كُنْتَ في حُجْر ضبّ لاستخرجوك منه فبايعوك دون تعرض نفسك لهم**، ثم هو يشير عليه في طريقه تلك بألاّ يأتي العراق مخافةَ أنْ يقتل بمَضْيَعة لا ناصرَ له فيها، ولكن عليّاً لم يقبل من ابنه شيئاً مما أشار به»[١]، وقال: «ولم يكن الحسن يرى أنْ يشترك أبوه في شيء من أمر الفتنة من قرب، أو بعد، وإنما أشار عليه أنْ يعتزل الناس، وأنْ يترك المدينة فيقيم في ما له بـ(يَنْبع) فلم يسمع عليٌّ له، وإنما رأى أنَّ مكانه في المدينة حيث يستطيع أنْ يأمر بمعروف، أو ينهى عن منكر، أو يصلح بين الناس»[٢]، وقد حَلَّق طه حسين في فضاء الخيال، والمغيبات، في كون الحسن(عليه السلام) كان باستطاعته أنْ يعتزل الفتنة كما فعلت المعتزلة من أصحاب النبيّ، لكنه عرف لأبيه حقّه عليه فلم يتركه، وشَهِد مشاهده كلها على غير حب بذلك، أو رغبة منه فيه[٣]، ولم يكتفِ عميد الأدب العربي بذلك، فقد جعل مخالفة الحسن أباه خَصْلة من خصاله، وسجيّة من سجاياه، قال: «وكان أبوه يعصيه في كل ما كان يشير

(١) الفتنة الكبرى: ٢/ ٣.

(٢) م.ن: ٢/ ١٧٦.

(٣) ينظر م.ن: ٢/ ١٧٦.

عليه من ذلك، حتى بكى الحسن ذات يوم حين رأى ركاب أبيه تؤمّ العراق، فقال له أبوه: **أنّك لتحِن حنين الجارية**(...) ولم يفارق الحسن حزنه على عثمان(...) وربما غلا في عثمانيته حتى قال لأبيه ذات يوم ما لا يحب، فقد روى الرواة أنَّ عليّاً مَرّ بابنه وهو يتوضأ، فقال له: **أسبغ الوضوء**، فأجابه الحسن بهذه الكلمة المرّة: «**لقد قتلتم بالأمس رجلاً كان يسبغ الوضوء**» فلم يزد على أن قال: **لقد أطال اللهُ حزنك على عثمانَ**»[١].

لا يخفى ما في هذه النصوص من افتراء على أمير المؤمنين علي(عليه السلام)، وعلى ابنه الحسن(عليه السلام)، فضلاً عن مجانبتها الصواب في أكثر الأحايين، فـ(طه حسين) على الرغم من أنه كان موفّقاً في بعض أبحاثه بخصوص خلافة أمير المؤمنين، وخلافة ابنه(عليهما السلام)، إلاَّ أنه كان غير موفق في أبحاث كثيرة بهذا الشأن، ويبدو أن الاتّكاء على الروايات الضعيفة، والاستناد عليهما هو السبب الرئيس الذي أوقع طه حسين في هذا الخلط، قال باقر شريف القرشي معلّقاً على رواية مرور أمير المؤمنين علي(عليه السلام) بابنه الحسن(عليه السلام) وهو يتوضأ: «وأما الرواية التي استند إليها الدكتور طه حسين لتدعيم قوله، فقد رواها البلاذريّ عن المدائني الذي عرف بالنصب والعداء لأهل البيت، وافتعال الروايات الحسنة في بني أمية»[٢].

ومما له علاقة بهذا الأمر هو طاعة أبيه في أشد المواقف، وأحرج الظروف، ومنها اشتراكه(عليه السلام) مع أبيه في مشاهده كلّها، فكان يتململ بين يديّ أبيه(عليه السلام)، ليأذن له بالقتال فحينما احتدمت المعركة في البصرة زحف أمير المؤمنين علي(عليه السلام) نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار، وحوله الحسن، والحسين، ومحمد بن الحنفية(عليهم السلام)، ودفع الراية لابنه محمد بن الحنفية، وقال له: **تقدم حتى تركزها**

(١) الفتنة الكبرى: ٢/ ١٧٦ – ١٧٧.

(٢) حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ١/ ٣٢٣، وينظر أنساب الأشراف: ٥/ ٨١.

في عين الجمل، فلما تقدم بها رشقته السهام فقال لأصحابه: رويداً حتى تنفذ سهامهم ولما أبطأ بها جاءه من خلفه ووضع يده اليسرى على منكبه الأيمن وقال له: **أَقْدِم لا أمَّ لك**، وأخذ منه الراية، ودفعها إلى الحسن، فحمل الحسن(عليه السلام) على القوم، وفرّقهم عن الجمل، حتى انتهى إليه وطعنه في عينه، ثم دفعها إلى الحسين ففعل كما فعل أخوه الحسن(عليه السلام)(١). وكان الحسن(عليه السلام) من الذابّين عن عثمان بأمر أبيه(عليه السلام)، قال محمد الحسين آل كاشف الغطاء: «فإنّ الحسن سبط رسول الله(صلى الله عليه وآله) وابن بنته، وريحانته، وهو لوداعته وسلامة ذاته محبوبٌ للنفوس لم يؤذِ أحداً مدّة عمره، بل كان كله خيرٌ وبركة، ولم تعلق به تهمة الاشتراك بقتل عثمان، بل قد يقال: إنّه كان من الذابّين عنه»(٢). وهذا ما نذهب إليه، فقد عرف الحسن(عليه السلام) بالنخوة، وحقن الدماء، والدفاع عن المقدسات، فمنع الاعتداء، والشر.

إن الحفاظ على أرواح المسلمين غاية كُلّ مسلمٍ، فما بالك بسبط المصطفى(صلى الله عليه وآله)، وبرعمه الذي لم يرض أنْ تهرق بسببه مِحجمة دمٍ مع معرفته، ودرايته بقاتله.

ثانياً: ميله (عليه السلام) إلى الدعة، وحب الشهوات:

(١) ينظر: سيرة الأئمة الاثني عشر: ١/ ٤٩١.

(٢) حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ١٥(مقدمة الكتاب بقلم الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء).

وقد رفض الشيخ باقر شريف القرشي هذا الرأي جملةً وتفصيلاً، قال: «فإن الإمام الحسن(عليه السلام) وسائر البقية الصالحة من المهاجرين والأنصار كانوا في معزل عن عثمان، بل ومن الناقمين عليه، ولم يحضر من يدافع عنه في حصاره سوى بني أمية، وبعض المنتفعين منهم، ولو كان له أي رصيد في المجتمع؛ لما تمكن الثائرون من قتله، لقد اتفقت كلمة الصحابة على خذلانه، ولم تظهر منهم بادرة من بوادر المساعدة، والمؤازرة له، بل كانوا يمجّدون الثورة، ويبعثون روح الحماس في نفوس الثوار، وبعد هذا فكيف يخرق الإمام الحسن(عليه السلام) الإجماع، ويمضي للدفاع عنه». حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ١/ ٣٣١.

من الشبهات التي وجهت إلى الحسن(عليه السلام) هو ميله إلى الدعة، وحب الدنيا، وإتباع الشهوات، وأنه لم يكن رجل سياسة، وإدارة، فالمبغضون له(عليه السلام) قد ناصبوه العداء، والخصومة، ولم يتركوا وسيلة من الوسائل الخبيثة إلاّ واستعملوها ضد بني هاشم، وضد الحسن(عليه السلام)، ومن الشبهات التي وجهت للحسن(عليه السلام) عدم قدرته على إدارة دفة الحكم، والخلافة وانهماكه في الركض وراء لذاته، وشهواته في كثرة تزويجه بالنساء وطلاقهن وما إلى ذلك من أنواع التهم.

وأهم شبهة وجهت له في هذا السياق هو زواجه المبالغ فيه، قال ابن رستم: «وتزوّج سبعين مرّة، ومَلَك مائة وستين أمة في سائر عمره»[١]، وقال سبط بن الجوزي: «طلق عبد الله بن عامر امرأته هند بنت سهيل بن عمرو فقدمت المدينة، ومعها ابنتها، ووديعة جوهر لابن عامر، فتزوّجها الحسن ثم أراد ابن عامر العمرة، فأتى المدينة فَلَقِي الحسن، فقال: يا أبا محمد إنَّ لي إلى ابنة سهيل حاجة فأذن لي في الدخول عليها، فقال لها الحسن: **البَسِي ثيابك فهذا ابن عامر، يستأذن عليك فدخل عليها، فسألها وديعته**(...) فقال: إن ابنتي قد بلغت، وأحب أن تخلّي بيني وبينها، فبكت، وبكت ابنتها، ورق لها ابن عامر، فقال الحسن: **فهي لكما، فوالله، ما محلّل خير مني**، فخجل ابن عامر، وقال: والله ما أخرجتها من عندك أبدا، فكفلها الحسن حتى مات»[٢]، ويبدو أنَّ هذه الروايات قد تسربت إلى كتب أتباع أهل البيت، قال المجلسي: «أتى رجلٌ أمير المؤمنين(عليه السلام) فقال له جئتُك مستشيراً: إنَّ الحسن، والحسين، وعبد الله بن جعفر عليهم السلام خطبوا إليّ، فقال: أمير المؤمنين(عليه السلام): **المستشار مؤتمن، أما الحسن، فإنّه مطلاق للنساء، ولكن زوّجها**

(١) دلائل الإمامة: ٦٢.
(٢) تذكرة الخواص: ٥٤.

الحسين، فإنّه خير لابنتك»[1]، وقال طه حسين: «وكان بعد هذا كُلّه يُحُسن كما أحسن اللهُ إليه، ولا ينسَ نصيبه من الدنيا، فكان فيما اتفق المؤرخون، والرواة عليه مزواجاً مطلاقاً، حتى أنكر أبوه عليه ذلك، ونهى الناس عن تزويجه، فلم ينتهوا، وكابروا أباه في ذلك مداعبين له»[2]، وأنا أسأل طه حسين هَل وقف على اتفاق الرواة، والمؤرخين؟!!.

وقد كفانا مؤونة الرد على هذه الشبهة باقر شريف القرشي، فهو يرى أنه مهما يكن من شيءٍ فليس عندنا دليل مثبت لكثرة أزواج الإمام، سوى هذه الروايات، وهي لا تصلح للاعتماد عليها نظراً للشبه والطعون التي حامت حولها، ويؤيد افتعال تلكم الكثرة أُمور:-

١. إنها لو صحت، لكان للحسن(عليه السلام) من الأولاد جمع غفير يتناسب معها، والحال أن النسابين، والرواة لم يذكروا للحسن(عليه السلام) ذرية كثيرة.

٢. إن المناظرات التي جرت بين الحسن(عليه السلام)، وخصومه لم يجابه هؤلاء الخصوم الحسن(عليه السلام) بهذا الشيء كونه لا يصلح للخلافة، وأنه مشغول بالنساء فسكوتهم عن هذا الأمر، وعدم ذكرهم له مما يدل على عدم واقعيّته، وصحته، فضلاً عن ذلك فإن المندّدين بالسلم من أتباعه على الرغم من جرأتهم على الحسن(عليه السلام)، إلاَّ أنهم لم يذكروا هذا الأمر لعدم وقوعه أصلاً.

٣. إنَّ قول أمير المؤمنين(عليه السلام) لابنه الحسن(عليه السلام): «**لا تزوّجوا الحسن فإنَّه مطلاق**»، فهو بعيد من وجهين: الأول: إن الحسن(عليه السلام) من أهل البيت، الذين أذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً. الثاني: فبعيد أيضاً؛ لأن الأولى بأمير المؤمنين(عليه السلام) أنْ

(١) بحار الأنوار: ١٠/ ١٧٩.

(٢) الفتنة الكبرى: ٢/ ١٩٢.

يعرف ولده(عليه السلام) بكراهة هذا الأمر، ومبغوضيته وحده، لا على رؤوس الأشهاد[١].

وقد ذكر القرشي أسماء زوجات الحسن(عليه السلام)، وهُن ثلاث عشرة زوجة، وقد ترجم لثلاث منهنَّ:(خولة الفزارية، وجعدة بنت الأشعث، وعائشة الخثعمية)، والأخيرة هي التي طلقها الحسن(عليه السلام) فقط[٢].

وقد زاد راضي آل ياسين الطين بلّة كما يعبرون، فقال: «ونسب الناسُ إليه زوجات كثيرات، صعّدوا في أعدادِهن ما شاءوا، وخَفِي عليهم أن زواجه الكثير الذي أشاروا إليه بهذه الأعداد، وأشار إليه آخرون بالغمز، والانتقاد، لا يعني الزواج الذي يختص به الرجل لمشاركة حياته، وإنما كانت حوادث استدعتها ظروف شرعية محضة من شأنها أنْ يكثر فيها الزواج، والطلاق معاً، وذلك هو دليل سمتها الخاصة»[٣]، وهذا الكلام لا يصمد أمام البحث، والتحقيق، فضلاً عن العقل والمنطق، فما هي الظروف الشرعية المحضة التي من شأنها أنْ يكثر الحسن(عليه السلام) من الزواج، والطلاق معاً، وحَسب آل ياسين أنَّ هذا الأمر فضيلة للحسن(عليه السلام) ومزية، إلاَّ أنه من حيثُ لا يقصد قطعاً، فأضاف إلى الحسن(عليه السلام) هذه الشبهة[٤]، وألصقها به، وهو أمرٌ لا يرضاه كرام الناس فضلاً عن سيد شباب أهل الجنة، وريحانة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وأشبه الناس خلقاً وخُلُقاً به(صلى الله عليه وآله).

ثالثاً: الإسراف والتبذير:

من الشبهات التي تتنافى مع الإنسانية المثالية للحسن(عليه السلام) الإسراف، والتبذير

(١) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٤٥٣ - ٤٥٤.

(٢) ينظر: حياة الامام الحسن بن علي(عليه السلام): ٢/ ٤٦٤.

(٣) صلح الحسن(عليه السلام): ٢٦.

(٤) ينظر: سيرة الأئمة الاثني عشر: ١/ ٥٥٧.

بالأموال، وتظهر هذه الشبهة على ألسنة الباحثين - وإن لم يصرّحوا بها - إلاَّ أنَّ الروايات الكثيرة التي نقلت عنه(عليه السلام) تظهرها جلية.

وقبل الوقوف على هذه الروايات، ومناقشتها لابد من القول: إنَّ الحسن(عليه السلام) قد عُرِف بكرمه، فكان جواداً، وقد تجلّت هذه المنقبة الرفيعة بأجلى مظاهرها، وأسمى معانيها فيه(عليه السلام) حتى لقب بـ(كريم أهل البيت)، فهو لا يعرف للمال قيمة، ولا يرى له أهمية سوى ما يردّ به جوع جائع، أو يكسو به عارياً، أو يغيث به ملهوفاً، أو يفي به دين غارم[1]. قال اليعقوبي: «وحَجّ الحسن خمس عشرة حجّة ماشياً، وخرج من ماله مرّتين، وقاسم الله(عزّ وجلّ) ثلاث مرّات، حتى كان يعطي نعلاً ويمسك نعلاً، ويعطي خفّاً ويمسك أُخرى»[2]، بمعنى: أن الحسن(عليه السلام) لا يكتفي بدفع الخمس فحسب كما هو مقرّر في الفقه الإسلامي.

ومن المسائل التي لابد من الالتفاف إليها، ما جاء في أحد شروط السلم بينه(عليه السلام)، وبين معاوية، وهو: «استثناء ما في بيت مال الكوفة، وهو خمسة آلاف ألف فلا يشمله تسليم الأمر، وعلى معاوية أنْ يحمل إلى الحسين كُلّ عام ألفي ألف درهم، وأنْ يفضل بني هاشم في العطاء، والصلات على بني عبد شمس، وأنْ يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل، وأولاد من قتل معه بصفين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار أبجرد»[3]، وقد جعل هذا الشرط من الأسباب التي دعت الحسن(عليه السلام) إلى قبوله السلم مع معاوية، قال الطبري: «وقد كان صالح الحسنُ معاوية على أنْ جعل

---

(١) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ١/ ١١٣، وصلح الحسن(عليه السلام): ٢٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٥٧.

(٣) صلح الحسن(عليه السلام): ٢٥٩، وحياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٢٣٤، وموسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى): ٥/ ٢٦١، وأعلام الهداية: ١٤٦.

له ما في بيت ماله وخراج دار أبجرد، على ألا يُشْتَم عليٌّ، وهو يسمعُ»[١]، وقال سبط بن الجوزي: «قال الشعبي: صالحه على أن يأخذ من بيت المال بالكوفة خمسة آلاف ألف، وأن لا يسب علي(عليه السلام)، وأشياء شرطها عليه، وكتبوا الكتاب فأعطاه مئة ألف دينار أخرى، وجميع ما كان في بيت مال الكوفة»[٢].

إنَّ الروايات التي تنصّ على أن الحسن(عليه السلام) قد اشترط لنفسه ما في بيت المال بالكوفة، ومائتي ألف درهم في كلّ عام فضلاً عن ذلك خراج بعض المقاطعات في الأهواز، وتفضيل الهاشميين على بني عبد شمس وغيرهم في العطاء، هي من صنع الأمويين، وموضوعاتهم؛ ليُرسّخوا في الأذهان أن الإمام كان همَّه المال، وحُب الثروة، ولم تكن الخلافةُ وولايةُ أمر المسلمين همّه الأول، وإنه تخلّى عنها من أجل الدراهم والدنانير، ومن أجل انتقاص الحسن(عليه السلام) كونه لا يتحمل الضيم والمسؤولية، وقيادة المجتمع، وهذا الأمر - إن كان صحيحاً جدلاً - فالحسن أراد أن يحافظ على مال المسلمين؛ لأنه يعرِف أنه سيقع في أيادٍ غير أمينة مما يؤدي إلى خلف طبقات مترفة، وطبقات فقيرة[٣]، فضلًا عن ذلك فإن الحسن(عليه السلام) كان في غنى عن صلات معاوية؛ لأنَّ له ضياعاً كبيرة في يثرب كانت تدرّ عليه الأموال الطائلة، مضافاً إلى ما كان يصله من الحقوق التي يدفعها خيار المسلمين، وصلحاؤُهم له، زد على ذلك فإن الأموال التي يصله بها معاوية على صحة القول بذلك لم يكن ينفقها على نفسه وعياله[٤].

وعودٌ على بدء، فإنَّ شبهة الإسراف والتبذير تظهر في الروايات الكثيرة التي دلّت

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٣٣١.
(٢) تذكرة الخواص: ٢٢.
(٣) ينظر: سيرة الأئمة الاثني عشر: ١/ ٥٤٢.
(٤) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٣٠٢.

على كرم الحسن(عليه السلام) المبالغ فيه، وقد جاءت على ألسنة المؤرخين، والباحثين، لاسيّما الأمويون منهم من أجل الإضفاء على شرعية إسراف ملوك بني أُميّة، وتبذيرهم، وإتلافهم المال العام، فضلاً عن إعطاء تصور عام لبذخ بني هاشم، وحِلْم بني أمية، جاء في كشف الغمة: «قال معاوية: إذا لم يكن الهاشمي جواداً لم يشبه قومه، وإذا لم يكن الزبيري شجاعاً لم يشبه قومه، وإذا لم يكن الأموي حليماً لم يشبه قومه، وإذا لم يكن المخزومي تيّاهاً لم يشبه قومه، فبلغ ذلك الحسن(عليه السلام)، فقال: **ما أحسن ما نظر لقومه أراد أنْ يجود بنو هاشم بأموالهم فتفتقر، وتزهى بنو مخزوم فتبغض وتشنأ، وتحارب بنو الزبير فيتفانوا، وتحلم بنو أمية فتحب**»[١].

وسنذكر بعضاً من هذه الروايات خشية الإطالة والإطناب، وسيراً مع سنن البحث العلمي، ومنهجه.

١. «إنَّ رجلاً جاء إليه(عليه السلام) وسأله حاجةً، فقال له: **يا هذا حق سؤالك يعظم لديّ، ومعرفتي بما يجب لك يكبر لديّ، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله، والكثير في ذات الله(عزّ وجلّ) قليل، وما في ملكي وفاءً لشكرك، فإن قبلت الميسور، ورفعت عني مؤونة الاحتفال، والاهتمام لما أتكلفه من واجبك، فعلتُ؟** فقال: يا ابن رسول الله أقبلُ القليل، وأشكر العطية، واعذر عن المنع، فدعا الحسن(عليه السلام) بوكيله، وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها، فقال: **هات الفاضل من الثلاثمائة ألف درهم**، فأحضر خمسين ألفاً، قال: **فما فعل الخمسمائة دينار؟** قال: هي عندي، قال أحْضرها، فأحضرها، فدفع الدراهم والدنانير إلى الرجل، فقال: **هات من يحملها لك**، فأتاه بحمّالينِ فدفع الحسن(عليه السلام) إليه رداءه لكرى الحمّالينِ، فقال مواليه: واللهِ ما بَقي عندنا دِرْهم، فقال:

---

(١) كشف الغمة: ١/ ٥٣٧. (تَيَّاها) أي متكبراً.

لكني أرجو أنْ يكون لي عند الله أجر عظيم»[١].

٢. قال الأربلي: «وروي عن ابن سيرين، قال: تزوّج الحسن امرأةً، فأرسل إليها بمئة جارية مع كُلّ جارية ألف درهم»[٢]. والذي يعجب له كيف مرّت هذه الرواية بسلام من أقلام الكتبة الكبار ممن كتبوا عن الحسن(عليه السلام)، وقد تماشوا معها ناقلين إياها من دون تعليق وبيان.

٣. قال ابن الصباغ: «وعن الحسن بن سعد عن أبيه، قال: متّع الحسن بن عليّ(عليه السلام) امرأتين من نسائه بعد طلاقهما بعشرين ألفاً، وزقاق من عسل، فقالت: إحداهما وأراها الحنفيّة: متاع قليل من حبيب مفارق»[٣]، أكتبُ هذه الرواية وأنا خَجل من سيد شباب أهل الجنة، وريحانة المصطفى(صلى الله عليه وآله)؛ لما فيها من سذاجة الطرح، وسقوط المضمون، والنفوس تشمئز من سماعها قبل الآذان.

٤. «روى المدائني قال: خرج الحسن، والحسين، وعبد الله بن جعفر حجّاجاً ففاتتهم أثقالهم، فجاعوا، وعَطِشُوا، فرأَوا عجوزاً في خباء، فاستسقوها فقالت: هذه الشويهة احلبوها، وامتذقوا لبنها، ففعلوا واستطعموها، فقالت: ليس لي إلاَّ هذه الشاة، فليذبَحْها أحدكم، فذبحها أحدهم، وكشطها، ثم شوت لهم من لحمها فأكلوا(...) فلما نهضوا، قالوا: نحنُ نفرٌ من قريش نريد هذا الوجه، فإذا عُدنا، فألمي بنا، فإنا صانعون بك خيراً، ثم رحلوا فلما جاء زوجها، أخبرته فقال: ويحكِ تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم، ثم تقولين: نفرٌ من قريش، ثم مضت الأيام فأَضَرْت بها الحال، فرحلت حتى اجتازت

(١) م.ن: ١/ ٥٢٣، وينظر: الفصول المهمة: ١٤٩، وحياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام) ١/ ١١٥ – ١١٦.

(٢) كشف الغمة: ١/ ٥٢٤.

(٣) الفصول المهمة: ١٥٠.

بالمدينة، فرآها الحسن(عليه السلام) فعرفها، فقال لها: **أتعرفينني؟** قالت: لا، قال: **أنا ضيفك يوم كذا وكذا،** فأمر لها بألف شاة، وألف دينار، وبعث بها إلى الحسين(عليه السلام) فأعطاها مثل ذلك، ثم بعثها إلى عبد الله بن جعفر، فأعطاها مثل ذلك»(١). وعجبي يزداد من قبول هذه الرواية من كتبة كبار فرحين برواياتها، وهي قصة مريحة في تلفيقها؛ لأن المتتبع لا يجد عنتاً، ونَصَباً في الاهتداء إلى مواضع التلفيق فيها، فلا يخفى على قارئ من قرّاء العصر الحاضر موضع التلفيق فيها، من جهة اجتماع الحسن والحسين(عليهما السلام)، وعبد الله بن جعفر في الصحراء، ورؤيتهم لهذه العجوز، وقيامها بذبح، هذه الشاة المسكينة وشوائِها، ولِمَ لم يُعطها هؤلاء(عليهم السلام) شيئاً مقابل صنيعها هذا.

وقد مضى باقر شريف القرشي في التحليق في فضاء الخيال، فقال: «يا أمة الله إنا نفرٌ من قريش نريد حجّ بيت الله الحرام، فإذا رَجَعْنا سالمين فهلمّي إلينا لِنُكَافئك عن هذا الصنع الجميل، ثم انصرفوا لشأنهم ولمّا عَنَّ غياب القرص عن السماء أقبل رب البيت على عادته، فأخبرته العجوز بالقصة، فاستولى عليه الغضب؛ وذلك لأن الشاة هي مصدر القوت وإدرار الرزق عليهم، فقال لها: ويحك: أتذبحين الشاة لأُناس لا تعرفينهم ثم تقولين إنهم نفرٌ من قريش؟، وطوى الدهر عجلته، فمضت سنة، وأقبلت أخرى، فاعترت البادية أزمة شديدة؛ لأن السماء قد منعتها قطرها حتى قلت موارد العيش، وانعدمت أسباب القوت، فرحلا عن البادية، ونزلا المدينة، ولم يجدا عملاً يحيطان به خبراً سوى التقاط البَعر من الطرقات والشوارع، فاتخذا ذلك مهنة لهما، وفي يوم من الأيام، وهما على عملهما أرادت السعادةُ أن تحنو عليهما، فلمح الحسن(عليه السلام) العجوز فعرفها، وقد حلّ وفاء الدين، والمعروف في ذمة الأحرار دين، فأمر(عليه السلام)

(١) صلح الحسن(عليه السلام): ٢٩، وينظر: كشف الغمة: ١٥٠، وحياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ١/ ١١٦ – ١١٨.

غلامه أنْ يأتي بها إليه، فلما مثلت بين يديه قال(عليه السلام) لها: **أتَعْرِفيني يا أمة الله؟** فقالت: لا، قال: **أنا أحدُ ضيوفك يَوم كذا، سنة كذا،** فقالت: لست أعرفك، **إن لم تعرفيني، فأنا أعْرِفَك،** ثم أمر(عليه السلام) غلامه، فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة، وأعطاها ألف دينار، ثم أمر(عليه السلام) غلامه أن يذهب بها إلى أخيه الحسين(عليه السلام) ويعرّفه بها، فأخذها الغلام، فلما دخلت عرفها الحسين(عليه السلام) فقال للغلام: كم أعطاها أخي؟ فأخبره الغلام بعطائه، فوصلها(عليه السلام) بمثل ذلك، ثم بعث الحسين بها إلى عبد الله بن جعفر، فلما دخلت عليه عرفها، فأمر لها بألفي شاة، وألفي دينار، فأخذت ذلك جميعاً وانصرفت، وقد تغيّر حالها من فقر مدقع إلى غناء وثروة حسدها عليه كل من عرفها»[1] والغريب أن هذه الرواية مصدرها علي بن محمد بن عبد الله البصري الشهير بـ(المدائني)(ت ٢٢٥هـ)، وقد حكم عليه القرشي بالضعف في الرواية، وكونه لا يعوّل على أحاديثه، ومروياته وفاقاً لما جاءت به مصادر الجرح والتعديل، وقد امتنع مسلم من الرواية عنه في صحيحه[2].

٥. «تنازع رجلان هاشمي، وأموي، قال هذا قومي أسمح، وقال هذا: قومي أسمح، قال: فَسَلْ أنت عشرة من قومك، وأنا أسأل عشرة من قومي، فانطلق صاحب بني أمية فسأل عشرة، فأعطاه كلّ واحدٍ منهم عشرة آلاف درهم، وانطلق صاحب بني هاشم إلى الحسن بن علي فأمر له بمئة وخمسين ألف درهم، ثم أتى الحسين، فقال: **هلْ بدأت بأحد قبلي؟** قال: بدأتُ بالحسن، قال: **ما كنت أستطيعُ أنْ أزيد على سيّدي شيئاً،** فأعطاه مِئة وخمسين ألفاً من الدراهم، فجاء صاحب بني أمية يحمل مئة ألف درهم من عشر أنفس، وجاء صاحبُ بني هاشم يحمل ثلاثمائة ألف درهم من نفسين، فغَضِب صاحب بني أمية، فردّها عليهم فقبلوها، وجاء صاحبُ بني هاشم فردّها عليهما، فأبيا

(١) حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ١/ ١١٦ – ١١٨.

(٢) ينظر: م.ن: ٢/ ٤٥٠.

أنْ يقبلان، وقالا: **ما كنّا نبالي، أخذتها، أمْ ألقيتها في الطريق**»[١].

هذه الرواية - بلا شك - تضحك الثكالى، وتبكي الفرحين، فكيف رواها راضي آل ياسين وهو محقق بارع من دون التعليق عليها، ونقدها، لاسيما عندما أراد الهاشمي أن يرجع المال إلى الحسن، والحسين(عليهما السلام)، فرفضا قبوله، وقالا له: **ما كنا نبالي أخذتها أم ألقيتها في الطريق،** أهكذا يتصرف في المال، وهما سيدا شباب أهل الجنة، وإمامان من أئمة المسلمين، وقادتهما، فعملهما لا يصدر من عوام الناس، فما بالك بإمامين معصومين؟!.

والحمد لله الذي جعل الشيخ راضي آل ياسين يكتفي بهذه الروايات، فقال: «وأخبار كرمه كثيرة لسنا بسبيل استقصائها»[٢].

ولابد من القول: إنّه إذا تمُودي في هذا الجانب من الروايات الضعيفة مما جاءت لبيان كرم الحسن(عليه السلام) المبالغ فيه، والذي يدخل في المغيّبات، والخيال، فإننا سنصل إلى نتائج خطيرة لا تحمد عقباها في فهم سيرة الإمام الحسن(عليه السلام)، وغيره من الأئمة(عليهم السلام).

وهذا ما حدث عملاً، فقد تجرّأ الباحثونَ والمستشرقون على سبط المصطفى(صلى الله عليه وآله) بسبب هذه الروايات الضعيفة، والمكذوبة، ومنهم الأب المسيحي(هنري لامنس) الذي تمادى بكل أريحية، واطمئنان، وثقة، ليكيل السب والشتم بالحسن(عليه السلام) فقال: «يلوح أن الصفات الجوهرية التي كان يتصف بها الحسن هي الميل إلى الشهوات والافتقار إلى النشاط والذكاء، ولم يكن الحسن على وفاق مع أبيه وأخوته(...) وقد أنفق سني شبابه في الزواج والطلاق، فأحصي له حوالي المائة زيجة عداً، وألصقت به هذه الأخلاق

(١) صلح الحسن(عليه السلام): ٣٠.
(٢)صلح الحسن(عليه السلام): ٣٠.

الشائبة لقب المطلاق، وأوقعت عليّاً في خصومات عنيفة، وأثبت الحسن كذلك أنَّه مبذر كثير السرف، فقد اختص كلاً من زوجاته بمسكن ذي خدم وحشم، وهكذا نرى كيف كان يبعثر الأموال أيام خلافة عليّ التي اشتد عليها الفقر(...) كان متراخياً كسلاناً فكر فقط في إبرام معاهدة مع معاوية(...) حسن طلب لنفسه مبلغاً من خمسة ملايين، ودخل مقاطعة في بلاد فارس(...) ليعود إلى المدينة وهناك استرجع حياة البهجة والانغماس في الملذات المعتادة(...) حسن مات بمرض السل أو الهزال، ربما عجّل ذلك إفراطه في الملذات»[١]، ولاشك أن لامنس قد أفاد من هذه الروايات المكذوبة في المصادر الإسلامية التي تتهجم على سبط رسول الله(صلى الله عليه وآله) وتشوه سيرته، وتتهمه بأبشع الاتهامات، وأبعدها عنه، من أجل إرضاء معاوية، وحزبه، وقد أسهبت المصادر الإسلامية كـ(تاريخ الطبري، والأخبار الطوال، والطبقات الكبرى لابن سعد وعنه أخذ من جاء بعده)[٢].

(١) سيرة النبي وأهل البيت بين تزييف المسلمين، ومناهج المستشرقين الأب(هنري لامنس) أنموذجاً: جواد كاظم النصر الله، وشهيد كريم محمد: ١٣(بحث).

(٢) ينظر: م.ن: ١٣، والطبقات الكبرى: ابن سعد: ٦/ ٣٧٤ – ٣٧٧.

الفَصْلُ الثَّالِث

آلياتُ الحسن عليه السلام

في تجَلّي معالمِ الإنسانية المثالية

إنَّ تراث الحسن(عليه السلام) يُمثل منظومة إنسانية مثالية، فخطبه، ورسائله، ووصاياه، وحِكَمه كلها ذات طابع إنساني محض، والمتأمل والمدقق في تراثه(عليه السلام) يجد هذه الحقيقة واضحة.

إن هذا التراث السامي الخالد لا يمكن سبرُ أغواره، والإحاطة بأسلوبه؛ لأنه زاخرٌ بالمعاني، والدلالات الإنسانية العميقة، والمتنوعة، فهو نتاج عقل جبار، وفذ، وقد أفاد من المرجعيات المتكاملة، والعالية متمثّلة بكتاب سماوي معجز، وسنة مطهرة شريفة، وتراث بياني من أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام).

إذا تفحصنا تراث الحسن(عليه السلام) نراه موزعاً بين أنْ يكون نصوصاً شفاهية تتمثل في خطبه التي ألقاها، أو كتابيّة تتمثل في رسائله التي دارت بينه(عليه السلام)، وبين معاوية، وقد تكون نصوصه وصايا، أو حِكَماً أجاد بها لسانه الشريف، وإن الذي شكّل حضوراً بيّناً عند الحسن(عليه السلام) خطبه، ورسائله، وتتجلى وظيفة الخطبة في: «الدفاع عن الرأي وتنوير الرأي العام في أي أمرٍ من الأمور، والحضّ على الإقناع بمبدأ من المبادئ، والتحريض على اكتساب الفضائل، والكمالات، واجتناب الرذائل والسيئات، وإثارة شعور العامة، وإيقاظ الوجدان والضمير فيهم»(١)، أمّا الرسالةُ، فتعرف بأنها «ما يكتبه امرؤٌ إلى آخرٍ معبِّراً فيه عن شؤون خاصة، أو عامة»(٢)، فالخطبة، والرسالة متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزنٌ، ولا تقفيه، وقد يتشاكلان أيضاً من جهة الألفاظ والفواصل، فألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتاب في السهولة والعذوبة، وكذلك فواصل الخطبة مثل فواصل

---

(١) المنطق: محمد رضا المظفر، منشورات دار العلم، قم، إيران: ٣/ ٣٦٨.

(٢) المعجم الأدبي: جبور عبد النور، ط١، دار العلم للملايين، بيروت – ١٩٧٩م: ١٢٢.

الرسالة ولا فرق بينهما، إلاّ أنْ الخطبة يُشَابه بها، والرسائل يكتب بها[1].

ولا ريب أنَّ هذا التراث يمثل منظومة مهمة في تجلّي معالم الإنسانية المثالية لديه(عليه السلام)، وله الأثر الواضح في إصلاح المجتمع، والتعايش السلمي، وحقن الدماء، والكرم، والحِلْم، وحبّ الناس وغيرها.

إنَّ المهمة التي كان يجب أنْ يقومَ بها الحسن(عليه السلام) هي مهمة صعبة، ومعقدة، وبعيدة المدى، وملأى بالمخاطر، والعقبات، فكان البيانُ حاضراً، وآخذاً موقعه في إزالة العقبات، وتوجيه مسيرة الأمّة إلى الطريق الآمن، والعدل المخطط له.

إنَّ الحسن(عليه السلام) كان داعية سلام دائم عن قوّة لا عن ضعف، وكان يحافظ على دماء المسلمين من أنْ تنزف في سبيل أغراضٍ شخصية، وهو يضربُ مثلاً عالياً للأمة في كون القوة لا تكون دائماً في الحرب، وإنما قوةُ القوةِ تكون في السلام، ومن هنا كان لزاماً علينا أن نقف وقفة صبور عند خطبه(عليه السلام)، ورسائله، ووصاياه، وحكمه؛ لتكوين صورةٍ مشرقة تفيد منها الأمّة.

إنَّ بيان الآليات، والأدوات، ودراستها التي مثّلتها خطبه(عليه السلام)، ورسائله، ومواقفه ووصاياه، وحكمه تفتح لنا الباب على مصراعيه؛ لنقف طويلاً عند هذه الإنسانية المثالية، وما أحوجنا إليها في يومنا هذا !!

إنَّ الإحاطة بهذه الآليات، وتحديدها، يكشف لنا جوانب جديدة في فكر الحسن(عليه السلام) الإنساني، وثقافته، ويكشف لنا تكامل هذه الشخصية، وتفرّدها بأدب الحوار، والارتفاع بمسؤولية المناقشة والجدال المحمود، والإقناع السلميّ، وعمق

---

(١) ينظر: كتاب الصناعتين(الكتابة والشعر): أبو هلال العسكري: تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، ١٩٩٨: ١٣٦.

الهدف الذي أعطاه(عليه السلام) من حياته، وفكره، وجهاده، وإنسانيته المثاليّة[١].

لقد كان ديدن الحسن(عليه السلام) إسعاد الناس، والأخذ بأيديهم إلى الخير، والنجاة من خلال غرس القيم الإسلامية الإنسانية في نفوسهم، فأدب الحوار المتمثل بالألفاظ الطيّبة النافعة، وصدق الوقائع ومطابقتها للواقع، وكلماته الذهبية الإنسانية، فضلاً عن قوة إقناعه كونه قائداً للأمة، وإماماً كان لها القَدَحُ المُعَلّى في تَجَلّي إنسانيته المثالية، وهذا ما سنبسط الحديث عنه.

(١) ينظر: رسائل الإمام الحسن(رضي الله عنه): زينب حسن عبد القادر، مطبوعات الشعب، مصر، ١٤١١هـ- ١٩٩١م: ٩.

المبحث الأول:

أدب الحوار

إنَّ الدعوة إلى العمل الإنساني تجعل المسلم يستنفر طاقاته الفكرية، والعملية كلّها من أجل أنْ يَعْرِف كيفيّة التعامل مع الواقع بأساليب جديدة.

إن الأسلوب، وطريقة العرض، وبيان الآراء لها دور في الدعوة إلى العمل الإنسانيّ.

وقد دعا الباريء(عزّ وجلّ) إلى أدب الحوار، والدعوة إليه بالحكمة، والموعظة الحسنة، وكون الجدال البناء هو الجدال المثمر المحمود، الذي تعرض فيه الأدلّة والحجج، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾(النحل/ ١٢٥)، فالحكمة هي وضع الشيء في موضعه، وهي صواب الأمر، وسداده، ومن هنا نجد أنَّ صفة الحكمة تلتقي في كلامنا بـ(الخبرة)، و(المران)، و(التجربة)، فيعدّ الإنسان المزوّد بهذه الدلالات إنساناً حكيماً؛ لأنَّ له من تجاربه، وخبراته، ومرانه ما يساعده على إعطاء الرأي الصائب، ويمنح خطواته، وأعماله صفة التركيز، وعدم الانحراف، والانزياح، والاهتزاز(١).

وعلى ضوء ذلك يمكننا إطلاق هذه الصفة على العالم، والعادل، والحليم، والنبيّ؛

(١) ينظر: أسلوب الدعوة في القرآن الكريم: محمد حسين فضل الله، ط٤، د.ط، بيروت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م: ٣٩.

لأن هذه المبادئ التي اشتمل عليها وهي العلم، والعدل، والحلم، والنبوة، تساعد على أن يضع الأشياء في مواضعها، في العلم يبحث، ويفكر، ومن الحلم عندما يعفو ويصفح ويسامح، وفي العدل عندما يقضي ويحكم، وفي النبوة عندما يدعو ويبلغ[١].

ومن هنا فإنَّ أيَّ مبدأ لا يستطيع أنْ يدّعي لنفسه ضمانة البقاء لمدّة طويلة فضلاً عن ضمان البقاء إلى يوم القيامة من دون أنْ يعترف بضغوط الواقع ومتطلباته المختلفة من حين لآخر مع الاحتفاظ الكامل بالمعالم الحقيقية المميزة له، ومن دون أنْ يمتلك مرونة تتجلّى في مواد نظامه، وبرامجه العلمية نفسها.

إن الآية المباركة ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(النحل/ من الآية ١٢٥) تحقّق لنا أمرين مهمين، الأول: الاحتفاظ بالدعوة عقيدة حيّة متفاعلة، قد يكون الضغط نفسه أثره في تنميتها، الآخر: توفير المناخ الملائم لعملها في سبيل الانتشار في القلوب، والحفاظ على حياة العناصر البشرية، وهي المدد الضروري لانتشار أيّ مبدأ[٢].

إنَّ عملية تحويل الخلاف الفكري إلى صراع عملي، وسبّ، ونظرات احتقار، وتقسّم وتوزّع، وتآمر وانتقام من أكبر علل الانحسار، أليس هذا قرآننا العظيم يعلم الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) أسلوباً في المحاورة ما أبهاه !، حينما يقول على لسان مصطفاه(صلى الله عليه وآله) مخاطباً الذين لا يؤمنون: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(سبأ/ من الآية ٢٤).

---

(١) ينظر: اسلوب الدعوة في القرآن الكريم: ٤٠.

(٢) ينظر: من حياة أهل البيت: محمد علي التسخيري: دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د.ت: ١١٩.

إنَّ على «كُلّ طائفة تسعى نحو الحقيقة أن تؤدّب أتباعها بأدب الإسلام، وأن تهذّب عامتها بحيث يعُون حقيقة واحدة، هي التي يؤمّل لها أنْ تقود البشرية إلى الخير، ومن ثم يتركون الخلاف – إن لم يكونوا أهلاً – إلى المفكّرين، وحينها يتجلّى النهار، تلك الحقيقة هي الإسلام دين الرقي، والتعاون، والسعادة»[1].

إنّ إدخال عنصري الكلمة، والاستنباط أمرٌ ضروري في دراسة إنسانية الحسن(عليه السلام) المثالية، وفهمها الفهم الصحيح، من أجل الوصول إلى النتائج المقبولة، والصائبة في بيانها.

إن تراثه(عليه السلام) كان موجّهاً في الغالب إلى ثلاثة مخاطبين:-

١. الناس عامة، وهذا الوسط من المخاطبين يتوافر على أنماط مختلفة منهم من كان موالياً، ومنهم من لم يكن موالياً، ونلمح في خطابهم موضوعات الحث على التحلّي بالأخلاق الفاضلة، والدعوة إلى القيم الإنسانية الرفيعة.

٢. معاوية وأتباعه، وهم الذي كانوا يمثلون الحزب المعارض، للخليفة، والإمام(الحسن)(عليه السلام)، تتجلّى فيه الأدلّة، والحجج التي تشعّ بالصدق.

٣. أهله وخاصته، ويبدو عليها الاقتصاد اللغوي، وتكثيف العبارات، لأنهم ذوو أفهام ثاقبة، يكتفون بالإيجاز.

إنَّ كلام الحسن(عليه السلام) «ينزع إلى كلام أبيه، وجدّه، ومحلّه من البلاغة لا ينبغي لأحد من بعده، ومَنْ رام حصره، وعدّه كما كان، كمَنْ شرع في حصر قطع السحاب وعدّه، فالأولى أن اقتصر منه على هذا القدر، إذا كانت جملته غير داخلة في الحصر، والعاقل يرى

(١) من حياة اهل البيت: ١٠١.

في الهلال صورة البدر»[١].

وكان الحسن(عليه السلام) يتدفّق في حواراته، ومناظراته تدفق السيل الهادر يهتك الأستار والحُجُب، كاشفاً مكر الحزب المعارض وأتباعه، وخديعتهم.

إن التراكم الثقافي للحسن(عليه السلام) جعلته يمتلك مؤهلاتٍ أدبيّة عالية، أفادته في ظهور المهارات الرفيعة الرشيقة في الحوار، والاتّصال عبر الخطابات المتبادلة مع الآخرين.

وقد سدّد(عليه السلام) لخصومه سهاماً من منطقه الفيّاض، فيرديهم صَرْعى، يلاحقهم العار والخزي، وكان يجيبهم بقوة الكلام، والحجّة، وصدق العبارة فكُتب له النصر، والظفر في المناظرات كلّها[٢].

وعلى الرغم مما كان يعرفه الحسن(عليه السلام) من دهاء الحزب المعارض، ومكره، فقد أبى أن يُعلن الحربَ إلاَّ بعد أنْ كتب(عليه السلام) إليه المرّة بعد المرّة، يدعوه إلى جمع الكلمة، وتوحيد أمر المسلمين، وحقن الدماء.

وتتجلى المعالم الإنسانية المثالية عند الحسن(عليه السلام) من خلال أدبيّة الحوار، لاسيّما استعماله اللغة المهذّبة الطيّبةُ، والصدق الفني، والاقتصاد اللغوي في رسائله، وأقواله الحِكَمِيّة القصار، وهذه السمات التي انمازت بها أدبية الحوار عنده(عليه السلام) ستكون محطّ عنايتنا في هذا المبحث.

---

(١) كشف الغمة: ١/ ٥٣٨.

(٢) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٣٠٢ – ٣٠٤.

أولاً: اللغة المؤدّبة المهذّبة:

مما لا شكّ فيه أن الدعوة إلى الحوار والمجادلة تكون بالتفاهم والعقلانية، والموضوعيّة، ومن مصاديقها استعمال اللغة الخطابيّة الجميلة المهذّبة المؤدّبة، لا اللغة الخطابية الحادة النبرة، ذات الألفاظ النابية غير اللائقة، ويظهر هذا المبدأ الإسلامي جليّاً في قوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾(فصّلت/ من الآية ٣٤)، فالخطاب المهذّب المتّزن يجعلُ العدوّ مُحبّاً وصديقاً.

إنَّ القول اللّيّن يتيح للفكرة أنْ تحافظ على هدُوْئها بعيداً عن جوّ الحماس والتحدّي، ويفسح للداعية أنْ يملك زِمام نفسه بعيداً عن جوّ الإثارة، والصخب، ويعطي للمخاطبين مجال التأمل والتفكير، من دون أن يتعرّضوا لهذه المفاجأة العنيفة التي تثير أعصابهم، وتتركهم يعيشون في إطار الذات والشخصية بعيداً عن الفكرة والتفكير، ومن هنا جاء التوجيه منسجماً مع الحكمة، ومنطبقاً على الموعظة الحسنة في قوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾(طه/ ٤٣ – ٤٤)، فاللِّين ضد الخُشُونة، ويستعمل في الأجسام ثم يستعار للخُلُق وغيره من المعاني فيقال: فلان لَيِّنٌ، وفلان خَشِنٌ[1]، والقول اللِّين هو: «القول الرقيق تتقبله النفسُ بقَبول حسن»[2].

ونستطيع أنْ نلمح في النص القرآني في التعبير بـ(لعلّ) التي تدلّ على الترجّي الذي يعطي قرب حصول الفعل، فلابد للداعية من أنْ يلاحظ في الأسلوب قابليته للتأثير في قرب حصول الفعل، وتعجيله، فلا يكون الترجّي منطلقاً من الواقع الشخصي

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن:(لين): ٧٥٢.

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية(القاهرة): محمد علي النجار: الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميري، القاهرة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م: ٥/ ١٥٢.

للمخاطب بقدر ما يكون جارياً مع الطبيعة المرنة للأُسلوب[١].

وهذا ما ينظر في أسلوب الحسن(عليه السلام) الذي يسمو على الاضطهاد، ويرتفع عن الظلم، فلا يثور ولا يغضب عندما تفاجئه الشتائم، أو تهاجمه التهم، فهو يحاول أنْ يتحدّى العاصفة الحقود، والرياح العاتيات بهدوء الرسالة، واستعمال الكلمات المتزنات الواثقات الهادئات المطبّبات التي تنساب بهدوء مشعة، ومتوهجة بدلالات الرفق بالمخاطبين على الرغم من جفائهم، وهي سمة واضحة، فنحنُ – إذا ما تصفحنا تراثه(عليه السلام)– ولاسيّما خطبه ورسائله لم نجد فيها كلمة تستغرب من مثله، أو تتجاوز حدّ الحجّة التي تنهض بحقّه(عليه السلام) في الخلافة، وفيما فرضه الله(عز وجل) من مودّة أهل البيت(عليهم السلام)، وفيما سجله القرآن الكريم من الحكم بطهارتهم من الرجس، أو لوّح إليه من ولايتهم على الناس، والدعوة إلى الطاعة، وحقن الدماء، وإطفاء النائرة، وإصلاح ذات البين، فتأمل خطبته البليغة الطويلة التي خطبها بعد استشهاد أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام)، وهو(عليه السلام) يردّ على معاوية بكلمات مؤدّبة مهذّبة من دون أنْ يناله بسبّ، أو بشتم بعد أن نال معاوية من أبيه(عليه السلام)، انسجاماً مع روح الإنسانية المثالية التي يتحلّى بها الحسن(عليه السلام)، هذه الروح التي لا تعرِف كلمات السب، والشتم، بل تعرف القول اللين الذي تعشقه النفوس، وتستطابه الآذان، فقال(عليه السلام): «**أيها الذاكر عليّا: أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأُمّي فاطمة، وأُمُّك هند، وجدّي رسول الله، وجدّك عتبة بن ربيعة، وجدتي خديجة، وجدتك قَتِيلة، فَلَعَنَ اللهُ أخْملنا ذِكْراً، وألْأمَنا حَسَباً، وشَرّنا قِدَماً، وأقدمنا كُفْراً ونِفَاقاً**»[٢].

لقد كان الحسن في حواره، ومجادلته عفَّ اللسان، لا يخرج من فمه الطاهر إلاَّ الكلام

(١) ينظر: أسلوب الدعوة في القرآن الكريم: ٧٩.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٤٦، وينظر: شرح نهج البلاغة: ٤/ ١٦، وصلح الحسن(عليه السلام): ٢٥٦.

الحق المملوء حياءً، وبهاء وحلاوة، محترزاً من الكلام غير اللائق مع أشد خصومه، وهذا من أدب الحوار الذي عرف به مَنْ طَهُرت سيرته، ونَقِيت سريرتُهُ، انظر إلى كلام الحسن(عليه السلام) وقد جيء بجاسوسين إليه، قد نشرهما معاوية، وبثّهما في البصرة والكوفة من أجل تنفيذ الخطط المقرّرة لهما وقد قبضت الشّرطة عليهما، رفع الحسن(عليه السلام) مذكّرة إلى معاوية مهدِّداً فيها ومتوعّداً بأسلوب مِلْؤُه الأدب والنبل، والطهارة على الرغم من جلل الأمر، وفداحته، فقال(عليه السلام): « :

فإنّا وَمَـنْ قَـدْ مَـاتَ مِنّا لَكَالَّذِي ... يَـرُوْحُ فَيُمْسِي فِي المَبِيْت لِيَغْتَدِي
فَقُلْ لِلّذي يَبْغي خِلاَفَ الذِّي مَضَى ... تَجَهَّزْ لأُخْرَى مِثْلَها فَكَأَنْ قَدِ»[1]

وقد اشترط الحسن(عليه السلام) على معاوية في سلمه معه أنْ يترك سبَّ أمير المؤمنين عليّ(عليه السلام)، قال ابن الصباغ المالكي: «منها أن لا يتعرّض عماله إلى سب أمير المؤمنين على المنابر، ولا ذكره بسوء، ولا القنوت عليه في الصلوات»[2]، وهو عمل شنيع له آثار سلبية في المجتمع، فالإنسانية التي جُبلت على حُبّ الناس، وعدم الإيذاء تمجّ هذا الفعل ولاسيما سبّ إمام عادل، وخليفة بايعه المسلمون، فاندفع معاوية بطاقاته كلّها، وقواه إلى النيل منه(عليه السلام)، وإلى الحطّ من شأنه بكلمات نابية، وغير لائقة.

إنَّ سب أمير المؤمنين(علي(عليه السلام))، واحتقاره، وانتقاصه قد حرّمه الله(عزّ وجلّ)، لكنّ معاوية لم يكترث، ولم يرعوِ لهذا الأمر، فإنَّه أخذ بعد إبرام السلم، والهدنة مع الحسن(عليه السلام) يسبُّ أمير المؤمنين(عليه السلام)، وقد جرّأ ولاته، وعماله على هذا العمل المشين،

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٦/ ٣١، وينظر: الفصول المهمة: ١٥٣، وحياة الإمام الحسن بن عليّ(عليهما السلام): ٢/ ٤٦.

(٢) الفصول المهمة: ١٥٤، وينظر: صلح الحسن(عليه السلام): ٢٦٠، وحياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٢٣٣، وموسوعة المصطفى والعترة: ٥/ ٢٦٠، وأعلام الهداية: ١٤٦.

وقد رُوِي «أنَّ مروان بن الحكم خطب يوماً، فذكر علي بن أبي طالب(عليه السلام) فنال منه، والحسن بن علي(عليه السلام) جالس، فبلغ ذلك الحسين(عليه السلام) فجاء إلى مروان، فقال: **يا ابنَ الزرقاء، أنت الواقع في عليّ؟!** ثم دخل إلى الحسن(عليه السلام)، فقال: **تسمع هذا يَسُبُّ أباك، ولا تقول له شيئاً؟** فقال: **وما عَسَيْتُ أنْ أقولَ لرجلٍ مسلّط، يقول ما شاء، ويفعل ما يشاء**»[1].

ويظهر الامتحان الصعب حينما عاتبه(عليه السلام) أصحابه وأتباعه بقبول السلم والهدنة مع معاوية، وعلى الرغم مما واجهه(عليه السلام) من كلمات قاسية لا يستحقها، وغلظة في القول، وقسوة في الحديث منهم، فقد تحمّل أشد أنواع التأنيب من خيرة أصحابه، فكان يواجههم بعفوه وأناته، رادّاً عليهم بأجمل الكلمات، وأطيبها، وأعذب الحديث وأحلاه، فجاءت كالماء الزلال على قلوبهم، قال ابن قتيبة: «لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق، وانصرف راجعاً إلى الشام أتاه سليمان بن صرّد وكان غائباً عن الكوفة، وكان سيّد أهل العراق ورأسهم، فدخل على الحسن، فقال: السلام عليكم يا مذلّ المؤمنين، فقال الحسن: **وعليك السلام، اجْلِس لله أبوك**(...) فتكلّم الحسن فَحَمِد الله، ثم قال: **أما بعد، فإنّكم شيعتنا، وأهل مودّتنا، ومَن نعرِفه بالنصيحة، والصحبة، والاستقامة لنا، وقد فَهِمتُ ما ذكرتم، ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا، وللدين أعمل، وأنصب ما كان معاوية بأبأس مني بأساً، وأشدّ شكيمةً، ولكن رأي غير ما رأيتم، ولكن أشهد اللهَ وإيّاكم إنّي لم أرد فيما رأيتم إلاّ حقن دماءكم، وإصلاح ذات بينكم، فاتقوا الله، وارضوا بقضاء الله، وسلموا لأمر الله، والزموا بيوتكم، وكفوا أيديكم حتى يستريح برّ، أو يستراح من فاجر، من أنَّ أبي يحدّثني أنَّ معاوية سيلي الأمر، فوالله لو سرنا إليه بالجبال والشجر ما شككت أنه سيظهر إنَّ الله لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، وأما**

(١) أعلام الهداية(الحسن المجتبى): ٣٥.

قولك: يا مذلّ المؤمنين، فوالله؛ لأنْ تذلّوا وتعافوا أحبّ إليّ من أنْ تعزّوا، وتقتلوا، فإن ردّ اللهُ حقّنا في عافية قبلنا، وسألنا الله العون على أمره، وإن صرفه عنا رَضِيْنا وسألنا الله أن يبارك في صرفه عنا، فليكن كُلّ رجلٍ منكم حِلْساً من أحلاس بيته ما دام معاوية حيّاً، فإنْ يهلك، ونحن وأنتم أحياء سألنا الله العزيمة على رشدنا، والمعونة على أمرنا، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا، فإنَّ الله مع الذين اتّقوا، والذين هم محسنون»[١]، إنَّ هذا النص لَحْنٌ خالد، وأهزوجة في الصبر، والحِلْم، وتحمل الضيم، فبمعاينة النص تتجلّى روح الإنسانية المثالية من خلال توظيف العنصر الغيبي والاستشرافي، وإدخال النص في سرديّة مقصودة تلويناً للدلالات، وتقريباً إلى ذهن المتلقّي[٢]، وقال أبو حنيفة الدَّينوريّ: «وقالوا: وكان أول من لَقي الحسن بن علي(عليه السلام) فندّمه على ما صنع، ودعاه إلى ردّ الحرب حِجر بن عَدِيّ، فقال له: يا ابن رسول الله لوَدِدتُ إنّي مُتّ قبل ما رأيْتُ، أخرجتنا من العدل إلى الجور فتركنا الحقّ الذي كنّا عليه، ودخلنا الباطل الذي كنّا نهرب منه، وأعطينا الدنيّة من أنفسنا، وقَبِلنا الخسيسة التي لم تَلِق بنا، فاشتدّ على الحسن(عليه السلام) كلام حجر، فقال له: **إنّي رأيْتُ هوى عظم الناس في الصلح، وكَرِهوا الحرب، فلم أحبّ أن احملهم على ما يكرهون فصالحت بُقياً على شيعتنا خاصة من القتل، فرأيْتُ دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإنَّ الله كلّ يوم هو في شأن»**[٣]. وقال أيضاً: «ورُوي عن عليّ بن محمد بن بشير الهمدانيّ، قال: خرجت أنا وسفيان بن ليلى حتى قدمنا على الحسن المدينة، فدخلنا عليه، وعنده المسيِّب بن نجبة، وعبد الله بن الودّاك التميميّ،

---

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ١٣٤، وينظر: بحار الأنوار: ١٠/ ٢١٧.

(٢) أدب الإمام الحسين(عليه السلام) قضاياه الفنية والمعنوية(رسالة ماجستير): موسى خابط عبود، جامعة بابل – كلية التربية، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م: ١٨١.

(٣) الأخبار الطوال: ٢٢٠، وينظر: شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٣، وبحار الأنوار: ١٠/ ٢١٩، وأعيان الشيعة: ٢/ ٣٧٨، واعلام الهداية: ١٦٣ – ١٦٤.

وسراج بن مالك الخثعمي، فقلتُ: السلام عليك يا مذل المؤمنين، قال: **وعليك السلام، اجْلِسْ، لست مُذلّ المؤمنين، ولكن معزّهم، ما أردت بمصالحتي معاوية إلاّ أن أدفع عنكم القتل عندما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب، ونكولهم عن القتال، ووالله لئن سِرْنا إليه بالجبال، والشجر، ما كان بد من إفضاء هذا الأمر إليه**»(١).

وتتعالى أدبيّة الحوار متمثّلة بالكلمات المهذّبة المؤدّبة اللائقة مع أشدّ خصومه، محترزاً من الكلام غير اللائق، والمطروح، فقد كان «سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس شيعة لعلي بن أبي طالب(عليه السلام) فلما قَدِم زياد الكوفة طلبه وأخافه فأتى الحسن ابن علي(عليهما السلام) مستجيراً به فوثب زياد على أخيه، وولده، وامرأته فحبسهم، وأخذ ماله، ونقض داره، فكتب الحسن(عليه السلام): **من الحسن بن علي إلى زياد، أما بعد، فإنّك عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فهدمت داره، وأخذت ماله، وحبست أهله وعياله، فإذا أتاك كتابي هذا، فابنِ له داره، واردد عليه عياله، وشفّعني فيه، فقد أجرْتُه والسلام**، فكتب إليه زياد: من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة، أما بعدُ، فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك، وأنت طالب حاجة، وأنا سلطان، وأنت سُوقه تأمرني فيه بأمر المطاع المسلّط على رعيته، كتبْت إليّ في فاسق آويته إقامة منك على سوء الرأي، وايْمُ الله لا تسبقنى به ولو كان بين جلدك ولحمك غير رفيف بك(...) فسلّمه بجريرته إلى مَنْ هو أولى به منك، فإن عفوت عن حلم أكن شفّعتك فيه، وإن قتلته لم أقتلْه إلاَّ لحبّه أباك والسلام، فلمّا ورد الكتاب على الحسن(عليه السلام)، قرأه وتبسّم، وكتب جواب زياد كلمتين لا ثالثة لهما، **من الحسن بن فاطمة إلى زياد ابن سميّة، أما**

(١) الأخبار الطوال: ٢٢٠ – ٢٢١، وينظر: بحار الأنوار: ١٠/ ٢٢١، وأعلام الهداية: ١٦٤ – ١٦٥.

بَعْدُ؛ فإنَّ رسول الله(ﷺ) قال: «الولد للفراش وللعاهر الحَجَر»، والسلام»[١]، فشتان ما بين الخطابين خطاب من طَهُر أصله، وطابت سريرته(عليه السلام)، وخطاب من فَسِد أصله، وخَبُثت سريرته.

ثانياً: الصدقُ الفنيّ:

الصدق، والكذب الفني عبارة أطلقها الأقدمون على المطابقة للواقع، وعلى عدم المطابقة للواقع، أو ما هو في حكمه، وقد خضعت هاتان الظاهرتان لسنّة التطور، كما خضعت القضايا النقدية الأُخر، وفي عصور مبكرة روعي الصدق، والجدية، ومراعاة الحقيقة في الخطابة؛ لاتصالها بالسياسة والحكم، وارتباط السياسة بالدين، ذلك الاتصال الذي أضفى على الخطابة الصدق الذي تقف عنده حدود الأخلاق، وتتطلبه المواصفات الاجتماعية[٢].

ويوصف الصدق بالواقعي؛ لأنّه يقف عند حدود الأخلاق والقيم الإنسانية الاجتماعية العليا السائدة، فصدق الأديب والمتكلم مردّه إلى العرف الاجتماعي، وتعبير عن تجربته التي يعيشها يتجلّى فيها تصويره لما حوله تصويراً إنسانيّاً، فتجربته صورة لفكره وذاتيته ومثله، بعيداً عن واقعه الذي يعيش فيه، وبعيداً عما يحيط به من تقاليد، وتعابير مأثورة، وصور مألوفة، أو غير مألوفة تخرج أحياناً عن المألوف في تصنع، وتكلّف؛ من أجل الإبداع لا الصدق الفني الذي يستلزم إيماناً بالتجربة في معانيها الإنسانية، وهو في هذا يتلاقى مع الصدق الخلقي غير التقليديّ، وصدق الأديب أمر

(١) أعيان الشيعة: ٢/ ٣٨١.

(٢) ينظر: النظرية النقدية عند العرب: هند حسين طه، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م: ١٩١.

جوهري لتقدم الفن نفسه[١].

ويتحقق الصدق من خلال عاطفة المتكلم الحقيقية، وقوّة شعوره وإحساسه، وكذلك عدم مخالفة النواميس الكونيّة، وحقيقة السلوك الإنسانيّ[٢].

إنَّ صدق العاطفة هو سموُّها من خلال تناول الحياة الإنسانية من جوانبها المشرقة الباعثة على التفاؤل والخير، فيبعث المتكلم أو المنشيء في الناس حبهم للحياة، وإقبالهم عليها، لا العواطف التي تنظر نظرة التشاؤُم للحياة، وتبرّم بها، وتصورها مليئة بالشرور، والآلام، ومما له علاقة بالصدق الوصول إلى(صدق التجربة)، و(الصدق التاريخيّ)، و(الصدق الأخلاقي)[٣].

إنَّ الصدق الفني هو نشاط إنسانيّ له غايتُه، وهو أن يحمل للناس كلّ ما هو خير، ونافع.

ومن هنا فإن الصدق في القول، ومطابقة الواقع، والالتزام بالتراث الإسلامي الإنساني الأصيل، استلزم من الحسن(عليه السلام)، وهو الإمام، والخليفة، والحاكم أن يرشد الناس إلى الصواب، والصحة في ذكر الواقع والأحداث، فلا يليق بشخصٍ هذه مكانته، ومنزلته أنْ ينطق بما هو كذب، أو بما هو مجانب للصواب، ومخالفٌ للأفكار، والعادات غير المنطقيّة، وقد أشار صراحة(عليه السلام) بأن الكذب ليس طبعه وديدنه، عندما وصله تهديد معاوية عن طريق مذكرة بعثها إلى الحسن(عليه السلام) يحذره من الخلاف عليه، ويمنّيه

(١) ينظر: النقد الأدبي في كتاب(الموشح) للمرزباني(رسالة ماجستير): محمد عبد الحسن حسين، جامعة بابل – كلية التربية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م: ١٤.

(٢) ينظر: الصدق الفني في الشعر العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري: عبد الهادي خضير نيشان، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٧: ١٧.

(٣) ينظر: م.ن: ٢٨٦.

بالخلافة من بعده أن تنازل له عن الأمر، قال معاوية: «أمّا بعدُ، فإنَّ الله يفعل في عباده ما يشاء لا معقّب لحكمه، وهو سريع الحساب، فاحذر أنْ تكون منيتُك على أيدي رعاع من الناس، وَأيْس من أن تجدَ فينا غميزة وإن أنت أعرضت عما أنت فيه، وبايعتني وفيت لك بها وعدتُ، وأجريْتُ لك ما شرطتُ، وأكون في ذلك كما قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:-

وإنْ أحَـدٌ أسْـدَى لك إهانةً فأوفِ بها تُدْعَى إذا مُت وَافِياً
ولا تَحْسِدِ المَوْلَى إذا كانَ ذا غِنَى ولا تَجْفُهُ إنْ كَان في المالِ فَانِينا

ثم الخلافة لك من بعدي، فأنت أولى الناس بها، والسلام»[1]، ولم يعتنِ الحسن(عليه السلام) بتهديد معاوية، فأجابه على رسالته تتضوّع عزماً، وإصراراً، وحزماً، وصدقاً، فقال(عليه السلام): **«أما بعدُ؛ فقد وَصَل إليّ كتابُك تذكر فيه ما ذكرْت، وتَركْت جَوَابك خشيةَ البغي عليك، وبالله أعوذُ من ذلك، فاتّبعِ الحقَّ تعلمُ أنّي من أهْلِهِ، وعليّ إثْمٌ أنْ أقولَ فأكذِبُ، والسلام»**[2].

ويظهر الصدق الفني عنده(عليه السلام) من خلال فهمه للواقع، والإحاطة بالأحداث، فعندما بلغه خبر توجّه معاوية بجيشه الجرّار(ستين ألفا، وقيل: أكثر من ذلك) عمّ العراقيين الذعر والخوف، فنادى الحسن(عليه السلام) الصلاة جامعة، فاكتظ الناس في الجامع فاعتلى(عليه السلام) المِنبر، فحمِد الله(عز وجل)، وأثنى عليه، فقال: **«أما بَعْدُ فإنَّ الله كتب الجهاد على خلقه وسمّاه كرهاً،**(...) ثم قال لأهل الجهاد: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، **فلستم أيها الناس نائلين ما تحبُّون إلاّ بالصبر على ما تكرهون، إنَّه بلغني أنَّ معاوية بَلَغَه أنّا كُنّا أزْمَعْنا على المسير إليه، فتحرّك لذلك، فأخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم**

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٦/ ٣٦ - ٣٧.
(٢) م.ن: ١٦/ ٣٧، وينظر: بحار الأنوار: ٤٤/ ٥٥.

بالنُّخيلة حتى نَنْظُرَ، وتنظروا ونرى، وتَرَوْا»[١].

ويَبِين صدق التجربة، والصدق التاريخيّ عنده(عليه السلام) في أول رسالة أرسلها إلى معاوية يدعوه إلى مبايعته بعد استشهاد أبيه أمير المؤمنين، وما حدث للمسلمين بعد وفاة المصطفى(صلى الله عليه وآله)، ننقل منها موضع الحاجة قال(عليه السلام): «**فلما تُوُفّي تنازعت سلطانَه العربُ، فقالت قريشٌ: نحن قبيلته وأُسرته وأولياؤُه، ولا يَحِلّ لكم أنْ تنازعونا سلطان محمد وحقَّه، فَرَأَت العربُ أنَّ القول: ما قالت قريشٌ، وإنَّ الحُجّةَ في ذلك لَهُم على مَنْ نَازَعهم أمر محمد، فَأَنْعمت لَهُم، وسَلَّمَت إليهم،(...) ولقد كنّا تَعَجَّبْنا لتوثُّبِ المتوثبين علينا في حقّنا، وسلطان بَيْتنا، وإن كانوا ذوي فضيلةٍ وسابقةٍ في الإسلام، وأمْسَكْنا عن مُنَازَعتهم مخافةً على الدّين أنْ يَجِدَ المنافقون والأحْزاب في ذلك مَغْمَزاً يَثْلِمُوْنه به، أو يكونُ لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده فَاليوم فَلْيَتعجّبِ المتعجّب من توثّبك يا معاوية على أمر لَسْتَ من أهْله لا بفضل من الدين معروف، ولا أثَرٍ في الإسلام محمود وأنت ابن حِزْبٍ من الأحزاب، وابن أعْدَى قريش لرسول الله(صلى الله عليه وآله)، ولكتابه، واللهُ حسيبك فَسَتَرُدُّ وتعلمُ لَيَجْزِيَنَّك بما قَدَّمَتْ يَدَاك، وما الله بظلاّم للعبيد»**[٢].

وهكذا نجد الحسن(عليه السلام) يعطف بالفاء عجبه من توثّب معاوية على تعجّبه من توثب الأولين عليهم في حقّهم، وسلطان بيتهم، ومن هنا تنبثق مناسبة اتصال قضيتِهِ بقضايا الخلائف السابقين، وتنبثق معها مناسبات أخرى ولا يخفى صدق هذه المناسبات، وواقعيتها[٣].

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٦/ ٣٨.
(٢) م.ن: ١٦/ ٣٣.
(٣) ينظر: صلح الحسن(عليه السلام): ٤٤.

واسْمَع إلى كلامه الصادق بعد سَلْمِه مع معاوية مبيّناً أسبابه عَفْوَ الخاطر بلا تكلّف، وبلا تصنّع، قال(عليه السلام): «**فقد مات واللهِ جدّي رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وقتل أبي(عليه السلام)، وصاح الوَسْواس الخنّاس في قلوب الناس، ونعق ناعق الفتنة، وخالفتهم السنّة، فيا لها من فتنة صمّاء عمياء لا يسمع لداعيها، ولا يجاب مناديها، ولا يخالف، وإليها ظهرت كلمة النفاق، وسيّرت رايات أهل الشقاق وتكالبت جيوش أهل العراق من الشام، والعراق، هَلِمُّوا - رَحِمَكُم اللهُ - إلى الافتتاح، والعلم الجحجاح، والنور الذي لا يُطْفَى، والحقُّ الذي لا يَخْفَى، أيُّها الناس تيقّظوا من رَقْدةِ الغَفْلَةِ، ومن تكاثُف الظُلمة، فوالذي خَلَق الحَبّة، وبَرَأ النَّسْمَة، وتَرَدّى بالعظمة لَئِن قام إليّ منكم عُصبةٌ بقلوبٍ صافية، ونيّات مخلصة لا يكون فيها شوبُ نفاقٍ، ولا نِيّة افْتِرَاقٍ لأجَاهِدَنَّ بالسيف قدماً قدماً، ولأُضَيِّقَنَّ من السيوف جوانبها، ومن الرماح أطرافها، ومن الخيل سناكبها، فتكلّموا يرحمكمُ اللهُ**»[١].

وقد كَتَب الحسن(عليه السلام) خطبه ورسائله مجاراةً للمناسبة فاتّسَمَتْ بالصّدق، والصدق في تراثه هو جوهر بلاغته، وسِرّ دوامه، فتأمل إلى جوابه المفعم بالصدق الواقعي، والتاريخيّ، حينما سأله معاوية: «ظَنَنْتَ أنْ ستكونَ خليفةً، وما أنت وذاك؟»، فقال الحسن(عليه السلام): **إنّما الخليفةُ مَنْ سار بكتابِ الله، وسنّة رسولِ الله، ليس الخليفةُ مَنْ سار بالجَوْر وعطّلَ السنّة، واتّخَذَ الدنيا أباً، وأُمّاً، مَلَكَ مُلْكاً مُتّع به قليلاً، ثُمّ تَنْقَطِع لذّتُه، وتَبْقى تَبِعَتُهُ**»[٢]، وقد استطاع الحسنُ(عليه السلام) أنْ يرسم صورة حيّة منبثقة تَشِعُّ بالدلالات، تثيرُ في النفوس معاني التصور، والتدبّر، ويثير المخاطب، ويبعث الشوق

---

(١) بحار الأنوار: ١٠/ ٢٢١.(سَنَابِك جمع سُنْبُكُ وهو طَرَفُ مُقَدَّم الحافر من الخيول.(مختار الصحاح:(سبك)): ٢٨٤.

(٢) م.ن: ١٠/ ٢٣٠.

في نفسه بَعد إعمال البحث والتأمل من أجل إدراك المعنى المراد، فيظلّ أثره باقياً في المخاطب باعثاً المتعة الفنيّة من ورائه[١].

ومن الجدير بالذكر لابد من الإشارة إلى المناظرات التي دارت بين الحسن(عليه السلام)، وخصومه، فكان(عليه السلام) يسدّد لهم سهاماً من منطقه الفيّاض، فيرديهم صَرْعى، يلاحقهُم العار، والخزي، «وكانت نصوص هذه المشاجرات بصيغها البلاغيّة وقيمتها الأدبيّة جديرةً بالعرض كتراث عربي أصيل يدلّ بنفسه على صحة نسبة، ويعطينا بأسلوبه، وصياغته صورة عن المشاجرات في عصره، ولكنّ الذي رغّبنا في استعراضها في سطورها هذه إيغالها المؤسف بالاستهتار البذيء الذي بلغ به صاغة الأكاذيب الأمويون، غايتهم فأساؤُوا لأنفسهم أكثر مما أرادوا بعدوّهم، وما كانوا محسنين»[٢].

وقد نقلها باقر شريف القرشي كاملة[٣]، وظهر أن الحسن(عليه السلام) في هذه المناظرات «لم يستعن بالكذب، ولم يتذرّع بالبذاء كما تذرّعوا به»[٤].

وقد أخبر الحسن(عليه السلام) عند موته، أنَّ معاوية لا يصدق بما وعد به جَعْدَة بنت الأشعث التي سقتْه السمّ، بأن يزوّجها من يزيد، قال المسعوديّ: «وذكر أنَّ الحسن قال عند موته: **لقد حاقت شربته، وبلغ أُمنيته، واللهِ لا وَفَى بما وَعَدَ، ولا صَدَقَ فيما قال**(...) وذكر أنَّ جَعْدَة بنت الأشعث بن قيس الكندي سقتْه السمَّ، وقد كان معاوية دسّ إليها: إنّك إن احْتَلْتِ في قتل الحسن، وجّهت إليك بمئة ألف دِرْهم، وزوّجتك من

(١) ينظر: الخطاب في نهج البلاغة(دراسة موضوعية فنيّة)(رسالة ماجستير): إيمان عبد الحسن علي، جامعة بابل/ كلية التربية، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م: ١٣١.

(٢) صلح الحسن(عليه السلام): ٢٠٦.

(٣) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٣٠٣ - ٣٣١.

(٤) م.ن: ٢/ ٣٣٢.

يزيد، فكان ذلك الذي بعثها على سمّه، فلَمّا مات وَفَى لها معاوية بالمال، وأرسل إليها: إنّا نُحبّ حياة يزيد، ولولا ذلك لوفّينا لك بتزويجه»[١].

ويتجلّى الصدق عند الحسن(عليه السلام) في دعائه، وهو أداة استعملها(عليه السلام)، ولا يخفى ما في الدعاء من جوانب روحية، وإنسانية عالية المضمون، مليئة بالرضا والإيمان، يفوح منه عبق العشق الإلهي، وذوبان الذات البشرية في الذات المقدّسة، فقال(عليه السلام) واصفاً الدعاء: «**ما فتح اللهُ(عزّ وجلّ) على أحدٍ بابَ مَسْألةٍ فَخُزِنَ**[٢] **عنه باب الإجابةِ، ولا فتح الرَّجُلُ بابَ عَمَلٍ فَخُزِنَ عنه بابُ القَبُول، ولا فُتِحَ لِعَبْدٍ بابُ شُكْرٍ فَخُزِنَ عنه باب المزيد**»[٣]. فكان(عليه السلام) «أصدقَ الناسِ لهجة، وأفصحهم منطقاً، وكان إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه، ويقول: **إلهي ضيفك ببابك يا محسن قد أتاك المُسِيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم**»[٤].

إنَّ الصدق الفني الذي ظهر في تراث الحسن(عليه السلام) قد تميّز بالعبارات الصريحة البعيدة عن كل تعقيد، أو زخرفة، أو تنميق، فلا نجد كلمة متنافرة الأحرف، أو غريبة، فقد تلبست بألفاظ القرآن الكريم، وكلمات جدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله)، وكلمات أبيه(أمير المؤمنين)، فهي لا تحتاج إلى إعمال ذهن في تعرّف دلالاتها، أو الرجوع إلى المعاجم اللغوية.

إنَّ الصدق بجوانبه له علاقة وثيقة بالاقتصاد في العبارة، والابتعاد عن التكلّف، وهذا ما سنقف عليه عند حديثنا عن الاقتصاد اللغوي، ولاسيّما في كلماته(عليه السلام) الحِكَمِيّة

(١) مروج الذهب: ٣/ ٦.
(٢) خُزِنَ: أغلِق وسُدَّ.
(٣) أعيان الشيعة: ١/ ٥٧٧.
(٤) م.ن: ٢/ ٣٦٦.

القصار، وأقواله الإنسانيّة.

ثالثاً: الاقْتصادُ اللُّغويّ:

من يطّلع على مناسبات خطب الحسن(عليه السلام)، ورسائله، ووصاياه، وحكمه يَلْمس بوضوح أنه لم يطل فيها إذا ما استثنينا الرسالة البليغة الطويلة التي أرسلها الحسن(عليه السلام) بعد استشهاد أبيه(أمير المؤمنين(عليه السلام)) إلى معاوية يدعوه إلى مبايعته، وطاعته، والدخول فيما دخل فيه الناس، وقد ذكرناها من قبلُ[1]، وكذلك خطبته البليغة الطويلة بعد إبرام السلم، والهدنة مع معاوية، وقد اجتمع الحسن(عليه السلام) بمعاوية وكان الاجتماع بالنخيلة، وقيل بالكوفة وقد حضرتْه جموعٌ حاشدة من المسلمين، وبعد أن تكلّم معاوية بكلامٍ أظهر فيه نقضه للعهود، والمواثيق، لاسيّما شروط السلم مع الحسن(عليه السلام)، طلب معاوية من الحسن(عليه السلام) أنْ يعتلي مِنصة الخطابة؛ ليبيّن للناس تنازله عن الأمر، وسلمه(عليه السلام) معه، وانبرى الحسن(عليه السلام) إلى أعواد المِنبر، والناسُ كلُّهم أُذُنٌ صاغية، وهم ما بين راغب، وراغم فخطبهم خطبة طويلة كانت في منتهى البلاغة والبيان وعظ فيها الناس، ودعاهم إلى الألفة والمحبة، وصوّر فيها الأحداث الرهيبة التي جرت على أهل البيت(عليهم السلام) بعد وفاة المصطفى(صلى الله عليه وآله)[2]، وقد ذكرنا هذه الخطبة من قبل، نكتفي بذكر نصّ منها لحاجة البحث إليها؛ قال(عليه السلام): «**الحمد للهِ كلّما حَمِدَه حامدٌ، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ كُلّما شَهِدَ له شاهدٌ، وأشهد أنّ محمداً عَبْدَه ورسوله، أرسله بالهُدَى، وائتمنه على الوَحْي صلى الله عليه وآله، أما بَعْدُ: فواللهِ إنّي لأرجو أنْ أكون قد أصبحْتُ بحمد الله ومَنِّه وأنا أنْصَحُ خَلْقِ الله لِخَلْقِه وما أصْبَحَتُ مُحْتملاً على مُسْلمٍ ضغينة ولا مُريداً له سُوءاً ولا غائلة، ألاَ وإنَّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم مِمّا تحبُّون في الفرقة، ألاَ**

(١) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٥٦ – ٥٩.

(٢) ينظر: م.ن: ٢/ ٢٥٩.

وإنّي ناظِرٌ لكم خَيْرٌ مِنْ نَظَرِكُمْ لأنفسكم، فلا تُخَالِفوا أمْري، ولا تَرُدُّوا عليَّ رَأْيَ غَفَرَ اللهُ لي، ولَكُمْ، وأرْشَدَني وإيّاكم لما فيه المَحَبَّةُ والرِّضا»[1].

إنَّ السياق هو الذي يحدّد نسبة الاقتصاد اللغوي للنص، ومن هنا نصل إلى نتيجة يراها الباحث موسى القيسيّ تكشف عن عدم صحة إطلاق القول: إنَّ الإطالة إنما تليق بالأئمة، والرؤساء، ومن يقتدي بهم، ويأخذ عنهم[2].

ونلمس هذا الاقتصاد اللغوي في حياة أبيه علي(عليه السلام)، لاسيّما أجوبته(عليه السلام) حينما وجّه أبوهُ(عليه السلام) أسئلة له، وقد انمازت بميلها إلى القصد، والإيجاز؛ لأنه يخاطبُ ذوي فهوم ثاقبة، وقلوب واعية يكتفون بيسير القول، وإيجازه، وهذه الأجوبة تفيض بإنسانيته المثالية(عليه السلام)، وقد نقلها الأربليّ، قال: «إنَّ أمير المؤمنين عليّاً(عليه السلام) سأل ابنه الحسن(عليه السلام) عن أشياء من أمر المروءة، فقال: **يا بُنيّ ما السدادُ؟** فقال: **يا أبتي السداد دفع المنكر بالمعروف**، قال: **ما الشرف؟** قال: **اصطناع العشيرة، وحمل الجريرة**، قال: **فما المروءة؟** قال: **العفاف، وإصلاح المال**، قال: **فما الرّقّة؟** قال: **النظر في اليسير، ومنع الحقير**، قال: **ما اللؤم؟** قال: **إحرازُ المرء نفسه، وبذل عرسه**، قال: **فما السماحُ؟** قال: **البذل في العسر واليسر**، قال: **فما الشّحّ؟** قال: **أن ترى ما في يديك شرفاً، وما أنفقته تلفاً**، قال: **فما الإخاء؟** قال: **المواساة في الشدّة**، قال: **فما الجبن؟** قال: **الجرأة على الصديق، والنكول عن العدو**، قال: **فما الغنية؟** قال: **الرغبة في التقوى، والزهادة في الدنيا هي الغنيمة الباردة**، قال: **فما الحلمُ؟** قال: **كظم الغيظ، وملك النفس**، قال **فما الغِنى؟** قال: **رضا النفس بما قَسَمَ الله تعالى لها، وإن قلّ، وإنّما الغنى غنى النفس،**

(١) الإرشاد: ١٨٠، وينظر: مقاتل الطالبيين: ١٨٠، وكشف الغمة: ١/ ٥٠٦ – ٥٠٧، والفصول المهمة: ١٥٣.

(٢) ينظر: أدب الإمام الحسين(عليه السلام) قضاياه الفنية والموضوعية: ١٦ – ١٧.

قال: **فما الفقر؟** قال: **شره النفس في كلّ شيء**، قال: **فما المنفعة؟** قال: **شدّة البأس ومنازعة أعزّ الناس**، قال: **فما الذل؟** قال: **الفزع عند المصدوقة**، قال: **فما العِيّ؟** قال: **العبث باللحية، وكثرة النزق عند المخاطبة**، قال: **فما الجُرأة؟** قال: **مُواقفة الأقران**، قال: **فما الكلفة؟** قال: **كلامُك فيما لا يعنيك**، قال: **فما المجد؟** قال: **أنْ تعطي في العزم، وتعفو عن الحرج**، قال: **فما العقل؟** قال: **حفظ القلب كلّما استودعته**، قال: **فما الخَرْق؟** قال: **معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك**، قال: **فما السناء؟** قال: **إتيان الجميل، وترك القبيح**، قال: **فما الحزم؟** **قال طول الأناة، والرفق بالولاة**، قال: **فما السفه؟** قال: **إتّباع الدناة، ومصاحبة الغواة**، قال: **فما الغفلة؟** قال: **ترك المحبَّ وطاعتك المفسدَ**، **قال: فما الحرمان؟** قال: **تركك حظَّك، وقد عرض عليك**، قال: **فمن السيّد؟** قال: **الأحمق في ماله، المتهاون في عرضه، فيشتم فلا يُجيب، المهتم بأمر عشيرته هو السيّد**»[1]، وقد وصف الأربلي هذه الأجوبة فقال: «فهذه الأجوبة الصادرة عنه على البديهة من غير روية شاهدة له(عليه السلام) ببصيرة باصرة، وبديهة حاضرة، ومادة فضل وافرة، وفكرة على استخراج الغوامض قادرة»[2].

وقد أضاف باقر القرشي أجوبة لأسئلة وجهها إليه أمير المؤمنين(عليه السلام) تتعلق بالأخلاق، والفضائل، والشمائل لم يذكرها الأربلي، وابن الصباغ المالكي، فأجابه الحسن(عليه السلام) بما هو من عفو البداهة، والخاطر، فكان الجوابُ آيةً من آيات البلاغة، والإعجاز، والإيجاز، «قيل له(عليه السلام): ما الزهدُ؟ قال(عليه السلام): **الرغبة في التقوى،**

---

(١) كشف الغمة: ١/ ٥٣١ – ٥٣٢، وينظر: الفصول المهمة: ١٥١، وحياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ١/ ١٢٩ – ١٣٣، وسيرة الأئمة الاثني عشر: ١/ ٤٧٢، وموسوعة المصطفى والعترة: ٥/ ١١٣ – ١١٥.

(٢) كشف الغمة: ١/ ٥٣٢ – ٥٣٣.

والزهادة في الدنيا(...) قيل له(عليه السلام): فما النجدة؟ قال(عليه السلام): **الذبُّ عن الجار، والصبر في المواطن**،(...) قيل له(عليه السلام): فما الكرم؟ قال(عليه السلام): **الابتداء بالعطية قبل المسألة، وإطعام الطعام في المحل**، وقيل له(عليه السلام): فما الدنيئة؟ قال(عليه السلام): **النظر في اليسير، ومنع الحقير**(...) قيل له: فما الجودُ؟ قال(عليه السلام): **بذل المَجْهُود**، قيل له(عليه السلام): فما الكرمُ؟ قال(عليه السلام): **الحفاظ في الشدّة والرخاء**(...) قيل له(عليه السلام): فما الخُرْق؟ قال(عليه السلام): **مُنَاواتُك أميرك، ومَنْ يَقْدِر على ضُـرِّك**(...) قيل له(عليه السلام): فما اللُّؤم؟ قال:(عليه السلام): **إحرازُ المرء نفسه، وإسلامه عِرْسه**»[1].

إنّ النفس لتقف حائرة مدهوشة أمام هذا الاسترسال العجيب من الحسن(عليه السلام)، وعدم تكلّفه في الجواب، وإحاطته خبراً بدلالات هذه الأسئلة الإنسانية الحيوية، فلا يسعُ النفسُ إلاّ الإكبار، والإعجاب، والاعتراف والخضوع لعظمة قائلها الحسن(عليه السلام)[2].

ومن الأسئلة التي وجّهت إليه(عليه السلام)، فأعطى الجواب الحاضر، والموجز الدال على الإيجاز والمضاء، وملاكه الأناة والفطنة كأنّه ضربٌ من الاختزال، قال المالكيّ: «وسُئِل(عليه السلام) عن الصمت، فقال هو: **سترٌ للعِيّ، وزين للعِرْض، وفاعله في راحةٍ، وجَلِيْسُه في أمْن**»[3]، وسأله معاوية، وقيل: عمرو بن العاص، «قال ابن العاص(..) فإنّى أسألك مسائل، قال(عليه السلام): **سَلْ عما بَدَا لك**، قال عمرو: أخبرني عن الكرم، والنجدة، والمروءة، فقال(عليه السلام): **أمّا الكرمُ، فالتبرع بالمعروف، والإعطاء قبل السؤال، وأمّا النجدة، فالذبّ عن المحارم، والصبر في المواطن عند المكاره، وأمّا المروءة**

(١) حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ١/ ١٢٩ – ١٣٣.
(٢) ينظر: م.ن: ١/ ١٣٣.
(٣) الفصول المهمة: ١٥١.

فحفظ الرجل دينه، وإحرازه نفسه من الدنس، وقيامه بأداء الحقوق، وإفشاء السلام»[(١)].

وقد سُئِل (عليه السلام) عن السياسة، هذا المصطلح المتنوّع الدلالات، الذي تختلف الأفهام في تصويره، ووصفه، فأجاب بسرعة بكلمات قليلة سديدة وافقت معانيها، وهي: **«أن تَرْعَى حقوق الله، وحقوق الأحياء، وحقوق الأموات، فأمّا حقوق الله فأداء ما طَلَب، والاجتناب عما نَهَى، وأما حقوق الأحياء فهي أنْ تقوم بواجبك نحو إخوانك، ولا تتأخّر عن خدمة أمّتك، وأنْ تخلص لِوَلي الأمر ما أخلص لأُمّته، وأنْ ترفع عقيرتك في وجهه إذا ما حاد عن الطريق السَّوِيّ، وأمّا حقوق الأموات فهي أنْ تذكر خيراتهم، وتتغاضى عن مساوئهم فإنَّ لهم ربّاً يحاسبهم»**[(٢)]، فكان هذا الجواب نشيداً خالداً يتغنّى به السياسيون المخلصون، ووساماً يتقلّده الرؤساء، والحكام، ورجال السلطة، والشرفاء أجمع؛ لما فيه من معالم إنسانية مثالية ينبغي أنْ يهتدي بهديها رجال السياسة كافة في مشارق الأرض ومغاربها، ليعمّ الأمن، والاطمئنان، فيكون الشعب والحكومة في راحة بال واستقرار وخير.

إنَّ السياسة التي يجب أنْ تسود أنحاء البلاد عند أهل البيت(عليهم السلام) هي السياسة الحكيمة، المخلصة، المنظّمة التي تضمن مصالح المجتمع، وتعمل على إيجاد الوسائل الصحية لرقيّه، وبلوغ أهدافه وآماله، وحمايته من الظلم والاعتداء، وتحقيق المساواة والعدل في ربوعه، وتوفير الفرص المتكافئة بين أبنائه، لإبعاد شبح الفقر، والبؤس، والحرمان عنهم.

---

(١) بحار الأنوار: ١٠/ ٢٣٠، وينظر: موسوعة المصطفى والعترة: ٥/ ١١٨.

(٢) أعيان الشيعة: ١/ ٥٧٧. وينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ١/ ١٣٦، وسيرة الأئمة الاثني عشر: ١/ ٤٧٣، وأعلام الهداية: ٢٠٨ – ٢٠٩، وموسوعة المصطفى والعترة: ٥/ ١١٩.

إنَّ هذه السياسة الأصيلة عند أهل البيت(عليهم السلام) هي التي لا تعتمد على المكر والدهاء والخداع والمواربة والكذب والدعاية الباطلة وغيرها من الأساليب غير الواقعية، فلابد لها من أنْ تكون صريحة واضحة في أهدافها، ومعالمها كافةٌ لتحقيق العدل والمساواة في البلاد ولصلابة سياستهم في الحقّ وصرامتها في العدل ثار عليهم النفعيون والمنحرفون، وطالبوهم أنْ ينهجوا منهجاً خاصاً لا يتنافى مع مصالحهم وأطماعهم، فقد آثروا رضا الله(عزّ وجلّ)، وسلكوا طريق القرآن الكريم، وشريعة المصطفى(صلى الله عليه وآله)، وتركوا طرق الضلالة، والخطط الملتوية التي يَأباها الدين[1].

وتظهر قيمة التذوق الجماليّ، وسمة الاقتصاد اللُّغويّ في رشاقة الكلمات الحِكَمِيّة القِصار في التراث الحسنيّ، وهي شاهدةٌ بقوة تمكّنه، وعلو مكانته، قوله في مواعظه الإنسانية النُّصْحِيّة الكثيرة، وقد روى الرواة مجموعة من الكلمات القصار في الحكم، والأخلاق، والآداب وغير ذلك من المواضيع، فيها من سهولة البيان، والعمق في التفكير، والخبرة الواسعة بأصول الأخلاق والسياسة، ومشاكل الحياة ما يكفي لأنْ يكون في القمة بين عباقرة العصور في كلّ زمان ومكان(...)، وليس ذلك بغريب عمّن نشأ في بيت الوحي والتنزيل بيت محمد سيد المرسلين، وعليّ إمام الفصحاء والموحّدين، وفاطمة سيدة نساء العالمين»[2].

وسنذكر أقواله(عليه السلام) ممن اتّسمت بالاقتصاد اللغوي، وتكثيف العبارة، وممن لها صلة بإنسانيته المثالية، وأول هذه النصوص، ما رواها اليعقوبي، قال: «قال جابر: سَمِعْتُ الحسنَ يقول: **مكارم الأخلاق عشر: صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن الخلق، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، والتذمّم على الجار،**

(١) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٢٠٧ – ٢٠٨.

(٢) سيرة الأئمة الاثنى عشر: ١/ ٤٧٤.

ومعرفة الحقّ للصاحب، وقِرَى الضيف، ورأسهن الحياء، وقيل للحسن: مَنْ أحسنُ الناس عَيْشاً؟ قال: مَنْ أشْرَكَ الناس في عيشه، وقيل: مَنْ شرّ الناس عَيْشاً؟ قال: مَنْ لا يعيش في عيشه أحد»(١).

وقد نقل الأربليّ كلاماً له(عليه السلام) دالاً على عبادته ونزاهته، فقال(عليه السلام): «يا ابن آدم عِفْ عن محارم الله تكن عابداً، وارضَ بما قسم اللهُ سبحانه تكن غنيّاً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحبّ أنْ يصاحبوك بمثله تكن عدلاً، إنّه كان بين أيديكم أقوامٌ يجمعون كثيراً، ويبنون مشيّداً، ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً، وعملهم غروراً، ومساكنهم قبوراً»(٢).

وقال(عليه السلام): «لا أدب لمَنْ لا عَقْل له، ولا مروّة لمَنْ لا همّة له، ولا حياء لمَنْ لا أدب له، ورأسُ العقل معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تدرك الداران جميعاً ومَنْ حُرِم من العقلِ حرمهما جميعاً»(٣).

وقال(عليه السلام): «لا تأتِ رجلاً إلاّ أنْ ترجو نواله، وتخاف يده، أو تستفيد من علمه، أو ترجو بركة دعائه، أو تصل رحماً بينك وبينه»(٤).

وقال(عليه السلام): «إنَّ هذا القرآن فيه مصابيح النور، وشفاء الصدور، فَلْيَجِلّ جالٌّ بضوئه، وليلجم الصفة قلبه، فإنَّ التفكير حياةُ القلبِ البصير كما يمشي المستنير في الظلماتِ بالنور»(٥).

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٥٧.

(٢) كشف الغمة: ١/ ٥٢١.

(٣) م.ن: ١/ ٥٣٤، وينظر: الفصول المهمة: ١٥١، وأعيان الشيعة: ١/ ٥٧٧.

(٤) م.ن: ١/ ٥٣٥، وينظر: م.ن، ١٥١، و م.ن: ٢/ ٣٨٧.

(٥) كشف الغمة: ١/ ٥٣٦.

وروى ابن الصباغ المالكيّ شيئاً من كلامه(عليه السلام): «قال(عليه السلام): **هلاكُ المرء في ثلاث الكبر، والحرص، والحسد، فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس، والحرص عدوّ النفس، وبه أخرج آدم من الجنّة، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل**»(١).

ومن كلماته الحِكَمِيّة القصار التي تشعّ بالدلالات الإنسانية المثالية، ما رواه العامليّ: «قال(عليه السلام): **القريب من قرّبته المودة، وإن بعد نسبه، والبعيد من باعدته المودّة، وإن قرب نسبه**»(٢).

وقال(عليه السلام): «**لا تعاجلِ الذنبَ بالعقوبة، واجعل بينهما للاعتذار طريقاً**»(٣).

وروى القرشيّ نتفاً من كلماته الحِكَمِيّة القصار، ممن لم تردّ في كلام السابقين مِمّن وقفنا على مؤلفاتهم، وهي تفوح بعبق الإنسانية المثالية، من خلال إنماء الجانب الروحيّ للمسلم، وصولاً إلى تكامله إنسانيّاً، قال: «قال(عليه السلام): **فَضَحَ الموتُ الدنيا**، قال(عليه السلام): **أشدُّ من المصيبة سُوء الخُلُق**، قال(عليه السلام): **تمام الصنيعة خيرٌ من ابْتدائها**، قال(عليه السلام): **لا يَغُشّ العاقِل من استنصحه**، قال(عليه السلام): «**ما تشاور قوم إلاّ هُدُوا إلى رُشْدهم**»(٤).

إنَّ هذه الكلمات الحِكَمِيّة القصار هي من الآليات، والأدوات التي استنبطها الحسن(عليه السلام) من أجل النفاذ إلى ذهن المتلقي، فهذه الكلمات تحمل شحنات قوية من أجل إيصالها إلى المخاطبين بأيسر وسيلة، وأقصر مدة، وكذلك توظيفها توظيفاً جمالياً مكثفاً، محاولة لتماهيها في القلوب النابضة، والضمائر الحيّة.

---

(١) الفصول المهمة: ١٥١.
(٢) أعيان الشيعة: ٢/ ٣٨٧.
(٣) م.ن: ٢/ ٣٨٧.
(٤) حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ١/ ١٥٠ – ١٥١.

ويظهر هذا الاقتصاد اللغويّ، وتكثيف عنصر(الإشارة الدالّة)، أي العبارة المنطوية على شفراتٍ دلاليّة، وهذا ما نجده مثلاً، لّما قام خطيباً(عليه السلام) بعد وفاة أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام) «فحَمِد الله، وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ، ثم قال: **أَلا إنَّه قد مَضَى في هذه اللّيلة رجل لم يدركه الأوّلون، ولن يرى مثله الآخرون، مَنْ كان يقاتل وجبريل عن يمينه، وميكائيل على شماله، واللهِ لقد توفّي في الليلة التي قبض فيها موسى بن عمران، ورفع فيها عيسى بن مريم، وأُنزل القرآن، ألاَ وإنَّه ما خلّف صفراً، ولا بيضاً إلاّ سبعمائة دِرهم فَضُلت من عطائه أراد أنْ يبتاع بها خادماً لأهله**»[١].

إنَّ تأبين الحسن أباه(عليهما السلام) بهذا الأسلوب الخطابي، فريدٌ لا عهد لنا بمثله؛ لأنه لم يعرض إلى ذكر المزايا المعروفة في الراحل العظيم، كما هي السنّة المتبعة في أمثال هذه المواقف، ولاسيّما في تأبين الرجال الذين احتوشوا الفضائل، فكان لهم الدرجات الفضلى، ومُرِنوا على المكارم فإذا هم في القمة من ذرواتها علماً، وحِلْماً، وفصاحَةً، وشجاعة، وسماحةً، ونسباً، وحسباً، ونُبلاً، ووفاءً، وإباءً، وعدالة كعليّ(عليه السلام) الذي حَيّر المادحين مدح عُلاه، فلماذا يعزف الحسن(عليه السلام) فيما يؤبّنه به على الطريقة المألوفة في تأبين العظماء؟ ترى أكانت الصدمةُ القويةُ في مصيبته به، هي التي سدّت عليه، وهو الخطيب المصقع، وابن أخطب العرب أبواب القول فيما ينبغي أنْ يقول، أم أنّه كان قد عَمِد إلى هذا الأسلوب قاصراً، فكان في اختيار الأسلوب الخاص أبلغَ الخطباء، وأبرعهم إصابة للمناسبات، وأطولهم خطابة على اختصار الكلمات، وإيجازها[٢].

إنَّ هذا الأسلوب البليغ الفريد فيما أبّن به الحسن أباه(عليهما السلام)، كان أبلغ تأبين في ظرفه، وأليقه بهذا الفقيد، وهذه إحدى مواقفه الخطابيّة التي دلّت بموهبتها الجبارة على

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٤٨. وينظر: الإرشاد: ١٧٩.
(٢) ينظر: صلح الحسن(عليه السلام): ٥٦ – ٥٧.

نسبها القريب من جدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله)، ومن أبيه(عليه السلام)[١].

وهذا ما نجده مثلاً في رسالته إلى معاوية، ورسالته إلى زياد بن أبيه، إذ لم تتجاوز كلّ منها السطرين فالأول عندما بعث معاوية رجلين يتجسسان فكتب الحسن(عليه السلام): «**أما بعدُ، فإنّك دسست الرجال، للاحتيال والاغتيال وأرْصدت العيون كأنّك تحبّ اللقاء، وما أوشك ذلك فتوقّعه إن شاء الله، وبلغني أنّك شمتَّ بما لا يَشْمت به ذوو الحجى**»[٢]، والثاني زياد بن أبيه عندما أرسل له الحسن(عليه السلام) رسالة يدعوه فيها إلى العفو عن سعيد بن سرح، وإطلاق سراح أخيه، وامرأته، وولده، وإرجاع ماله، وبناء داره، فرفض زياد مخاطباً الحسن(عليه السلام) بخطاب منكر، وغير لائق، فكتب الحسن(عليه السلام) جواب كتاب زياد كلمتين لا ثالثة لهما: «**من الحسن بن فاطمة إلى زياد بن سمية، أما بَعْدُ، فإنَّ رسولَ اللهِ(صلى الله عليه وآله)، قال: الولد للفراش وللعاهر الحَجَر، والسلام**»[٣].

---

(١) ينظر: صلح الحسن(عليه السلام): ٥٧.

(٢) الإرشاد: ١٧٩، وينظر: شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٣١، والفصول المهمة: ١٥٣، وأعلام الهداية: ٢١٣.

(٣) أعيان الشيعة: ٢/ ٣٨١.

المبحث الثاني:

الإقناع الخطابي

من أجل الكشف عن آليات الحسن(عليه السلام) في تجلّي المعالم الإنسانية المثالية، ومدى تأثيرها في تراثه الخالد، نزعنا إلى آلية نَحْسبها مهمة في بيان معالم الإنسانية المثالية عند الحسن(عليه السلام)، وهي الإقناع الخطابي عنده عليه السلام.

ولا يخفى أنَّ مفهوم(الإقناع الخطابي) من المفاهيم المهمة لما لها من تأثير في السامعين، فهو يمثل حلقة اشتراك بين(المتكلم) المخاطِب، وبين السامع(المخاطَب)، بمعنى: عملية تواصُل واستقبال بينهما.

إنَّ هذا المفهوم يفهم من خلال ركائز ثلاث: المخاطِب(المبدع)، والخطاب(النص)، والمخاطَب(المتلقي)[1]، ومن هنا فإنَّ الوقوف على مادة(ق ن ع) في كتب اللغة، ومفردات ألفاظ القرآن يفيدنا في تصوّر هذه الركائز.

الإقناع مصدر على وزن(إفْعَال) من الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد(أقْنَعَ) على وزن(أفْعَلَ)، وفعله الثلاثي المجرّد(قَنَعَ - يَقْنَعُ).

ويبدو من أقوال اللغويين أن الدلالة الحسيّة لهذه المادة(ق ن ع) تعني المدّ، والميل، قال الخليل: «الإقناع مدّ البعيرُ رأسَه إلى الماء ليَشْرَبَ(...) والرجل يُقْنِعُ الإناء للماء

---

(١) ينظر: فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة(دراسة مقارنة في ضوء ركائز الأسلوبية: صباح عيدان العبادي، ط١، دار الفيحاء، البصرة - العراق، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م: ٢٧.

الذي يسيل من جدول، أو شِعْب، والرجلُ يُقْنِع يدَه في القُنُوت، أي: يمدُّها، فيسترحم ربّه»[١]، وقال الزَّمخشري: «وقَنَع إليه: سأله وهو من قَنَعت الماشيةُ للمرتع مالت إليه، وأقْنَعَها الرأيُّ إليه؛ لأن القانع يميل إلى الناس»[٢].

وقد انتقلت هذه الدلالة الحسيّة إلى المجرّدة، فأصبح الإقناع، والقانِع، والمُقْنِع على كُلِّ مَرْضي من القول، والفعل، فالمُقْنِعُ هو كُلّ من رُضي كلامُه، وقَوْلُه، أو رُضِي عطاؤُه ونوالُه، وترفع الرؤُوس له رضا، وقبولاً لخطابه.

والذي يهمنا من هذه المادة هو دلالة الرضا بالقول وقَبولِه والاهتمام به، وانفتاحها لتشمل هذه الركائز الثلاث، نقول: «فلان لنا مَقْنَعٌ: رِضَا يُقْنَع بقوله وقضائه، وشاهد مَقْنَع، وشهود مَقْنَع(...) وجواب مُقْنع، وسألتُ فلاناً في كذا، فلم يأتِ بمُقْنِع»[٣].

نخلص من هذا أن المتكلم(المخاطِب) هو المُقْنِع، وقوله المَرْضِي هو الخطاب، والذين يَرْضَون قوله هم السامعون(المخاطَبُون).

لذا سنحاول في هذا المبحث أن نبيّن أثر هذه الركائز الثلاث في تجلّي المعالم الإنسانية المثالية عند الحسن(عليه السلام).

أولاً: المخاطِبُ(الحسن(عليه السلام)):

المخاطب هو الشخص الذي يتبوّأ المكانة الأولى في عملية التخاطب بوصفه المنتج للنصّ، وقد تعدّدت التسميات التي تطلق على المخاطب منها الباثّ، والمتكلم، والموجّه،

(١) العين: ٣(قنع): ١٥٣١، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن:(قنع): ٦٨٦.

(٢) أساس البلاغة: ٢(قنع): ٢٧٩، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٦٨٥ – ٦٨٦، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم: ٥(قنع): ٧٣.

(٣) أساس البلاغة: ٢(قنع): ٢٧٩ – ٢٨٠. وينظر: القاموس المحيط: ٣/ ١٦.

والمتحدّث، والمصدر، والمرسِل، وعلى الرغم من تعدّد المسميات إلاَّ أن المخاطب هو المراد لما فيه من سَعة الشمول، والعموم(١).

لقد شكّل الخطابُ عند الحسن(عليه السلام) ملمحاً إعجازيّاً، وبه خلّد العطاء الإنسانيّ له، والحقُّ أنه لا يمكن فصل سلوك الإنسان عن كلامه فهما مقترنان، فقد كوّن(عليه السلام) مدرسة فكرية متميزة، قال سبط بن الجوزي: «كان الله(عز وجل) قد رزقه الفطرة الثاقبة في إيضاح مراشد ما يعانيه، ومنحه الفطرة الصائبة لإصلاح قواعد الدين، ومبانيه، وخصّه بالجِبْلة التي درّت لها أخلاف مودّتها بصور العلم، ومعانيه»(٢).

وقد تعدّدت الأصوات الناطقة في خطابات الحسن(عليه السلام) بلحاظ المقامات، وقوانين الأحوال من جهة كونه خليفة، وإماماً، وحكيماً، ومصلحاً، وناصحاً، وغير ذلك مما أضفى على تراثه الشمول، ويبدو أنَّ تعدّد هذه المقامات، والأدوار هو انعكاس للواقع الإنساني في تلك الحقبة.

ويمكن بيان ذلك من خلال أن نَفْلي تراث الحسن(عليه السلام)، فمقام الخليفة، والإمام يَتَجلّى ويشعُّ في رسالته إلى معاوية حينما دعاه(عليه السلام) بعد استشهاد أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام) إلى مبايعته وطاعته، والدخول فيما دخل فيه المسلمون، منها: «**إنَّ عليّاً لمّا مَضَى لسبيله رحمةُ الله عليه يومَ قُبض، ويوم مَنّ اللهُ عليه بالإسلام، ويوم يُبْعث حَيّاً، ولّاني المسلمون بَعْدَه، فأسأل اللهَ أنْ لا يؤتِيْنا في الدنيا الزائلة شيئاً يُنْقِصنا به في الآخرة مما عنده من الكرامة، وإنما حملني على الكتاب إليه الإعذار فيما بيني وبين الله(عز وجل) في أمرك، ولك في ذلك إنْ فَعَلْته الحظّ العظيم، والصلاح للمسلمين، فَدَعِ التمادي**

(١) ينظر: الخطاب في نهج البلاغة(دراسة موضوعيّة فنيّة): ١٥.
(٢) تذكرة الخواص: ١٨٦.

في الباطل، وادخُلْ فيما دَخَلَ فيه الناس من بَيْعَتي»[١]، ويتجلىّ في هذا الخطاب معالم إنسانية مثالية منها: دعوته إلى الدخول في الجماعة، وإصلاح المسلمين، وترك التمادي في الباطل.

وتتجلى المعالم الإنسانية المثالية عند الحسن(عليه السلام)، لاسيما التواضع، وحُبّ الآخرين، والابتعاد عن التكبر والاستعلاء، وعدم الابتداء بالقتال، في مقام كونه قائداً، وقادراً على إدارة قيادة الجيوش، ففي وصيته القيّمة إلى ابن عمّه عبيد الله بن عباس حينما ولاّه الحسن(عليه السلام) قيادة الجيش لردّ العدوان الأمويّ: «**يا بنَ العمِّ، إنّي باعثٌ مَعَك اثْني عَشَرَ ألفاً من فُرْسان العرب، وقُرّاء المِصْر الرَّجلُ منهم يزيدُ الكتيبة، فَسِرْ بهم، وألِنْ لَهُم جانبَكَ، وابْسُط لهم وَجْهَك، وافْرُشْ لهم جَنَاحَك، وأَدْنِهم من مَجْلِسِك، فإنَّهم بَقِيّةُ ثُقَاتِ أمير المؤمنين، وسِرْ بِهِمْ على شطِّ الفراتِ، ثم امْضِ حتى تستقبل بِهم معاوية، فإن لَقِيتَه فاحْتَبِسْه حتّى آتيكَ**»[٢].

ويتجلّى معلم النصح، وإرادة الخير للناس، وحبّه للوحدة والجماعة في مقام الناصح، قال(عليه السلام) في أشد المواقف، وأقساها بعدما تعرّض لمحاولة اغتيال، فقد طعنه الجرّاح بن سنان في فخذه، «**أما بعدُ، فَوَاللهِ إنّي لأرجو أن أكون قد أَصْبَحْتُ – بحمد اللهِ ومَنّه – وأنا أَنْصَحُ خَلْقَ الله لخلقه، وما أَصْبَحْتُ محتملاً على مسلم ضغينة، ولا مُريداً له بسُوء، ولا غائلة، وإنَّ ما تكرهون في الجماعة خيرٌ لكم مما تُحبون في الفُرْقة، ألاَ وإنّي ناظرٌ لكم خيراً من نَظَرِكُم لأنْفُسِكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تَرُدُّوا عليَّ رَأَي، غَفَر الله لي ولكم، وأرشدني وإيّاكم لما فيه المحبّةُ والرِّضا**»[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٦/ ٣٣ – ٣٤.

(٢) م.ن: ١٦/ ٤٠.

(٣) الإرشاد: ١٨٠، وينظر: مقاتل الطالبيين: ١٨٠.

وتتجلى الحِكم الإنسانية، والتربوية، والنظرات الصائبة في السلوك الإنساني، وكيفيّة النظر إلى الدنيا، وطرائق التعامل مع الآخرين، وبيان صفات مِمن يتخذ صاحباً وخليلاً في مقام كونه(عليه السلام) حكيماً، فقال في وصيته للصحابي الجليل جُناده بن أبي أميّة، حينما عاده، طالباً منه أنْ يعظه: «**يا جنادة، اسْتَعِد لسفرك، وحَصِّل زادَك قبل حُلول أجلك، واعْلَمْ أنّك تطلبُ الدنيا والموت يطلبك(...) واعلمْ أن الدنيا في حَلالها حِساب، وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب، فأنزلِ الدنيا بمنزلةِ المَيْتةِ(...) وإذا نازعَتْكَ إلى صُحْبة الرّجال حاجة فاصْحَب مَنْ إذا صَحِبْتَه زانك، وإذا أَخَذْتَ منه صانك، وإذا أردْت منه معونة أعانك، وإذا قُلْتَ صَدَّقَ قَوْلَك، وإن صُلْت شَدَّ صَوْلتك، وإن مَدَدْتَ يَدَك بفَضْلٍ مَدَّها، وإنْ بَدَتْ مِنْك ثُلْمةٌ سَدَّها، وإن رأى منك حَسَنةً عَدّها وإن سَأَلْتَهُ أعْطَاك، وإنْ سَكَتَّ عنه ابْتَدَأَك، وإن نَزَلتْ بِك إحْدَى المُلِمّات واساك، مَنْ لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يَخْذُلُك عند الحقائق**»[١].

ويتجلى معلم حقن الدماء في مقام كونه(عليه السلام) إماماً، وناصحاً، وحكيماً، وأخاً كبيراً للحسين(عليه السلام) في وصيته له(عليهما السلام) في الاحتياط بالدماء، وعدم الخوض في إراقتها خشية أنْ يظلم بريء بعدما دُسّ إليه السمّ حقناً للدماء[٢]، وكذلك وصيتُه إلى أخيه(عليهما السلام) أنْ يدفن عند أبيه رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فإن منعتم فلا يُهرق دمٌ، وادفنوني في مقابر المسلمين، قال العسقلانيّ: «لمّا حُضِر الحسن، قال للحسين: **ادْفِنُوني عند أبي،** يعني رسول الله(صلى الله عليه وآله) **إلاّ أن تعافوا، فإن خِفْتُم الدماء فلا تهريقوا فيّ دمّاً، ادْفنوني في مقابر المسلمين**»[٣].

---

(١) أعيان الشيعة: ٤/ ٨٥.

(٢) ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ١/ ٥٦٢، وتذكرة الخواص: ٦٢.

(٣) تهذيب التهذيب: أحمد بن علي حجر العسقلاني(ت ٨٥٢هـ) دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ:

ومن هنا فقد وظّف الحسن(عليه السلام) مكانته، ومنزلته من جهة كونه خليفة، وإماماً، وقائداً، وحكيماً، وناصحاً في الخطاب توظيفاً إنسانياً مثاليّاً، فهو يمتلك «شخصيّة الأديب المجرّب الذي يختزن الأحداث والذكريات ويغوص في أعماق النفسيّات ويُدْرك بذكائه الفروق بين الشخصيّات وعنده من قوّة الخُلُق ما يستطيعُ أنْ يكون أنموذجاً بشرياً يفكِّر على مثال الأنموذج الذهني الذي تكوّن عنده، وينطق بالأفكار والكلمات التي تؤكّد هذه الشخصيّة ويحاوُر حوار الحاذق البارع ليصل إلى الرأي والفكرة ويعبر عن اللمحة والعاطفة»[١].

إنَّ الصفات الإنسانية المثالية التي تحلّى بها الحسن(عليه السلام) وقربه من المصطفى(صلى الله عليه وآله)، وأبيه(عليه السلام) أهلته ليكون امتداداً عظيماً من المصطفى(صلى الله عليه وآله)، ومن أبيه(عليه السلام)، فأصبح له مركز تربوي وإنساني، فهو مصدر الإشعاع الرسالي بما يمتلك من معالم إنسانية مثالية.

لقد كان الحسن(عليه السلام) قائداً للمرحلة، ورجلاً سياسيّاً، وإنسانيّاً، وتربويّاً؛ لأنه امتلك أعمق الصفات، وحاز عليها، فامتلاكه لهذه الذهنية، والملكات النفسية والتاريخ الشخصي، جعلته قادراً على قيادة الأمّة، وبثّ روح الإنسانية الأصيلة فيها[٢]، قال راضي آل ياسين: «إنَّ الذين تحدّثوا عن الإمام وصلحه، فاتهم أنْ ينظروا إليه كألمع سياسيّ يدرس نفسيات خصومه، ونوازع مجتمعه، وعوامل زمنه، فيضع الخطط، ويقرّر النتائج، ويحفظ بخططه مستقبل أمة بكاملها، ويحفر بنتائجه قبور خصومه قبراً قبراً، ويَمُرّ بزوابع الزمن من حوله رسول السلام المضمون النجاح، المرفوع الرأس بالدعوة

٢/ ٥٤.

(١) دفاع عن فن القول: عبد الكريم غلّاب، مطابع دار القلم، تونس، ١٩٨٤م: ١٦٤، وينظر: الخطاب في نهج البلاغة: ١٦.

(٢) ينظر: من حياة أهل البيت: ٣١.

إلى الإصلاح، ثم يموت ولا يرضَى أنْ يهرق في أمره مِحجمة دم»[١].

إنَّ القرابة بين الحسن(عليه السلام)، وبين المصطفى(صلى الله عليه وآله) كان لها تأثير في شخصيته(عليه السلام)، وبلورة خطابه، وقد انطلق(عليه السلام) من هذه القاعدة الرحم الماسّة مع المصطفى(صلى الله عليه وآله)، الذي يمثل أُنموذجاً إنسانيّاً متكاملاً، فكان(عليه السلام) يشدِّد على هذه القرابة من أجل دعم دعوته إلى إصلاح المجتمع، والدخول في الجماعة، وترك الفرقة، وإتباع دروب الضلالة، وأهل النفاق، والبغيّ، وقد نقل لنا المسعوديّ خطبة له في أحقيته بالخلافة قال(عليه السلام): «**نحن حزبُ الله المفلحون، وعترة رسول الله(صلى الله عليه وآله) الأقربون، وأهل بيته الطاهرون الطيبون، وأحد الثقلين اللّذينِ خلّفهما رسول الله(صلى الله عليه وآله)، والثاني كتاب الله فيه تفصيل كلّ شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعوّل عليه في كلّ شيء، لا يُخْطِئنا تأويله، بَلْ نتبيّن حقائقه فأطيعونا، فإن طاعتنا مفروضةٌ إذ كانت بطاعة الله والرسول، وأولى الأمر مقرونة** ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾، **وأحذّركم الإصغاء لهتاف الشيطان إنّه لكم عدوٌّ مبين، فتكونون كأوليائه الذين قال لهم:** ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾»[٢].

وكذلك بيانُ انتسابه إلى أبيه(عليه السلام) أشجع العرب، وأمّه الطاهرة فاطمة الزهراء(عليها السلام)، عندما رَدّ(عليه السلام) عبد الله بن الزبير يوم عاتبه على سلمه مع معاوية، ننقل موضع الحاجة من قوله(عليه السلام): «**ثم تَزْعَمُ أنّي سَلَّمْتُ الأمر، فكيفَ يكون ذلك**

(١) صلح الحسن(عليه السلام): ١٩.

(٢) مروج الذهب: ٣/ ١٠ – ١١.(النساء/ من الآية ٥٩)،(النساء/ من الآية ٨٣)،(الأنفال/ من الآية ٤٨).

وَيْحَك كذلك؟!، وأنا ابنُ أشجعُ العربِ، وقد وَلَدَتْني فاطمةُ سيّدةُ نساء العالمين، وخِيْرَةُ الإماء، لَمْ أَفعلْ ذلِك جُبْناً ولا ضَعْفاً، ولكنَّهُ بايعني مِثْلُك، وهو يَطْلِبُني بتِرَةٍ، ويُدَاجيني المودّة ولم أثق بنصرته؛ لأنّكم أهلُ بيت غَدْرٍ»[1].

لقد كان الحسن في خطبه، ورسائله يعرف بنفسه، لكي يُلقيَ الحجّة على الناس، ويبين للمخاطبين أنه من ذريّة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وهو أحقّ بالإتباع، وتسلّم السلطة من غيره، فضلاً عن صفاته الإنسانية المثالية.

إنَّ الغاية من التعريف بنفسه من أجل إصلاح المجتمع، وطلب العودة، والرجوع إلى رشدها واستمالتهم لطلب العفو، والصفح، والتوبة.

إنَّ ما خلّفه(عليه السلام) من تراث فكري، وإنساني، وعلمي من خلال النصوص التي تركها لنا على شكل خطب، ورسائل، ووصايا، واحتجاجات، وأحاديث، وحكم في فروع المعرفة المختلفة، تكشف عن تنوّع اهتمام الحسن(عليه السلام)، وسَعَة علمه، وإحاطته بمتطلبات المرحلة التي كانت تعيشها الأمّة المسلمة في عصره المحفوف بالفتن، والمخاطر، والدواهي[2].

إنَّ الأهم في دراسة أحوال الحسن(عليه السلام) هو بيان الصفات السلوكية، والجوانب الإنسانية والتربوية، والإطار القيادي والسياسي الذي صدر عنه.

علينا أنْ نقف عند عنصر القيادة البشرية المتجاوزة على الحدود الزمانية، والمكانية، وكذلك علينا أنْ نبعث روح الحسن(عليه السلام) من جديد، ونجعلها وهّاجة، ساطعة، ناصعة في وجودنا، وهي روح الإسلام الأصيل.

---

(١) المحاسن والمساوئ: ١/ ٥٨ – ٥٩، وينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٣٢٣.

(٢) ينظر: أعلام الهداية: ١٩٣ – ١٩٤.

إنَّ المقام السامي، والرفيع الذي نزله الحسن(عليه السلام)، ومحبوبيته الواسعة الأبعاد، قادرة على زلزلة العرش الظالم، فالحزب المعارض الظالم كان يتوقّع زوال حكمه، وملكه في أيّة لحظة، فضلاً عن ذلك، فإنَّ الخطاب الإنساني الإصلاحي الواسع، والدعوة إلى الوحدة، والتآلف، والحوار، والحفاظ على دماء المسلمين جعلت الطرف المعارض والمعادي يخشى من الوحدة، والجماعة، والحوار، والصلاح، فهو يرغب في الفرقة، والتشتت، والانحلال.

ثانياً: فَصْلُ الخطاب:

لقد اشتملت شخصية الحسن(عليه السلام) على خصائص كثيرة، عرضنا عليها فيما سبق، لاسيما المقامات العالية السامية الرفيعة لكونه خليفة، وإماماً، وقائداً، وحكيماً، وناصحاً، وموجّهاً مما أهلّتهُ لإنتاج خطاب عالٍ جمع فيه بين الإفهام، والإمتاع.

لقد أعطى الحسن(عليه السلام) مَلَكة الخطاب؛ والقول الفصل، وعندما نَفْلِي تراثه(عليه السلام) نجد هذه الملكة حاضرة، وواضحة وقد وقفنا من قبلُ على نصوص كثيرة المتفحّص فيها، يجد هذا الأمر في جنبات تراثه سواءٌ أكان خطبة، أم رسالةً، أم وصيّة، أم حكمة وغيرها.

لقد وظّف الحسن(عليه السلام) اللغة توظيفاً بيّناً، ودقيقاً، فكانت أداة، وآلة طيّعة تستجيب له أنى شاء، ومتى أراد في المستويات كافة من أجل التأثير في المتلقي، واستمالته، وإقناعه.

وقد عدّ الفخر الرازي(ت ٦٠٦هـ) فصل الخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾(ص/ ٢٠)، صفة أعطيت لداود(عليه السلام)؛ لأنها علامة مهمة من علامات حصول القدرة والإدراك، وكون الناس مختلفين في «مراتب القدرة على التعبير عمّا في الضمير، فمنهم من يتعذّر عليه إيراد الكلام المرتّب المنتظم، بل يكون

مختلط الكلام مضطرب القول، ومنهم مَنْ يتعذّر عليه الترتيب من بعض الوجوه، ومنهم من يكون قادراً على ضبط المعنى، والتعبير عنه إلى أقصى الغايات(...) لأنّ فصل الخطاب عبارة عن كونه قادراً على التعبير عن كلّ ما يخطر بالبال، ويحضر في الخيال، بحيث لا يختلط شيءٌ بشيء، وبحيث ينفصل كُلُّ مقام عن مقام»(١)، وفي هذا إشارة واضحة، ومهمة إلى أن الخطاب يتكامل بتكامل مُنْشئه.

إنَّ المنبت، والمغرس النبويّ الذي ترعرع فيه الحسن(عليه السلام)، ورضعه من لبان حكمة المصطفى(صلى الله عليه وآله)، والملكة الخطابيّة التي وعاها من أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام) جعلته يمتلك ملكة الخطاب، والأخذ بزمام القول وجوانبه، وقد أشار أخوه الحسين(عليه السلام) إلى هذه الملكة الخطابيّة، وجذورها، حينما أبّنَ الحسن(عليه السلام)، معدّداً مناقبه، وسجاياه، وحكمته، جاء فيها: «**رَحِمك اللهُ أبا محمد، إنْ كُنْتَ لتباصُرَ الحقِّ مظانَّه، وتؤثر الله عند مداحض الباطل في مواطن التقيّة بحسن الرويّة، وتستشف جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقدة، وتقبض عليها يداً ظاهرة الأطراف نقيّة الأسِرّة،(...) ولا غرو وأنت ابن سلالة النبوة، ورضيع لِبان الحكمة، فإلى روح، وريحان، وجنّة نعيم، أعظم اللهُ لنا، ولكم الأجر، ووهب لنا، ولكم السلوة، وحسن الأسى عنه**»(٢).

ومن الجليّ أن هذا النصّ التأبيني قد جسّد نمطاً واقعيّاً ينسجم مع واقع الحسن(عليه السلام)، إذ ذكر جانباً من مناقبه، وسجاياه، وصبره العظيم على مفاتن الدنيا،

---

(١) التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد الرازي: ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م: ٢٦/ ١٨٧ - ١٨٨، وينظر: فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة: ٢٢.

(٢) عيون الأخبار: ابن قتيبة: شرح وضبط وتقديم يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م: ٢/ ٢٣٨ - ٢٣٩.(مَدَاحِض مَزَالِق)، والأسِرّة جمع سِرار وتعني خطوط الكفّ، والجبهة، وجمع الجمع أسارير، وينظر: مختار الصحاح:(سَرر) ٢٩٥.

وغرورها، وحلمه الواسع على مكر أعدائه، وقد نهضت بتلك الدلالات المتقدّمة، عبارات النص المشعّة[١].

وقد اعترف ألدُّ خصومه بهذه الملكة الخطابيّة، انظر إلى تقريظ معاوية له في خواتيم المشاجرات التي كان يثيرها عليه في مجالسه، وإلى إطّرائه إيّاه في مناسبات أخر لا تتصل بهذه المشاجرات، قال اليعقوبي: «وقال معاوية: ما تكلّم عندي أحدٌ كان أحبَّ إليّ إذا تكلّم أنْ لا يسكت من الحسن بن عليّ»[٢].

وكان الحسن(عليه السلام) مما لا تطاق عارضته، وكان معاوية يخاطب مروان بن الحكم قد كُنت نهيتُك عن هذا الرجل، وأنت تأبى إلا انهماكاً فيما لا يعنيك، وقال له: «لا تجار البحار. فتغمرك، ولا الجبال فتبهرك، واسترح من الاعتذار»[٣]، وقال خير الدين الزركليّ: «كان عاقلاً حليماً محبّاً للخير، فصيحاً من أحسن الناس منطقاً، وبديهة(...) كان معاوية يوصي أصحابه باجتناب محاورة رجلين هما الحسن بن علي، وعبد الله بن عباس لقوة بداهتهما»[٤].

إن هذه الملكة الخطابية العالية وظّفها الحسن(عليه السلام) في تجلّي المعالم الإنسانية المثالية في تراثه أجمع، وقد كفتنا النصوص التي ذكرناها من قبل مؤونة الاستشهاد بها، وقد ألمح سبط بن الجوزي إلى أثر هذه الآلية المهمة في تجلّي معالم الإنسانية المثالية عنده(عليه السلام) لاسيّما في إصلاح الدين، والمجتمع، فقال: «كان اللهُ(عز وجل) قد رزقه الفطرة الثاقبة في

(١) ينظر: أدب الإمام الحسين(عليه السلام) قضاياه الفنيّة والمعنوية: ١٥٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٥٨، وينظر: صلح الحسن(عليه السلام): ٢٠١ – ٢٠٢.

(٣) صلح الحسن(عليه السلام): ٢٠٤.

(٤) الأعلام(قاموس تراجم): خير الدين الزركلّي، ط١٧، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ٢٠٠٧م: ٢/ ١٩٩.

إيضاح مراشد ما يعانيه، ومنحه الفطرة الصائبة لإصلاح قواعد الدين ومبانيه، وخصّه بالجِبْلة التي درّت لها أخلاف مودّتها بصور العلم ومعانيه»[١].

وقد أشار طه حسين إلى أن الحسن(عليه السلام) قد أُوتي الفصاحة، واللسن، وفصل الخطاب، وإنّه «قد خطب الناس غير مرّة في حياة أبيه، وبعد وفاته، فلم يعرف منه عيّاً أو حصراً، وهو بعد ذلك أو قبل ذلك من أهل بيت لم يعرَفوا قطّ بعيّ أو حصر، وإنما كانوا معدن الفصاحة، واللسن، وفصل الخطاب، وقد خطب الحسن فقال: خير ما كان يمكن أنْ يقال، وأصدق ما كان يمكن أنْ يقال أيضاً: قال: «**أيُّها الناس إنَّ أكْيَسَ الكَيْس التقي، وأحمق الحُمْق الفجور، إن هذا الأمر الذي سلّمته لمعاوية إما أنْ يكون حقّ رجل كان أحقّ به منّي فأخذ حقّه، وإمّا أن يكون حقّي، فتركتُه لصلاح أمّة محمد، وحقن دمائها، فالحمدُ لله الذي أكرم بنا أوّلكم، وحقن دماء آخركم**»[٢].

لقد عالج الحسن(عليه السلام) الأوضاع التي دارت حوله بما أُوتي من «الحكمة البالغة، والحُنْكَة الموهوبة متدرّجاً معها من البداية إلى النهاية لا يستسلم للغضب، ولا يتأثر بالعاطفة، ولا يستكين للحوادث، ولا يتقلقل للمربكات، ولا تهزه إلاّ نُصرة الدين، وكلمة القرآن، ودعوة الإسلام(...) وكان من حلاوة حديثه وسرعة بديهته، وقوّة حجّته، وهيبته، وحِلمه، وحجاه، ما شَهِد به أعداؤُه، فضلاً عن أصدقائه»[٣].

وعلى الرغم من امتلاك الحسن(عليه السلام) هذه الملكة الخطابيّة، وفصل الخطاب، إلاّ أن الأمويين أرادوا أن يلصقوا به(عليه السلام) تهمة جديدة، وهي(الحَصْر والعِيّ) وهما من عيوب المتكلم، ونعني بهما: التلجلج في الكلام، والإرتجاح في الخطاب، وعدم القدرة

(١) تذكرة الخواص: ١٨٦.
(٢) الفتنة الكبرى: ٢/ ١٨٥. وينظر: كشف الغمة: ٢/ ١٩٣ – ١٩٤.
(٣) صلح الحسن(عليه السلام): ٢٠١.

على الكلام، وضبطه إن تمكّن منه، وجعلهما الزمخشري بمعنى واحد، قال: «حَصِر في كلامه، وفي خطبته: عَيّ»[١].

وقد نفى الحسن(عليه السلام) هذه التهمة من قبل، رادّاً إياها، فبعد قبوله السلم، والهدنة مع معاوية بالشروط التي أملاها(عليه السلام) على معاوية، عاتبه عبدُ الله بن الزبير عتاباً شديداً قائلاً له(عليه السلام): فما أدري ما الذي حملك على ذلك؟ أضعفُ في الرأي، أم وهن نَحِيزة(طبيعة)، فأجاب الحسن(عليه السلام): «**أمّا واللهِ لولا أنَّ بني أميّة تَنْسِبُني إلى العَجْز عن المقال، لَكَفَفْتُ عنك تهاوُناً، ولكن سأبيّن لك ذلك لتعلم أنّي لَسْتُ بالعَيِيّ، ولا الكليل اللّسان، إيّاي تعيّر، وعليّ تفتخر، فزوجته صفيّة بنت عبد المطلب، فبذخ على جميع العرب بها، وشرف مكانها، فكيف تفاخر مَنْ هو في القلادة واسطتها، ومن الأشراف سادتها، نَحنُ أكرمُ أهل الأرض زَنْداً، لنا الشرفُ الثاقبُ، والكرم الثاقب**»[٢].

وأصل هذه التهمة فيما يبدو أبو الفرج الأصفهاني قال: «وكان في لسان الحسن بن علي ثقل كالفأفأة(...) حدّثنا مفضل بن صالح بن جابر، قال: كانت في لسان الحسن رُتَّة، فقال: سلمان الفارسيّ: أَتَتْه من قِبَل عمّه موسى بن عمران (عليه السلام)»[٣]، ولا أعلم ما مصدر رواية الأصفهاني هذه، ومن أين تأتي هذه الرُّتّة العُجْمة في كلامه(عليه السلام)؟!، وقد رُضِع من لبان حكمة المصطفى(صلى الله عليه وآله)، ونَهِل من مناهل الفصاحة والبلاغة.

---

(١) أساس البلاغة:(عَيّ)/ ١٧٧. وينظر: الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م: ١٣١.

(٢) المحاسن والمساوئ: ١/ ٥٨ – ٥٩، وينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٣٢٣.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٤٩ – ٥٠.(الرُّتَّة بالضم العُجْمة في الكلام، ورجلٌ أَرَتّ بينّ الرَّتَت، وفي لسانه رُتّة) مختار الصحاح:(رتت): ٢٣٢.

ويظهر من خلال النصوص التي وقفنا عليها في هذا الباب أن بَطَل هذه الروايات هو عمرو بن العاص بن وائل، قال المسعوديّ: «ولمّا صالح الحسن معاوية لما ناله من أهل الكوفة، وما نزل به، أشار عمرو بن العاص على معاوية وذلك بالكوفة أن يأمرَ الحسن فيقوم، فيخطب الناس، فكَرِه ذلك معاوية، وقال: ما أريد أنْ يخطب بالناس، قال عمرو: لكن أريد أنْ يبدو عِيُّهُ في الناس بأن يتكلّم في أمور لا يدرى ما هي، ولم يزل به حتّى أطاعه، فخرج معاوية فخطب الناس، وأمر رجلاً أنْ ينادي بالحسن بن علي، فقام إليه، فقال: قُم يا حسن، فكلّم الناس، فقام، فتشهّد في بديهته ثم قال: **أما بعدُ، أيها الناس، فإنَّ اللهَ هداكم بأوّلنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإنَّ لهذا الأمر مدّة، والدنيا دُوَل، قال الله(عزّ وجلّ) لنبيّه محمد**(صلى الله عليه وسلم)**، قل:** ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ (١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾، ثم قال في كلامه ذلك: **يا أهل الكوفة، لو لم تُذْهَل نفسي عنكم إلاّ لثلاث خصال لذُهِلْتُ: مقتلُكم لأبي، وسلبكم ثقلي، وطعنكم في بطني**»[1].

ولا يخفى ما في هذه الرواية من دليل واضح، وبرهان ساطع، على ملكة الحسن(عليه السلام) الخطابية، وتمكنه من بلاغة القول.

وقد عاب معاوية عمرو بن العاص على رأيه هذا، قال سبط بن الجوزي: «عندما وقع الصلح سار معاوية فدخل الكوفة فأشار عليه عمرو بن العاص أنْ يأمر الحسن أنْ يخطب، ليظهر عيّه، فقال له: قم فاخْطُبْ، فقام وخطب، فقال: **أيّها الناس، إن الله قد هداكم بأوّلنا، وحقن دماءكم بآخرنا، ونحن أهل بيت نبيّكم أذهب اللهُ عنا الرّجس،**

(١) مروج الذهب: ٣/ ٩ – ١٠، وينظر: الكامل في التاريخ: ٣/ ٢٠٨.(الأنبياء/ ١٠٩ – ١١١).

وطهّرنا تطهيراً، وإنَّ لهذا الأمر مدّة، والدنيا دول، وقد قال الله تعالى لنبيّه محمد(صلى الله عليه وآله): ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾، فضجّ الناس بالبكاء، فالتفت معاوية إلى عمرو، وقال: هذا رأيك، ثم قال للحسن: حَسْبُكَ يا أبا محمد(...) وفي وراية أنه قال: «**نحن حزب الله المفلحون، وعترة رسوله المطهّرون، وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلّفهما رسول الله(صلى الله عليه وآله) فيكم، فطاعتنا مقرونة بطاعة الله:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، **وإن معاوية دعانا إلى أمرٍ ليس فيه عزّ ولا نَصَفَة، فإن وافقتم رددْنا عليه، وخاصمناه إلى الله تعالى، بظُبا السيوف، وإن أبيتم قَبِلْناه، فناداه الناسُ من كلّ جانب البقية البقية**»[1].

إنَّ طلب معاوية من الحسن(عليه السلام) اعتلاء مِنصة الخطابة؛ ليبين للناس قبوله بالسلم، كان بإشارة عمرو بن العاص، ليظهر للناس بحسب زعمه عِيّ الحسن(عليه السلام) وحَصْره، وعدم مقدرته على الخطاب، وقد انبرى الحسن(عليه السلام) إلى أعواد المنبر، والناس كلّهم أُذُن صاغية، وهم ما بين راغب، وراغم، فخطبهم خطبة طويلة كانت في منتهى البلاغة، والبيان، وعظ فيها الناسَ، ودعاهم إلى الألفة والمحبّة، وصوّر فيها الأحداث الرهيبة التي جرت على أهل البيت بعد وفاة المصطفى(صلى الله عليه وآله)[2].

ولا تعجب أيها القارئ العزيز من تصرّف عمرو بن العاص، وعمله هذا، فكان محبّاً للفتنة، والسلطة، والإمارة، وعُرف بمكره، ودهائه، وقد صرّح عباس محمود العقاد بذلك الأمر أكثر من مرّة تبعاً للروايات التي وقف عليها في كتابه(عمرو بن العاص)، منها ما له علاقة بأحداث مقتل الخليفة عثمان بن عفان، قال: «وترك الفتنة، وآوى إلى

(١) تذكرة الخواص: ٧٤.(الأنبياء/ ١١١)،(النساء/ من الآية ٥٩).

(٢) ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٢٥٩.

مينائه بفلسطين، يتلقّى الركبان ويسأل منهم كلَّ عابر ينفعه سؤاله، فمر به راكب من المدينة فاستخبره خبر عثمان، فقال: محصور: ثم أعقبه آخر، فقال: قُتل عثمان، فيروي رواة الخبر أنه صاح يومئذ: أنا أبو عبد الله إذا نَكَأتُ قُرْحةً أدْمَيْتُها(...) والله إنّي كُنْت أَلْقَى الراعي فأحرِّضه على عثمان»(١).

وكان متجاسراً على الخلفاء لاسيّما الثاني، والثالث، فقد «أرسل إليه عمر بن الخطاب من يحاسبه، ويشاطره ماله، غضب، وقال للرسول: قبّح اللهُ زماناً عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل، والله، إني لأعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الحَطب، وعلى ابنه مثلها، وما منهما إلاَّ في نَمِرَة لا تبلغ رُسْغَيه، والله ما كان العاص ابن وائل يَرْضى أنْ يلبس الديباج مُزَرَّراً بالذهب»(٢)، ولما عزله «عثمان من ولاية مصر دعاه فأنّبه، وقال له: استعملتُك على ظُلْمك، وكَثْرة القالة فيك، فقال عمرو، قد كنت عاملاً لعمر بن الخطاب، ففارقني وهو عني راضٍ، واحتدم الجدل بينهما، فهمَّ عمرو بالخروج مغضباً، وهو يقول: قد رأيتُ العاص بن وائل، ورأيتُ أباك، فوالله للعاص كان أشرف من عفان، فما زاد عثمان على أن قال: ما لنا ولذكر الجاهلية»(٣).

وقد ذكر العقاد رواية في نسبه مؤكداً إياها تأنَفُ هذه الدراسة من ذكرها؛ لما فيها خدش للحياء، وخروج عن الجوّ العام لهذه الدراسة، التي تخصّ الإنسانية المثالية لسبط المصطفى(صلى الله عليه وآله)، وغرسه، وبرعه، الطهر الطاهر سيّد شباب أهل الجنة، الحسن بن عليّ(عليهما السلام).

---

(١) عمرو بن العاص: عباس محمود العقاد: ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٩٦٩م: ٢٦.

(٢) م.ن: ١٤.(نَمِرَة: جبّة من صوف يلبسها الأعراب

(٣) عمرو بن العاص: ١٤ – ١٥.

ثالثاً: الاهتمام بالمتلقّي:

إنَّ الاهتمام بالمتلقّي(السامع) ضرورة في عملية تشكيل الخطاب، فمفهوم الخطاب مؤسس على عملية الفهم، والإفهام، وتتبيّن مدى قوة اللحمة بين الفهم، والخطاب، ومن هنا يكون الخطاب مجموعة من القيم الدلالية المندرجة في سياق معين، قصد به مبدعه إفهام المتلقّي، سواء أكانت هذه القيم إشارة، أم علامة، أم لفظاً[1].

إنَّ إقناع المتلقي(المخاطَب)، واستمالته من خلال الاهتمام به، والدأب على إيصال الفكرة له هي سمة واضحة في الخطاب الحسني، فإنَّ الحسن(عليه السلام) قد اهتم بوجود المتلقي، وعَمِل على إقناعه، وحجاجه، والتأثير به في مستويات الحال كافة.

إن الخطاب الحسنيّ كان يرمي إلى هداية المتلقي، ونجاته من المهلكة، والفوز بجنة الآخرة، فضلاً عن ذلك الدعوة إلى إصلاحه خاصة، وإصلاح المجتمع الذي يحوي جمّاً غفيراً من المتلقين أصحاب الفهوم المتفاوتة، وكذلك إلى لزوم الجماعة والعُصبة، وترك الخلافة والفرقة، والدعوة إلى التواصُل والتحابُب والتوادد، والتعايش، وهجران التباغُض، والتدابُر والتناحُر.

هذه الدعوات الإنسانيّة وغيرها، كانت مزايا تُلْمح في هذا التراث الإنساني الخالد، فكان الحسن(عليه السلام) يجعل المتلقي في دائرة النص التأثيرية، لا يغيب عنه طرفة عين، فهو أمامه دائماً، وهذا ما يَبينُ، ويوضّح القيمة البلاغيّة في عملية التواصُل، والإبلاغ.

إنَّ الإسلوب هو قوة ضاغطة يسلّطها المتكلم على المخاطب، بحيث يسلبه حرية التصرّف إزاء هذه القوّة، فكأنّ الأسلوب أصبح بمثابة قائد لفظي للمتلقي، «هذه القوة الضاغطة تتمثّل فيها عملية الإقناع بوسائلها العقلية، التي من خلالها يُسْلم المتلقّي

(١) ينظر: فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة: ٢٥ – ٢٦.

قياده للفكرة الموجّهة إليه، كما تتمثّل فيها عملية الإمتاع التي تلوّن الكلام بكثير من المواصفات العاطفية، الوجدانية، بحيث تكون هناك مزاوجة بين الجانب الإقناعي، والجانب الإمتاعي، كما تتمثّل فيها ثالثاً عملية الإثارة، التي بها يوقِف المبدع المشاعر التي كانت مختزنة عن المتلقّي أو يجمِّدها تمهيداً لإحلال انفعالات جديدة، مُسبَّبة عن الطاقة الفكرية والعاطفية الموجّهة إليه»[1].

إنَّ المتأمّل والمدقق في تراث الحسن(عليه السلام) أجمع، يجد الاهتمام بالمتلقّي، وإثارته، ومراعاته حاضراً حضوراً واضحاً، فلا نعدم وجود هذا الأمر في أغلب تراثه، بدءاً من إيفاده في زمن أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام) إلى أهل الكوفة يدعوهم إلى نصرة إمامهم وخليفتهم في البصرة، وكان أبو موسى الأشعري والياً على الكوفة، فأخذ الحسن(عليه السلام) يجدّ في تحفيز الناس، وإثارتهم للجهاد، وحضهم إلى الخروج إلى البصرة لنصرة أبيه(عليه السلام) منها ما قال لهم: «**أيُّها الناسُ، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنَّه سَيُوْجَدُ لهذا الأمر من يَنْفُرُ إليه، واللهِ لَئِن يَلِيَه أولو النُهى أمثل في العاجلة، وخير في العاقبة، فأجيبوا دَعْوَتنا، وأعينونا على ما ابْتَلَيْنا به، وابْتَلَيْتُم**»[2]، وقال أيضاً(عليه السلام): «**وهو يسألكم النصر، ويدعوكم إلى الحقّ، ويأمركم بالمسير إليه، لتؤازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه، ومَثّلُوا بعماله، وانتهبوا ماله، فأشخصوا إليه رحمكم الله، فمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، واحضروا بما يحضر به الصالحون**»[3]، وانتهاءً بوصيته إلى أخيه الحسين(عليه السلام)، وهو يجود بنفسه

---

(١) البلاغة والأسلوبيّة: محمد عبد المطلب: ط٤، الشركة المصرية العالمية(لونجمان)، مصر، ١٩٩٤: ٢٣٥ – ٢٣٦.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٤٩٩.

(٣) أعيان الشيعة: ٢/ ٣٦٩.

يدعوه(عليه السلام) فيها إلى حقن الدماء، والاحتراز والاحتياط منها، ودفنه بجوار جدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله)، وإن منع فالبقيع، قال ابن رستم الطبري: «ولما حضرته الوفاة قال لأخيه: **إذا مُتُّ فغسّلني، وحنّطني، وكفّني، وصلِّ عليّ، واحملني، إلى قبر جدّي حتى تَلْحَدَني إلى جانبه، فإن منعت من ذلك، فبحقّ جدّك رسول الله، وأبيك أمير المؤمنين، وأمّك فاطمة وبحقّي عليك إن خاصمك أحدٌ رُدّني إلى البقيع، فادفني فيه، ولا تهرق فيّ مِحجمة دمٍ**»[1].

إنَّ الضغط الذي يسلّط على المتلقّي، ويؤثّر في إدراكه، ويحرّك فكره، وشعوره يكون من خلال الطاقات التعبيرية، والأسلوبية الضاغطة التي تؤثّر تأثيراً واضحاً، وقويّاً على المتلقي، وكلّما تعدّدت المفاجآت في الأسلوب زادت القوة الضاغطة، وتكاثرت ردود الفعل[2].

إنَّ تكثيف هذه الطاقات التعبيريّة في الخطاب، جاءت من أجل المتلقي، ومحاولة استمالته، وإثارته، والتأثير فيه، ومن هنا فقد تباينت الأساليب التركيبيّة في الخطاب الحسنيّ، وفاقاً لدواعٍ دلاليّة، وغايات إفهاميّة، فالحسن(عليه السلام) كان حريصاً على إيصال أفكاره، ومنهجه، ومعرفته، إلى المتلقّين؛ من أجل إثارتهم، وشد أذهانهم، واستشعار نفوسهم، وقلوبهم.

وليس غرض هذه الفقرة(الاهتمام بالسامع) هو دراسة تراث الحسن(عليه السلام) دراسة أسلوبية، لكن الغاية بيان أثر الطاقات التعبيرية، وتباين الأساليب التركيبية في تجلّي المعالم الإنسانية المثالية عنده(عليه السلام).

---

(١) دلائل الإمامة: ٦١.

(٢) ينظر: البلاغة والأسلوبية: ٢٤٠ – ٢٤١.

إنَّ أهمّ هذه الطاقات التعبيرية، والأساليب التركيبية التي نلمحها في خطاب الحسن(عليه السلام) من أجل شدّ انتباه المتلقي، وإثارته، والتواصل معه هو أسلوب الأمر، لاسيما صيغته الرئيسة(افْعَل)، والنداء، والتكرار الدلالي.

إنَّ أوّل ما عنانا من هذه الطاقات التعبيرية، هو الأمر وهو «صيغة تستدعي الفعل، أو قولٌ يُنبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء»[1]، ودلالة الأمر الرئيسة هي الطلب، ونلمح هذه الطاقة من رسالة الحسن(عليه السلام) البليغة الطويلة إلى معاوية، وقد دعاه فيها إلى قيم إنسانية مثالية منها إصلاح المجتمع، وحفظه من خلال مبايعته، والدخول في الجماعة، وعدم التمادي في البغي والجور، فنجد الأفعال الأمرية حاضرة حضوراً جليّاً، ننقل منها مقطعاً لبيان هذا الملمح الأسلوبي، قال(عليه السلام): «**فدعِ التمادي في الباطل، وادخُلْ فيما دَخَل فيه الناس من بيعتي، فإنّك تَعْلَمُ أنّي أحقّ بهذا الأمر منك عند الله، وعند كلّ أوّابٍ حفيظ، ومَنْ له قَلْبٌ مُنِيبٌ، واتَّقِ اللهَ ودَعِ البغي، واحْقِن دِماءَ المسلمين، فواللهِ ما لك خَيْرٌ في أنْ تَلْقَى اللهَ من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به، وادْخُلِ في السِّلم والطاعة ولا تنازع الأمرَ أهْلَه، ومَنْ هُوَ أحقّ به منك لِيُطْفئَ اللهُ النائرة بذلك، ويجمع الكلمة، ويصلحَ ذات البين، وإن أنت أبيت إلاَّ التماديَ في غيِّك سِرْتُ إليك بالمسلمين، فحاكمتُك حتى يحكمَ اللهُ بيننا وهو خيرُ الحاكمين**»[2]، فالأفعال الأمرية [دَعْ(تكرّر مرتين)، ادْخُلْ(تكرّر مرتين)، اتّقِ، احْقِنْ]

(١) الطراز(المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز): يحيى بن حمزة العلويّ: مراجعة وضبط وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين، ط١/ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م: ٥٣٠.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٦/ ٣٤.

طاقات تعبيريّة تؤثر في المتلقّي، وتجعله شريكاً رئيساً في الخطاب، قال راضي آل ياسين: «فلا عجب إذا جاء كتاب الحسن هذا صريحاً في تهديده، شديداً في وعظه، قويّاً في لغته الآمرة الناهية»(١).

وتشتدّ هذه الطاقة التعبيريّة في وصيته البليغة الذهبيّة إلى الصحابي جُناده بن أبي أمية، وهو(عليه السلام) في أشدّ الأحوال وأقساها حينما دُسّ السمُّ إليه، قال(عليه السلام): «**يا جنادةُ، استعِدَّ لِسَفَرِكَ، وحَصِّلْ زادَكَ قَبْلَ حُلولِ أجَلِك، واعْلَمْ أنَك تطلبُ الدنيا والموت يَطْلُبُك، ولا تَحْمِلْ هَمّ يومِكَ الذي لم يأتِ على يومك الذي أنت فيه، واعْلَم أنّك لا تَكْسِبُ من المال شيئاً فوق قُوّتك، إلاّ كُنتَ فيه خازناً لغيرك، واعلمْ أن الدنيا في حلالها حِسابٌ، وفي حَرامِها عقاب، وفي الشبهات عِتاب، فَأنْزل الدنيا بمنزلة المَيْتَةِ، خُذْ منها ما يكفيك، فإن كان حلالاً كُنتَ قَدْ زَهِدْت فيه، وإن كان حراماً لم يكن فيه وِزْرٌ فأخذت مِنْه كما أخَذْتَ من المَيْتَة، وإن كان العقابُ فالعقابُ يسير، واعمل لِدُنياك كأنّك تعيش أبداً، واعْمَل لآخرتك كأنّك تموتُ غداً، وإذا أردْت عِزّاً بلا عَشِيرةٍ، وهيبةً بلا سُلطان، فاخْرُج من ذُلّ معصية اللهِ إلى عِزّ طاعة الله(عزوجل) وإذا نازعَتْك إلى صُحْبة الرّجال حاجةٌ، فاصْحَبْ مَنْ إذا صَحِبْتَهُ زانك**»(٢)، فاحتشاد الأفعال الأمرية، وهي [اسْتَعِدْ، وحَصِّلْ، واعْلَمْ(تكرر خمس مرات)، وأنْزِلْ، وخُذْ، واعْمَلْ(تكرّر مرّتين)، واخْرُجْ، واصْحَبْ] في الخطاب الحسنيّ غايته الاهتمام بالمتلقي، ومحاولة جَذْبه، وشدّه، واستثارته، فضلاً عن ذلك الوصول إلى أعلى درجات التوصيل، والاستقبال.

أما النداءُ، فكثير الدوران في خطابه(عليه السلام)، والمقصد من النداء هو «لفت نظر المنادى، وتنبيهه على الأمر الذي يلي النداء، بمعنى أنَّ النداء فتحٌ لمجالات الخطاب،

(١) صلح الحسن(عليه السلام): ٨٣.
(٢) أعيان الشيعة: ٤/ ٨٥.

أي أنّه سعيٌ قَبْلي، أو محاولة لتهيئة المخاطَب إلى المباشرة الخطابية بين طرفي الخطاب، سواء أينتقل المخاطَب إلى ساحتك، أو بالتحرّك نحو ساحة المخاطَب»(١)، وقد استعمل الحسن(عليه السلام) حرف النداء(يا) وهو لنداء البعيد لتوصيل كلامه، وتنبيه المتلقّي على ما يراد منه، وقد تعدّد المنادون في خطاب الحسن(عليه السلام)، لاسيما نداؤُه إلى الناس من خلال تركيب(يا أيُّها الناسُ)، وكذلك نداؤُه إلى مَن يريد تنبيهه، وإثارته، من نحو:(يا أبا موسى)، و(يا معاويةُ)، و(يا حِجْرُ)، و(يا عَدِيُّ)، و(يا أبا سعيدُ)، و(يا جُنادة)، و(يا مُحَمّدُ)، و(يا حُسينُ)، وغيرها، وقد جاءت هذه النداءات في خطابه(عليه السلام)، وقد ذكرنا النصوص التي وردت فيها من قبلُ، نضربُ صفحاً عن ذكرها خشية الإطالة والإطناب.

ومن الطاقات التعبيرية، والشحنات الأسلوبية التي كان لها حضورٌ واضح في تراثه(عليه السلام) هو التكرار الدلالي، سواءٌ أكان على مستوى تكرار الألفاظ، أم على مستوى تكرار الموقف، فالمستوى الأول، وهو تكرار الألفاظ جاء من أجل دلالة التوكيد، والإفهام وهي الدلالة الرئيسة بل(أم الدلالات) للتكرار.

إنَّ التكرار الذي نلمحه في خطاب الحسن(عليه السلام) في تراثه أجمع سواءٌ أكان خطبة، أم رسالة، أم وصيّة، أم حكمة كانت له دلالاته، وتجلياته من خلال الدعوة إلى أمر مهم، أو الإشارة إلى قضيّة ملحة، أو تقدير موقف، أو عرض فكرة وغيرها، فالحسن(عليه السلام) في تكراره هذا أراد التأثير الخطابي في المسلمين.

فالتكرار اللفظي من خلال إعادة الألفاظ تُعلي من المضمون، وتنزع إلى الشدّ نحو الفكرة، والقضية، فتوكيد الحسن(عليه السلام) كونه من بيت النبوة، في خطبته «حين قتل أبيه

---

(١) الخطاب في نهج البلاغة: ١٠٥.

علي(عليه السلام)، فَحمِد الله، وأثنى عليه ثم قال:(...) **أَيُّها الناس مَنْ عرفني فقد عرفني، ومَنْ لم يَعْرِفني، فأنا الحسنُ بن عليّ، وأنا ابنُ النبيّ، وأنا ابنُ الوصيّ، وأنا ابنُ البشير، وأنا ابنُ النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله، والسراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل يتنزل فينا ويصعد من عندنا**»[1]، فقد تكرّر ضمير المتكلم(أنا) سبع مرات، وهذا التكرار اللفظي غايته التأثير في المتلقّين، ومحاولة زرع عامل التحليل، والتفسير في نفوسهم، والوصول بهم إلى أعلى درجات الفهم والإفهام.

ويتجلّى تكرار المواقف في تراثه(عليه السلام) لاسيّما موقف توكيد نسبه الطاهر، وموقف توكيد أحقيته بالخلافة، وموقف توكيد دعوته إلى السلم والدخول في الجماعة، وموقف توكيد الإصلاح، وحقن الدماء، وهي مواقف إنسانية مثالية هدفها التأثير في المتلقّين، وشدّهم نحو الفكرة، والقضية التي يريد(عليه السلام) إيصالها.

ومما له علاقة بدراستنا هو تكرار موقف السلم، ولزوم الجماعة، وتكرار موقف الإصلاح وحقن الدماء، ولا يخفى الترابط الوثيق بين الموقفين، موقف السلم ولزوم الجماعة، وموقف إصلاح المجتمع، وحقن دماء المسلمين، ويظهر هذا الترابط في رسالة الحسن(عليه السلام) البليغة الطويلة لمعاوية، وقد ذكرناها من قبل، منها «**فدع التمادي في الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي(...) واتّقِ اللهَ ودَعِ البغي، واحقن دماء المسلمين(...) لِيُطفِئ اللهُ النائرة بذلك(...) ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين**»[2]، ويتكرّر هذان الموقفان في خطبته الطويلة البليغة التي خطبها بعد سلمه مع معاوية، قال(عليه السلام): «**أَيُّها الناسُ، إنَّ أَكْيَس الكَيْس التُّقَى، وأَحْمَق الحُمْقِ الفجور، والله لو طَلَبْتُمْ ما بين جَابَلْق وجَابَرْس رَجُلاً جَدُّه رسول الله(صلى الله عليه وآله) ما وَجَدْتمُوهُمْ غَيْري، وغَيْر**

(١) الذرية الطاهرة: ١٠٨.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٣٤.

أخي الحُسين، وقَدْ عَلِمْتُم أنَّ الله هَدَاكم بِجَدّي محمدٍ، فَأَنْقَذَكم به من الضلالة، ورفعكم به من الجَهَالة، وأعَزَّكم بعد الذلّة، وكَثَّرَكُمْ به بَعْدَ القِلّة، وإن معاوية نازعني حقّاً هو لي دونَه، فنظرتُ لصلاح الأمّة، وقَطْع الفتنة وقد كنتم بايعتموني على أنْ تسالموا من سالمت، وتُحاربوا من حاربْتُ، فَرَأَيْتُ أنْ أسالم معاوية، وأضعُ الحربَ بيني وبينه، وقد بايَعْتُه، ورأيْتُ أنَّ حَقْنَ الدماء خيرٌ من سفكها، ولم أرِدْ بذلك إلاَّ صلاحكم، وبقاءكُمْ ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾»[١].

ويشتدّ هذان الموقفان، ويتعالان في ردّه(عليه السلام) أصحابه بعدما عُوتب من قبلهم؛ بسبب قبوله السلم والهدنة مع معاوية منها ردّه على المسيّب بن نجبة، قال(عليه السلام): «**يا مسيَّب، إنّي لو أردْتُ بما فَعَلْتُ الدنيا، لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء، ولا أثبت عند الحرب منّي، ولكن أردْتُ صلاحكم وكفَّ بعضَكم عن بعضٍ فارضَوا بقدر الله، وقضائه حتى يستريح بر، ويستراح من فاجرٍ**»[٢]، واسْمَع إلى كلامه(عليه السلام) إلى عَدِيّ بن حاتم: «**يا عَدِيُّ، إنّي رأيْتُ هَوَى مُعْظَم الناس في الصُّلح، وكَرِهوا الحرب، فلم أحِبَّ أن أحْمِلَهُم على ما يكرهون، فصالحت بقياً على شيعتنا من القتل فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإنّ الله كُلّ يوم في شَأن**»[٣].

ويتكرر موقف الحفاظ على المجتمع، وحقن الدماء في آخر لحظة من حياته المطهّرة، في وصيته لأخيه الحسين(عليهما السلام)، وقد تضمّنت أمرين مهمين، الأول: إخفاء اسم الشخص الذي سمّه حقناً للدماء، وخوف الفتنة، والثاني: عدم الإصرار على دفنه بجوار جدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله) إن مُنع خوفاً من الفتنة، وحقناً لدماء المسلمين، والحفاظ

---

(١) كشف الغمة: ١/ ٥٣٤.(الأنبياء/ ١١١).

(٢) أعيان الشيعة: ٢/ ٣٧٧ – ٣٧٨، وينظر: تاريخ دمشق: ٢/ ٢٢٥.

(٣) حياة الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام): ٢/ ٢٧٠ – ٢٧١.

على الجماعة الصالحة، وقد نقلنا النصوص بهذا الشأن من قبلُ.

ولابد من الإشارة الى أن الحسن(عليه السلام) قد استعمل في خطابه أسلوب التعليل، والمحاججة، فضلاً عن ذلك الاستشهاد بكلام الله(عزّ وجلّ)، وقد بيّننا ذلك من خلال النصوص التي ذكرناها في الفصل الأول في مبحث أثر القرآن الكريم في رسوخ إنسانية الحسن(عليه السلام) المثالية في فقرة استشهاده بالنصوص القرآنية.

وبذلك نختم هذا المبحث، وهو خاتمة هذا الفصل الأخير من الدراسة.

الخاتمة

الخاتمة

بعد هذه المسيرة البحثية في رحاب إنسانية سبط النبي(صلى الله عليه وآله) المثالية، لابد من لململة نتائج هذه الدراسة من أجل رسم صورة واضحة، ومتكاملة لها.

إن أهمّ ما توصلتْ إليها الدراسة:-

١. إنَّ الإنسانية المثالية عند الحسن(عليه السلام) لها جذور راسخة، وقوية متمثّلة بكتاب سماوي معجز(القرآن الكريم)، وإنسانية متكاملة جدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله)، وإنسانية عالية من أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام).

٢. ظهر أثر القرآن الكريم في رسوخ إنسانية الحسن(عليه السلام) المثالية من خلال فهمه لكتاب الله(عز وجل)، وتدبره إياه، والعمل بأحكامه.

٣. أظهر البحث أن جدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله) كان له الأثر البالغ في إنسانيته، ويظهر ذلك من خلال رعايته له، وتسميته فقد سمّاه حسناً، بدل حرب، فكان لهذا الاسم دلالة معنوية كبيرة فقد أراد النبيّ الأعظم(صلى الله عليه وآله) لسبطه(عليه السلام) أنْ يكون محبوباً، ومصلحاً، وحسناً في كلّ شيءٍ، فضلاً عن ذلك وعيه(عليه السلام) الأحاديث التي قيلت فيه.

٤. كان لوصايا أمير المؤمنين(عليه السلام) لابنه الحسن(عليه السلام) إضاءة في إنسانيته المثالية.

٥. ذكر الباحث خطبة للحسن(عليه السلام) بعد استشهاد أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام)، سلطت الضوء على إنسانية أبيه(عليه السلام) العالية.

٦. كشف الباحث عن لقب لم يلتفت إليه الباحثون من قبل، له مسيس بإنسانية الحسن(عليه السلام) المثالية، وهو(الناصح)، وقد أشار إليه الحسن(عليه السلام) نفسه، ووردت إشارة إليه في كتاب(مفاتيح الجنان) في زيارة الحسين(عليه السلام).

٧. أوضح الباحث أهم المعالم الرئيسة لإنسانية الحسن(عليه السلام) المثالية، وهي: إصلاح المجتمع، والتعايش السلمي، وحقن الدماء.

٨. إنَّ إصلاح المجتمع كان هدف الحسن(عليه السلام)، ومنهجه؛ بسبب موت إرادة المجتمع، وضعفه، وغياب التفكير السليم، لاسيّما بعد استشهاد أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام).

٩. أطلق الباحث لقب(إمام التقريب بين المسلمين) على الحسن(عليه السلام)، وهو حقيق به(عليه السلام)، فقد كان داعياً للوحدة، ولزوم الجماعة، وترك الفرقة والاختلاف غير المحمود، وقد كشفت شروط السلم مع معاوية هذا اللقب.

١٠. أجاز الباحث إطلاق كلمة(السَّلم) على الهدنة التي وقعت بين الحسن(عليه السلام)، وبين معاوية، بدلاً من(الصلح)؛ لأنها أقرب للواقع، ويرى أيضاً أنَّ كلمة شروط أوفق، وأقرب من كلمة(مواد)، و(بنود).

١١. لا يرى الباحث مانعاً من قبول حديث المصطفى(صلى الله عليه وآله) في حقّ سبطه الحسن(عليه السلام)، كونه سيداً، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين، فهو من باب الإخبار بالغيب، وإنَّ ذكره مراراً، وتكراراً على ألسنة الناس برهان على القطع بوروده عن النبيّ(صلى الله عليه وآله) على سبيل مبدأ الجري والانطباق، فضلاً عن ذلك فإنَّ دلالة الحديث لا تخدش، ولا تقدح ساحة الحسن(عليه السلام).

١٢. رأى الباحثُ أنَّ الحسن(عليه السلام) هو مانع الدماء، ومُحْرِزُها، وحافظها، فكان

غالقاً لأبواب إراقتها في التاريخ الإسلاميّ.

١٣. في مجال بيان معلم التعايش السلمي، نجد أن الحسن(عليه السلام) قد أكثر من الكلمات التوجيهيّة التي دعا فيها الجماهير إلى الالتزام بقواعد حفظ العلاقات، والدعوة إلى الألفة، والمحبّة، وحسن المعاشرة، ونبذ الفرقة، والبغضاء، والشحناء.

١٤. دفع الباحث شبهات ألصقت بشخص الحسن(عليه السلام)، لها علاقة بإنسانيته، منها مخالفة أبيه أمير المؤمنين(عليهما السلام)، وميله إلى الدعة وحبّ الشهوات، والإسراف والتبذير.

١٥. يرى الباحث أن الروايات الموضوعة التي جاءت في كتب المسلمين، لها دور في إلصاق التهم للحسن(عليه السلام) من قبل الباحثين المحدَثين عند طه حسين، والأب المسيحي هنري لامنس، وغيرهما.

١٦. حذّر الباحث من إقحام المغيّبات، والخيال، وترديد الروايات المبالغ فيها في دراسة حياة الحسن(عليه السلام)، لاسيما روايات كرمه، فالباحث يذكرها من غير قصد يريد بيان فضائل الحسن(عليه السلام)، إلاَّ أنَّ المتأمل فيها، والمدقّق يجد أنها من صنع الأمويين من أجل تمرير إسرافهم، وتبذيرهم من جهة، وإضفاء شرعية لأفعالهم من جهة أخرى.

١٧. بيّن الباحث أن الحسن(عليه السلام) قد استعمل اللغة المؤدّبة المهذّبة في خطابه، على الرغم مما كان يجابه من أعدائه بكلمات قاسية، وبذيئة، ونابية.

١٨. ظهر أن الحسن(عليه السلام) قد استعمل الصدق الفني في خطابه، من خلال معاينة الواقع.

١٩. مال الحسن(عليه السلام) في خطابه إلى الاقتصاد اللغوي، والإيجاز لاسيما كلماته

الحِكَميّة القِصار.

٢٠. انبرى الباحث لدفع شبهة ألصقت بالحسن(عليه السلام)، الحَصْر والعِيّ، وكشف الباحث أنَّ بطل هذه الشبهة هو عمرو بن العاص.

٢١. أكثر الحسن(عليه السلام) من الطاقات التعبيرية في خطابه من أجل تجلّي المواقف الإنسانية، وبيان الأفكار، والتأثير في المتلقّي، وإثارته من نحو(الأمر)، و(النداء)، والتكرار الدلالي(تكرار الألفاظ)، و(تكرار المواقف).

التوصيات

يوصي الباحث بما يأتي:-

١. تشجيع المؤسسات العلمية كافة(الجامعات)، و(المدارس الدينية) على دراسة الإنسانية المثالية عند أهل البيت كافة، من أجل تعرّفها العالم أجمع.

٢. الدعوة إلى ضرورة جمع تراث الإمام الحسن(عليه السلام) بشكل كامل، من خلال جمع النصوص التي وردت في كتب المسلمين الموثّقة.

٣. الدعوة إلى دراسة تراث الحسن(عليه السلام) دراسة لغوية، وفنية، وأسلوبيّة.

٤. تنقيح كتب المسلمين، ولاسيّما كتب الإمامية من الروايات الموضوعة التي أُقحمت في تراث أهل البيت، والتي لا تنسجم مع عصمتهم وطهارتهم(عليهم السلام). والحمدُ للهِ أولاً وآخراً، وصلّى الله على محمّد وآله الطّاهرين.

كتبه في الحلة(الفيحاء)، حلة الحسن المجتبى(عليه السلام)

بأنامله السقيمة العبد الآبق، الفقير إلى رحمة

خالقه ربّ السموات والأرضين في غرّة جُمادى الآخرة من

سنة ١٤٣٤هـ رحيم الشَّرِيفيّ الحُسينيّ

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الأئمة الاثنا عشر: جعفر سبحاني، ط١، دار الأضواء، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

- أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية(محاضرات سماحة آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر): ط١، مطبعة شريعة، إيران، ١٤٢٥هـ.

- الأخبار الطوال: أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينوري(ت ٢٨٢هـ)، تحقيق عبد المنعم عامر، ط٢، مطبعة شريعة ١٣٧٩هـ.

- الإرشاد:- محمد بن محمد بن نعمان العكبريّ البغدادي الملقب بـ(الشيخ المفيد) (ت ٤١٣هـ)، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٩ – ٢٠٠٤م.

- أساس البلاغة: جار الله أبو قاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)، تقديم الدكتور: محمود فهمي حجازي، سلسلة الذخائر(المؤسسة العامة لقصور الثقافة) مصر، ٢٠٠٣م.

- أُسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي كريم محمد بن محمد الشيباني المعروف بـ(ابن الأثير(ت ٦٣٠هـ))، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.

● أسلوب الدعوة في القرآن الكريم: محمّد حسين فضل الله، ط٤، د.ط، بيروت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

● الاستيعاب: يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ(ت ٤٦٣هـ)، طبعة بيروت، ١٤١٢هـ.

● الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت ٨٥٢هـ)، مراجعة علي محمد البجاوي، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٢٨هـ.

● إضاءات في طريق الوحدة والتعايش: جعفر سبحاني، ط١، مؤسسة الإمام الصادق، قم - إيران، ١٤٣٢هـ.

● الأعلام(قاموس تراجم): خير الدين الزركليّ، ط١٧، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧م.

● أعلام الهداية(الإمام الحسن (عليه السلام) المجتبى)، المجمع العلمي لأهل البيت(عليهم السلام) الطبعة الأولى، دار الأميرة، بيروت، ٢٠٠٥م.

● أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، حققهُ، السيد حسن الأمين، ط٥، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

● الإمامة والسياسة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري(ت ٢٧٦هـ)، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٩م.

● الإمام الحسن بن علي(عليه السلام) شجاعة قيادة وحكمة سياسة(تقريراً لأبحاث الأستاذ آية الله المحقق الشيخ محمد السند) بقلم: إبراهيم البغدادي، ط١، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

• أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذريّ(ت ٢٧٩هـ)، د.ط، القاهرة، ١٩٥٩م.

• بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: الشيخ باقر المجلسي، إحياء الكتب المقدسة، قسم – إيران، ١٤٢٧هـ.

• البداية والنهاية: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي(ت ٧٧٤هـ) راجعهُ الأستاذ سُهَيل زكّار، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥م.

• البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، ط٤، الشركة المصرية العامة(لونجمان)، القاهرة، ٢٠١٢م.

• بحوث في منهج تفسير القرآن: محمود رجبي، ط٢، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٢م.

• تاريخ الأئمة(عليهم السلام) ووفياتهم: ابن الخشاب البغدادي(٥٦٧هـ): دراسة وتحقيق: ثامر الخفاجيّ، ط١، ستارة، قم – إيران، ١٤٣٢هـ.

• تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي(ت ٩١١هـ)، ط١، دار المنار، مصر، ٢٠٠٣م.

• تاريخ خليفة بن خياط برواية تقي بن خالد: خليفة بن خياط العَصْفري(ت ٢٤٠هـ) تحقيق: الدكتور سُهيل زكّار، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

• تاريخ دمشق: علي بن الحَسن ابن عساكر(ت ٥٧١هـ) تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

• تاريخ الامم والملوك المعروف بـ(تاريخ الطبري): أبو جعفر محمد بن جرير

الطبري(ت ٣١٠هـ)، ط١، الأميرة، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

• تاريخ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي البغدادي(ت بعد سنة ٢٩٢هـ)، علق عليه ووضح حواشيه: خليل منصور، دار الزهراء إيران، ١٤٢٩هـ.

• تحت راية القرآن: مصطفى صادق الرافعي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

• تذكرة الخواص من الأمة بذكر حقائق الأئمة(عليهم السلام) يوسف بن علي البغدادي سبط ابن الجوزي(ت ٦٥٤هـ) تحقيق: حسين تقي زادة، مطبعة ليلى، إيران، ١٤٢٦هـ.

• التصوير الفنيّ في القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة د.ت.

• تفسير البيضاويّ(أنوار التنزيل وأسرار التأويل): ظاهر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر(ت ٦٨٢هـ)، تحقيق: مجدي فتحي السيّد، وياسر سليمان أبو شادي، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت.

• التفسير الكبير(مفاتيح الغيب): أبو عبد الله محمد بن عمر التميميّ الرازي(فخر الدين الرازي)(ت ٦٠٦هـ)، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.

• تهذيب التهذيب في رجال الحديث: شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني(ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، وعلي محمد معوّض، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

• الثاقب في المناقب: الفقيه عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي الطوسي المعروف

بـ(ابن حمْزة) من أعلام القرن السادس الهجري، تحقيق: نبيل رضا علوان، ط٤، حواسة أنصاريان للطباعة، إيران، ١٤٨٢هـ - ٢٠٠٧م.

• ثورة الإمام الحسن(عليه السلام) محمد الحسيني الشيرازي، ط٢، دار صادق للطباعة، كربلاء المقدسة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

• جامع السعادات: محمد مهدي بن أبي ذر النراقي الكاشاني(ت ١٢٠٩هـ) الناشر: سيف الله إسماعيليان، طبعة السرور، قم- إيران، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

• الجهاد وحالاته المشروعة في القرآن: مرتضى المطهّريّ، ط١، مطبعة سبهر، طهران، ١٤٠٤هـ.

• جواهر العقدين في فضل الشَّرَفَين: علي بن عبد الله الحسني السمهودي(ت ٩١١هـ) تحقيق: الدكتور موسى بناي العليلي ط/ مطبعة العاني، العراق، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

• حلية الأولياء: أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نعيم الأصبهاني(ت ٤٣٠هـ)، دار الكتب، بيروت، ١٣٢٧هـ.

• حياة الإمام الحسن(عليه السلام) دراسة وتحليل: باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، ط١، مطبعة شريعة، إيران، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

• الحيوان: عمرو بن بحر الجاحظ(ت ٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م.

• دفاع عن فن القول: عبد الكريم غلاب: مطابع دار القلم، تونس، ١٩٨٤م.

• دلائل الإمامة: أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، من علماء القرن الرابع

الهجري، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

● الذرية الطاهرة: أبو البشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الرازي الدولابي(ت ٣١٠هـ)، تحقيق: السيد محمد جواد الجين الجلالي، ط٨، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

● رسائل الإمام الحسن(رضي الله عنه): زينب حسن عبد القادر، مطبوعات الشعب، مصر، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

● زبدة المعاني من تفسير الشوكاني(مطبوع بهامش القرآن الكريم): الإمام محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني(ت ١٢٥٠هـ)، تعليق الدكتور: محمد أبو زيد، ط١، دار الفجر الإسلامي، دمشق، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

● سيرة الأئمة الاثني عشر: هاشم معروف الحسني، ط٥، مطبعة شريعة، إيران، د.ت.

● سيرة الأئمة الأطهار: مرتضى المطهري، مراجعة عبد الكريم الزهيري، ط٢، مطبعة شريعة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

● سيرة ابن إسحاق المسماة بـ(كتاب السير والمغازي): محمد بن إسحاق بن يسار(ت ١٥١هـ)، تحقيق الدكتور سهيل زكّار، مؤسسة إسماعيليان، قم – إيران، ١٤١٠هـ.

● سيرة محمد(البيئة والنشأة): صهيب الرومي، ط١، بَيْسَان، بيروت – لبنان، ٢٠٠٦م.

● شرح نهج البلاغة: أبو حامد عز الدين بن أبي الحديد(ت ٦٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٣٨٨هـ.

• صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(ت ٢٥٦هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

• الصدق الفني في الشعر العربي حتّى نهاية القرن السابع الهجري؛ عبد الهادي خضير نيشان، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٧م.

• صلح الحسن(عليه السلام): الشيخ راضي آل ياسين، ط٤، منشورات ناصر خسرو، بيروت – لبنان، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

• الطِّراز(المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز): يحيى بن حمزة بن علي ابن إبراهيم العلويّ اليمنيّ(ت ٧٤٥هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م.

• عمرو بن العاص: عباس محمود العقاد، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٩٦٩م.

• العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت ١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، ط١، منشورات دار الهجرة، قم – إيران، ١٤٠٥هـ.

• الفتنة الكبرى: الدكتور طه حسين، ط١، دار المنار، مصر، ٢٠٠٣م.

• الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن سهل العسكري(ت في حدود ٤٠٠هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

• الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة(عليهم السلام): علي بن محمد بن أحمد

المالكي(ابن الصباغ المالكي)(ت ٨٥٥هـ)، ط٢، دار الأضواء بيروت – لبنان، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

• فلسفة الأخلاق في الإسلام: محمد جواد مغنية، تحقيق: سامي الفزيري، مطبعة ستار، إيران، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

• فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة(دراسة مقارنة في ضوء ركائز الأسلوبية): صباح عيدان حمود العبادي، ط١، دار الفيحاء، البصرة – العراق، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

• في ظلال القرآن: سيّد قطب، ط٣٤، دار الشروق، بيروت، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

• القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(ت ٨١٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

• الكامل في التاريخ: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بـ(ابن الأثير)(ت ٦٣٠هـ)، مراجعة الدكتور سمير شمس، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٩م.

• الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمرو بن محمّد الزَّمخشريّ(ت ٥٣٨هـ)، ضبط النصوص والمراجعة: عبد الرزاق مهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

• كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي المتقيّ الهنديّ(ت ٩٧٥هـ)، د.ط، حيدر آباد – الهند، ١٣١٣هـ.

• كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربليّ(ت

٦٩٢هـ)، قدم له السيد أحمد الحسيني، ط١، مطبعة شريعة قم – إيران، ١٤٢٧هـ.

• مجمع البحرين: فخر الدين بن محمد علي بن طريح الأسدي الطريحيّ(ت ١٠٨٥هـ) دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥م.

• المحاسن والمساوئ: محمد بن إبراهيم(البيهقي ت بعد ٣٢٠هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٥هـ.

• محمد خاتم المرسلين: شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، مصر، ٢٠٠٩م.

• محمد(صلى الله عليه وآله) في القرآن: رضا الصدر، مكتب الإعلام الإسلامي، قم – إيران، ١٤٢٠هـ.

• مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي(ت ٦٦٦هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

• مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي(ت ٣٤٦هـ)، ط١، دار القارئ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

• المستدرك على الصحيحين: ابن البيع الحاكم النيسابوري(ت ٤٠٥هـ)، المطبعة النظامية، حيدر آباد، الهند، ١٣٤٠هـ.

• المِصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيُّومي(ت ٧٧٠هـ)، تقديم: محمود فهمي حجازيّ، الهيأة العامة لقصور الثقافة، القاهرة – مصر، ٢٠٠٣م.

• المعجم الأدبي: جبور عبد النور، ط١، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ١٩٧٩م.

• معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية(القاهرة): محمد علي النجار، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميري، القاهرة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

• معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الرومي الحمويّ(ت ٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(د. ت).

• مفاتيح الجنان: الشيخ عباس بن محمد رضا أبو القاسم القمي(ت ١٣٥٩هـ)، ط٤، دار الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله)، بيروت، ١٤٠٢هـ – ٢٠٠١م.

• مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني(ت في حدود ٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٤، مطبعة كيميا، قم – إيران، ١٤٢٥هـ.

• مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الأصفهاني(ت ٣٥٦هـ)، شرح وتحقيق، السيد أحمد صقر، دار إحياء التراث العربية، بيروت،(د. ت).

• من حياة أهل البيت(عليهم السلام): محمد علي التسخيريّ، دار التعارف، بيروت، د.ت.

• المنطق: محمّد رضا المظفّر، منشورات دار العلم، قم – إيران، ١٤٣٤هـ- ٢٠٠٣م.

• موسوعة المصطفى والعترة(الحسن المجتبى(عليه السلام)): حُسين الشاكري، ط٢، مطبعة غدير، قم – إيران، ١٤٢٥هـ.

• النظرية النقدية عند العرب: هند حسين طه، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م.

• نهج البلاغة: الإمام علي بن أبي طالب(ت ٤٠هـ): شرح محمد عبدة، ط١، بيروت، ١٤٣٠هـ – ٢٠١٠م.

• وحي الرسالة(فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع): أحمد حسن الزيات، ط٨، دار ونهضة مصر، الفجّالة، القاهرة، ١٩٥٣م.

• وحي القلم: مصطفى صادق الرافعي: ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٤٦هـ – ٢٠٠٥م.

الرسائل الجامعية:

• أدب الإمام الحسين(عليه السلام) قضاياه الفنية والمعنوية:(رسالة ماجستير): موسى خابط عبود القيسيّ، جامعة بابل/ كلية التربية، قسم اللغة العربية، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م.

• الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية:(رسالة ماجستير): إيمان عبد الحسن علي، جامعة بابل – كلية التربية، قسم اللغة العربية، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م.

• النقد الأدبي في كتاب(الموضح) للمرزبانيّ(رسالة ماجستير)، محمد عبد الحسن حسين، جامعة بابل، كلية التربية، قسم اللغة العربية، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

الأبحاث:

• سيرة النبيّ وأهل البيت بين تزييف المسلمين، ومناهج المستشرقين(الأب المسيحي هنري لامنس) أُنموذجاً: جواد كاظم النصر الله، وشهيد كريم محمد، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الثالث/ جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنية، ٢٠١٣م.

المحتويات

(الفصل الثاني)